

س - ۹۲

الانسان الكامل

تأليف

محمد بن علي الماكي الحسيني

906

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفاتح لما
أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي الى الصراط المستقيم وعلى آله
وصحبه حق قدره ومقداره العظيم .

ان العناية بالسيرة النبوية والاهتمام بها قد تناولها الكتاب من نواحيه
المختلفة لا في اللغة العربية والفارسية فقط بل وفي كثير من اللغات الغربية ،
ومن بينها الانجليزية التي هي أكثر لغات الغرب اهتماما بالجناب النبوي .
فانها غنية بكتب تبحث عن السيرة ، لان كثيرا من مؤلفي الغرب بذلوا غاية
جهودهم فألفوا كتباً في سيرة النبي الامين وأقاموا حججا بالغة على عظمة
رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام واعترفوا بما للنبي
الكريم من الفضل في تحرير المجتمع من مظاهر
العبودية والتقليد ومن ربة الذل والهوان وقال بعضهم :
ان دعوته عليه الصلاة والسلام رفعت الامة من حضيض الشقاء الى
أوج السعادة في سنين معدودة وان كانت دراساتهم وكتبهم لا تخلو من دس
وسم ، ولذا فانه لا ينبغي خلع الثقة المطلقة عليها .

ومهما كتب الكتاب وملأوا بطون الاسفار والمجلدات بنضائله فهم
عاجزون ومقصرون في حصر جميع ما لحضرته صلى الله عليه وسلم من

الأوصاف الحميدة والخصال الطيبة الطاهرة ، فهو صلى الله عليه وسلم قد بلغ أوج الكمال الانساني حيث اصطفاه ربه لتبليغ رسالته الالهية فكان لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد أثنى عليه ربه فقال : « وانك لعلی خلق عظیم » وقال عز من قائل « ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك » وأمثال هذا كثيرة في أعظم كتاب وأفضل خطاب فخارج عن الطوق البشري احصاء كسالاته بتسامها •

كسبت محاسنه فلو أهدي السنا • للبدر عند تمامه لم يخسف
وعلى تفنن واصفيه بوصفه • يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف
وكلسا تقدم الانسان في الحضارة وخطا خطوة في حلبة الرقى وصعد
درجة في سلم الارتقاء أدرك بقدر اتساع آفاقه الفكرية ما لمحمد صلى الله
عليه وسلم من الأيادي البيضاء على الانسانية جمعاء •

وقد مضى على انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق
الاعلى نحو أربعة عشر قرنا ولا تزال عظمته ملء القلوب والاسماع وذكره
نشيد الحياة الزامئة الى منبع هذا الالهام الكريم والى فيض هذه البطولة
الفذة والعظمة الكاملة •

واذا ذكر المسلمون هذا النبي الامي تقديسا للرسالة التي حملها وبلغها
عن الله تعالى ونشرها في الخافقين وايمانا بسمو ما جاء به من عقيدة وتشريع
فان الانسانية كلها لتذكر انه رسولها الفذ الكريم البر الرحيم والعلم
المفرد الوحيد مجاهدا في تاريخها الحافل المديد •

ان عظمته عليه الصلاة والسلام ليست مستمدة من عصبية أو جاه أو مال ولا من عظمة الامة التي ظهر فيها ، ولا من سمو حسبه وشرفه بل من جلال شخصيته وكمال خلقه وسعة أفقه وانه المثل الاعلى للانسان الكامل وانه عاش مجاهدا ومات مجاهدا في سبيل الله ، وأنه الرسول المبعوث الذي اختارته العناية الالهية من بين الخلق ليبلغ رسالة الله الى العالم على فترة من الرسل ضل فيها الناس وجهلوا هداية السساء التي بشر بها الانبياء والمرسلون وترجع الى أنه جاء بآخر الرسالات لتكون بين البشرية عامة وعقيدة الناس قاطبة وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

فقد دعت الى التوحيد المطلق وقررت مبادئ العدالة والحرية والمساواة والاخاء بين الناس كافة ، وكانت دين البشرية بسمو روحها وجلال نزعاتها ونبيل اهدافها ورفعها من كرامة الانسان ودعوتها الى الحب والرحمة والتعاون وايقاظ الضمير والشعور بالمسئولية وتقدير العهود والحرمان ونشر العلم والعمران والمدنية وحرب الوثنية والشرك والضلال والعناد والرذائل والمنكرات والاهواء الضالة والاهوام الضارة والشهوات الجامحة والخرافات الكاذبة والتقاليد البالية وجمع الناس تحت لواء واحد من هدى الله وفي ظل رسالة كاملة هي شريعة الله ، ثم لم يمض الى جوار ربه الا وقد جمع العرب عليها ودعا الملوك والامراء اليها فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين الى كسرى وملك البحرين والحبشة وحاكم مصر وهرقل قائد دولة الروم العظسى .

وحمل خلفاؤه من بعده عبء هداية الامم وتحرير الانسانية فوصلت

هذه الرسالة الى اطراف الدنيا وقامت عليها حضارة مشرقة ولم تزل عقيدة
كثير من الامم والشعوب ولن تزال حية بما فيها من اخلاق واحكام الى ان
يرث الله الارض ومن عليها •

وبعد : فهذا كتاب شاركت فيه بالكلام عن بعض حقائق الجناب المحمدي
سائلا المولى جل وعلا ان يلهمنا الصواب وان يوفقنا لما فيه الخير والصلاح •
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
وسلم •

محمد علوى المالكى

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وأصلى وأسلم
على النور المبين والسراج المنير البشير النذير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين •

وبعد :

فقد كنت اقرأ في سورة المائدة فاستوقفني قوله تعالى : « اليوم أكملت
لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ووقفت عند
هذه الآية وقفة تأمل وتبصر واعتبار وأخذت أكررها وأرتلها متذوقا حلاوتها
مستشعرا بلاغتها متأثرا وجميع جوارحي بها وخلصت الى :

١ - ان الله تعالى لما أراد أن يكون هذا الدين خاتم الاديان فلا دين
بعده ينسخه أو يبدله أو يصلحه ، بدليل قوله تعالى : « ما كان محمد أبأ أحد
من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » جمع فيه من الاحكام والآداب
والتعاليم ما يضمن له أن يكون خالدا باقيا ، وصالحا لكل زمان ومكان ،
وكفيلا باسعاد الانسانية كلها وتخليص البشرية من أدرانها واقامة العداة
والحق بين الناس أجمعين فكان بذلك الدين القيم التام المحفوظ الخالد
القيم ، الذي قال فيه تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر
الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا
يعلمون » •

التام : الذي قال فيه تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » •

المحفوظ : الذي قال فيه تعالى : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه » •

الخالد : الذى قال فيه سبحانه : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له

لحافظون » •

والتسام والحفظ والخلود هى أولى سمات الكمال فهو بهذه الصفات

الدين الكامل •

٢ - واذا كانت الرسالة الاسلامية هى الرسالة التامة القيمة المحفوظة

الخالدة الكاملة من كل نواحيها فلا بد وأن يكون حاملها والداعى اليها الذى

بعثه الله بها على ذلك المستوى بل وأرفع ، وفي نفس تلك الرتبة ، بل وأعلى

وفي تلك المنزلة والدرجة ، بل وأجل ، لانه هو المتحمل القائم بأعباء هذه

الرسالة ، ومعلوم ان الحمل الكبير لا يحمله - الا من هو أكبر منه •

٣ - ومن هذه الزاوية اللطيفة والحيثية الشريفة تصورت أن النبى

محمدا صلى الله عليه وسلم الذى جاء بهذا الدين الكامل لا شك انه هو

انسان كامل ، كامل في كل شيء ، كامل في خلقه وصورته ، فلم ير الرأى قبله

ولا بعد مثله •

فهو الذى تم معناه وصورته ثم اصطفاه حيبا بارىء النسم

كامل في خلقه وسجاياه ، اذ يقول فيه ربه سبحانه : « وانك لعلى خلق

عظيم » ، كامل في أدبه وسيرته اذ يقول عنه مولاه « ألم يجدك يتيما فآوى

ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى » ، فهو الانسان الكامل في كل شيء

من الصفات الحسية والمعنوية المنزه عن كل عيب أو نقص •

خلقت مبرا من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

٥ - وأحبت أن أشرك في الكتابة عن هذه الحقيقة التي من أنكرها

فقد أتى منكرا وزورا •

وان أنكر الأعمى على الشمس ضوءها فما ضرها شيئا ولكن أتى نكرا

فكتبت عن كمال هذا الإنسان صلى الله عليه وسلم •

محمد علوى المالكى المكى الحسنى
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين اجمعين

(الم نشرح لك صدرك ووضعتنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك

ورفعنا لك ذكرك)

كمال مواهبه العلية وصفاته السنيه

كمال طهارة نسبه الشريف

قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح
الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح الاسلام .

وروى هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه
وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من امر الجاهلية
وعن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خرجت من
نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني
من سفاح اهل الجاهلية شيء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يلتق أبواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة
الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما .
وعن انس رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد
جاءكم رسول من انفسكم ، بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا
ليس في ابائي من لدن آدم سفاح .

وعن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم عن
جبريل عليه السلام قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من

محمد صلى الله عليه وسلم ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم (١) .
وفي صحيح البخارى عن ابى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم بعثت في خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى
كنت منه .

وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال قال صلى الله
عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة
واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم . وعن العباس رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلنى
في خير فرقتهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلنى في خير بيوتهم فانا
خيرهم نفسا وخيرهم بيتا أي خيرهم روحا وذاتا وخيرهم أصلا .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ان الله اختار خلقه فاختر منهم بنى آدم ثم اختار بنى آدم فاختر منهم العرب
ثم اختارنى من العرب فلم أزل خيارا من خيار الا من أحب العرب فبحبى أحبهم
ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم .

واعلم : أنه عليه الصلاة والسلام لم يشاركه في ولادته من أبويه أخ
ولا أخت لانتها صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب
جعله الله تعالى للنبوّة غاية ولتمام الشرف نهاية وأنت اذا اختبرت حال نسبه
وعلى طهارة مولده تيقنت أنه سلالة آباء كرام فهو صلى الله عليه وسلم

(١) رواه البيهقي والطبراني في الاوسط وابن عساکر .

النبي العربي الابطحى الحرمى الهاشمى القرشى نخبة بنى هاشم المختار -
المنتخب من خير بطون العرب وأعرقها في النسب وأشرفها في الحسب وأنضرها
عودا وأطولها عمودا وأطيبها أرومة وأعزها جرثومة وأفصحها لسانا وأوضحها
بيانا وأرجحها ميزانا وأصحها ايمانا وأعزها نفرا وأكرمها معشرا من قبل ابيه
وأمه ومن اكرم بلاد الله على الله .

وما أحسن قول الحافظ المحدث شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى

حفظ الاله كرامة لمحمد آباءه الامجاد صونا لاسمه
تركوا السفاح فلم يصبهم عاره من آدم والى ابيه وأمه

كمال خلقته وجمال صورته صلى الله عليه وسلم

قال الامام البوصيرى رحمه الله تعالى :

فهو الذى تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيا بارىء النسم
منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

قال القرطبي :

لم يظهر لنا تمام حسنه لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما اطاقت اعيننا رؤيته
صلى الله عليه وسلم .

وقد استفاضت الاحاديث النبوية والآثار المروية التى تدل على كمال
خلقته صلى الله عليه وسلم وجمال صورته ولذلك كان من تمام الايمان به
صلى الله عليه وسلم الايمان بان الله سبحانه وتعالى قد جعل بدنه الشريف
على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمى مثله .

وجهه الشريف

كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً (١) كأن الشمس تجرى
في وجهه (٢) .

(١) رواه الشيخان عن البراء .
(٢) رواه الترمذى عن ابي هريرة .

يقول على رضي الله عنه لم يكن بالمطهم ولا المكثم وكان في وجهه تدوير (١) والمطهم الكثير السمن والمكثم المدور الوجه أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل .

تقول عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرتبرق اسارير وجهه كأنه قطعة قمر (٢) .

وقال ابوبكر الصديق وكعب بن مالك كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه دارة قمر .

وقيل لأبي الطفيل صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان ابيض مليح الوجه إذا سرتفكان وجهه مرآة وكان البدر يرى في وجهه (٣) .

وقال جابر : مثل الشمس والقمر وكان مستديرا (٤) .

وقد اجتمعت كلمة الصحابة الذين وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على انه كان منير الوجه مشرق المحيا يتلألأ بالنور الباهر والضياء الزاهر والبهاء الظاهر .

وجاء في حديث الحسن بن علي عن خاله هالة بن ابي هالة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما فخما يتلألأ وجهه صلى الله عليه وسلم

-
- (١) رواه الترمذى .
(٢) رواه اصحاب الشمانل .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .

تلاها القمر ليلة البدر (١) ونظر اليه جابر بن سمرة ليلة مقمرة قال فجعلت انظر اليه والى القمر فلهو عندي احسن من القمر (٢) .

وقيل للربيع بنت معوذ : صفى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا بنى لو رأيت لرأيت الشمس طالعة (٣) .
ووصفته أم معبد فقالت :

رأيت رجلا ظاهر الوضاءة حسن الخلق مليح الوجه قسيما وسيما (٤) .
وقالت امرأة من همدان حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها شبيهه لنا فقالت كالقمر ليلة البدر لم ارقبه ولا بعد مثله (٤) .

الخد

اما خده الشريف فقد كان صلى الله عليه وسلم اسيل الخدين والخد الاسيل هو ما فيه استطالة غير مرتفع الوجنة .

العين

أما بصره الشريف فقد وصفه الله تعالى بقوله : ما زاغ البصر وما طغى ، وثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وكان يرى من خلف كما يرى من أمام وفي حديث ابن ابي هالة (٥) واذا التفت التفت جميعا - خافض الطرف

-
- (١) رواه الترمذى .
 - (٢) رواه الترمذى وهو صحيح .
 - (٣) رواه الترمذى والبيهقى .
 - (٤) رواه البيهقى والحاكم وصححه وهو من الشهرة بمكان .
 - (٥) رواه الترمذى في الشمائل .

– نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء – جل نظره الملاحظة (١)
والملاحظة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ •

ويقول سيدنا على رضي الله عنه : كان صلى الله عليه وسلم عظيم العينين

• أهدب الاشفار مشرب العين بحمره (٢) •

• والاهدب الكثير الهدب وهو شعر اشفار العين •

وفي رواية أدعج العينين (٣) وفي رواية أشكل العينين (٤) والشكلة

الحمرة تكون في بياض العين وهو محمود محبوب ، واما الشهلة فانها حرة في

• سوادها •

الرأس والجبين

وأما جبينه الكريم فقد كان صلى الله عليه وسلم واضح الجبين وهو

معنى قول على – صلت الجبين – وفي رواية واسع الجبين وفي رواية عظيم

الجبهة وكله بمعنى واحد •

وكان صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة (٥) وهو معنى قول على

• « ضخم الرأس » •

وكان صلى الله عليه وسلم ازج الحواجب « الزج دقة الحاجبين في

(١) رواه الترمذى في الشمائل •

(٢) رواه البيهقي •

(٣) رواه الترمذى •

(٤) رواه مسلم •

(٥) كما وصفه ابن ابى هالة •

طول « سوابغ في غير قرن » أي أن حاجبيه طويلان تامان لكن غير مجتمعين
ولا متصلين » •

الانف

أقنى الانف « وهو ارتفاع اعلاه واحدياب وسطه وسبوغ طرفه
اوتتو وسط القصبه وضيق المنخرين » •

الفم

ضليع الفم « أي عظيمه » والعرب تمدح عظيم الفم وتذم صغيره مفلج
الاسنان « أي متباعد ما بين الاسنان » اشنب « أي طيب الفم » افلج الثنتين
« براق الثنايا » •

مزىة الجمال النبوى

ثبت انه صلى الله عليه وسلم قد اعطى الحسن كله ولكن هذا الجمال النبوى متوج بأمرين عظيمين : الاول : الهيبة الجلالية ، والثانى : النور الضيائى - ولذلك لم يفتتن به من يراه بخلاف يوسف عليه السلام فانه مع كونه اعطى نصف الحسن الا انه لما رآه النسوة قطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم • قال بعضهم :

وصحب زليخا لو رأين جبينه
لآثرن تقطيع القلوب على الايدى
فأما الجلال والهيبة فقال هند بن أبى هالة في وصفه كان صلى الله عليه وسلم فخما مفخما (١) •

وقال على رضى الله عنه من رآه بديهة هابه (٢) •

وقال غيره : كان النبى صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه (٣)
ودخل عليه رجل فاصابته من هيئته وعدة فقال له هون عليك (٤) ويقول عمرو بن العاص عن حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وما كنت أطيق ان املا عيني منه اجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لانى لم اكن املا عيني منه (٥)

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه الترمذى في الشمائل .

(٣) رواه ابو داود في المراسيل « نسيم الرياض ١١٧/٢ » .

(٤) رواه البخارى معلقا عن انس ووصله ابن ماجه « نسيم الرياض ١٠٤/٢ » .

(٥) رواه مسلم في الصحيح « ١٢٨/٣ بالنووى » .

وقال ابن أبي هالة في وصفه : وكان اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما عنى رؤسهم الطير (١) .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم لا يستطيعون امعان النظر فيه لقوة مهابته ومزيد وقاره ومن ثم لم يصفه الا صغارهم أو من كان في تربيته قبل النبوة كهند ابن أبي هالة وسيدنا علي رضي الله عنه .

ومن عظيم مهابته وكسالى وقاره كان من جلس اليه صلى الله عليه وسلم هابه وربما اخذته رعدة شديدة من الهيبة المحمدية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يباسطهم ويلاطفهم ليسكن روعهم عن قبلة بنت مخزومة انها قالت لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متخشعا في الجلسة وهو قاعد القرفصاء ارعدت من الفرق - أي الخوف - فقال رجل يا رسول الله أرعدت المسكينة ! قالت قبلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظر الى وأنا عند ظهره ، يا مسكينة عليك السكينة .

فلما قالها أذهب الله ما كان دخل قلبي من الرعب .

وعن ابي مسعود البدرى رضي الله عنه قال : انى لاضررب غلاما لى اذ سمعت صوتا من خلفى : اعلم ابا مسعود قال فجعلت لا التفت اليه من الغضب حتى غشيني فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو مسعود ، فلما رأته صلى الله عليه وسلم وقع السوط من يدي من هيئته صلى الله عليه وسلم فقال لى : والله لله أقدر عليك منك على هذا ، فقلت والله يا رسول الله لا أضرب غلاما لى بعدها ابدا .

(١) رواه الترمذى في الشمائل وابن سعد والطبرانى .

واما النورانية التي تتوج بها كمال الجمال النبوي فقد ذكرنا في صفة وجهه الشريف جملة من الاوصاف تدل على ذلك .

وهذه النورانية أصلية فيه صلى الله عليه وسلم وهي أول ما خلق من الانوار في الاكوان كما جاء ذلك في الحديث المشهور على اللسان أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر (١) .

قال الزرقاني : رواه البيهقي أيضا ببعض المخالفة - ولا يعارضه حديث الترمذي : « أول ما خلق الله القلم » اذ يمكن الجمع بينهما بأن اولية القلم بالنسبة الى ما عدا النور المحمدي ، وقيل الاولية في كل شيء بالاضافة الى جنسه - أي اول ما خلق الله من الانوار نوري .

ومما يثبت هذه النورانية المحمدية ما رواه علي بن الحسين عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كنت نورا بين يدي ربي » . وهذا الحديث ذكره الحافظ ابو الحسن علي بن محمد بن القطان في احكامه وابن القطان من نقاد الحديث المعروفين بصناعة ومن أشد العلماء عناية بالرواية والحفظ والاتقان .

ومما يثبت هذه النورانية قوله تعالى : « لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » ، فقد قال كثير من العلماء : ان المراد بالنور هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذا في تفسير الطبري وابن ابي حاتم والقرطبي . وقال قتادة يعنى بالنور محمدا (٢) .

(١) قال في المواهب اللدنية رواه عبدالرزاق الصنعاني بسنده عن جابر ١/١ .

(٢) تفسير ابن الجوزي ٢/٣١٧ .

ومما يدل على هذه النورانية أيضا ما ثبت بالطرق المستفيضة من انه
صلى الله عليه وسلم لما ولد رأت أمه نورا ، وخرج معه نور أضاءت له
قصور الشام (١) .

ومما يثبت هذه النورانية ما جاء في حديث الطبراني : ورأينا كأن النور
يخرج من فيه وما جاء عن ابن عباس قال : اذا تكلم رثى كالنور يخرج من
بين ثناياه .

« عزاه الزرقاني للترمذي والدارمي »

وما جاء عن ابن هالة عند الترمذي في الشمائل في وصفه صلى الله عليه
وسلم اذ قال : له نور يعلوه .

وما جاء عن السيدة عائشة قالت : كنت قاعدة والنبي صلى الله عليه
وسلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فبهت ، فقال :
مالك بهت ؟ قلت : جعل جبينك يعرق وجعل عرقه يتولد نورا ولو رآك
ابو كبير الهذلي لعلم أنك أولى بشعره حيث يقول :

ومبرأ من كل غير حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى أسرة وجهه برقت بروق العارض المتهلل

ويظن بعض الجهلة أن معنى كونه صلى الله عليه وسلم نورا أي أنه
جسم مشع وهذا وهم أو سوء فهم فكأنه بهذا قد جعله صلى الله عليه وسلم
مصباحا أو سراجا «لمبة كهربائية» وهو صلى الله عليه وسلم أجل وأكرم وأرفع

(١) الواهب ١٢/١ .

وأعظم من أن يكون كذلك • نعم لا مانع عندنا من أنه صلى الله عليه وسلم قد يظهر منه ضوء محسوس كما يسطع من الاجسام المضيئة المشعة ولكن هذا لا يكون دائما وانما يكون عند الحاجة كمعجزة من معجزاته الخارقة للعادة ، وقد ثبت هذا لمن هو أقل منه صلى الله عليه وسلم كما حصل للصحابي الجليل أسيد بن حضير •

فعن أنس رضي الله عنه قال : كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة ظلماء حندس فتحدثا عنده حتى اذا خرجا أضاءت لهما عصي أحدهما فمشيا في ضوئها فلما تفرقا بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه فمشى في ضوئها - أخرجه البخاري •

وكما حصل للصحابي الجليل الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسي الذي كان يقال له : ذو النور. لانه لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فدعا لقومه ، قال له : ابعثنى اليهم واجعل لي آية ، فقال : « اللهم نور له » فسطع نور بين عينيه ، فقال : يا رب أخاف ان يقولوا مثلة ، فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء له في الليلة المظلمة •

كمال اعتناؤه بمظهره الشريف

اعتناؤه ببدنه

كان صلى الله عليه وسلم يعتنى بنظافة بدنه ويأمر بذلك فقد كان يغتسل في كل أسبوع ويحافظ على غسل يديه قبل الطعام وبعده ويحرص على استعمال السواك في كل احواله .

وكان صلى الله عليه وسلم يحافظ على تعهده أطراف بدنه بالنظافة وازالة الاوساخ عنها من قص شاربه وأظافره وتنف ابطه وحلق عاتته .

وكان يأمر بالنظافة ويحث عليها ويحذر من الوساخة بقوله :

« ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة وكريم يحب الكرم جواد يحب الجود » (١) .

وبقوله : تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف (٢) .

واكبر دليل على نظافة بدنه الشريف طيب عرقه الشريف ورائحته التي تفوق العنبر والمسك وطيب رائحته عموما التي كانت تعبق في أي طريق يمر منه ومع ذلك فانه لا شك في ان هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم .

(١) رواه الترمذى .

(٢) قال الخفاجى في شرح الشفاء : انه ضعيف ينجر بطرقه فيصير حسنا ومعناه صحيح .

اعتناؤه بشعره

بتنظيفه وترجيله وسدله قال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته ويكثر القناع (القناع خرقة توضع على الرأس حين استعمال الدهن لتقى العمامة منه) .

اعتناؤه بعينه

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ، ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه .

اعتناؤه بأسنانه

كان صلى الله عليه وسلم يعتنى بتخليل أسنانه بعد تناول الطعام ويقول حبذا المتخللون من أمتي وقد قيل له وما المتخللون يا رسول الله ؟ فقال المتخللون في الوضوء والمتخللون في الطعام ، أما تخليل الوضوء : فالمضضة والاستنشاق وبين الأصابع ، وأما تخليل الطعام : فلأنه ليس شيء أشد على الملكين من ان يريا بين أسنان صاحبهما طعاما وهو قائم يصلى (١) .

ومن عنايته بأسنانه وطيب رائحة فمه الشريف محافظته على استعمال السواك في كل احواله ، عند الصلاة وعند الوضوء وعند النوم وبعد النوم وعند دخوله وخروجه بل وكان يأمر بذلك ويحث عليه ويقول السواك مطهرة للنفم مرضاة للرب (٢) .

ويقول لولا أن أشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل صلاة (٣) .

(١) رواه الطبراني في الكبير ورواه الامام احمد مختصرا كما في الترغيب .

(٢) رواه النسائي وغيره .

(٣) رواه البخاري .

وفي رواية عند البزار والطبراني لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة

• كما فرضت عليهم الوضوء •

اعتنائه بشبابه وهيئته

بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حسن السميت والزي الحسن

من شسائل الانبياء وخصالهم الاصيله (١) •

وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو سيد الانبياء ولذلك فهو أنظف

خلق الله بدنا وثوبا وبيتا ومجلسا ، وفي الحديث : ما رأيت مثل هذا الرجل

• ولا أحسن منه وجها ولا انقى ثوبا (٢) •

وكان صلى الله عليه وسلم يتجمل ويحث على التجمل ويقول : ان الله

جميل يحب الجمال (٣) •

وكان يراعى الاحوال والمناسبات فاذا جاء الوفود كان له حال آخر في

مقابلتهم - فيتجمل بثوبه أو بجبته او بما هو حاضر لديه مما يناسب القادم

وحاله - واذا جاء العيد لبس حلة مخصوصة لذلك وكذلك الجمعة وكان

يأمر بذلك ويقول احسنوا لباسكم وأصلحوا رجالكم حتى تكونوا كأنكم

• شامة في الناس (٤) •

(١) رواه الترمذى واللفظ له وعند مالك نحوه .

(٢) رواه ابو قرصافة واخرجه الطبراني كذا في المجمع .

(٣) رواه ابن السنى .

(٤) رواه الحاكم .

ويقول : ان الله اذا انعم على عبد نعمة يحب ان يرى اثر نعمته على

عبدہ (۱) •

ويقول ان من كرامة المؤمن على الله نقاء ثوبه ورضاه باليسير (۲) •

وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن تعريض الثياب للوسخ ويأمر برفعها

عن الارض ويقول : ارفع ازارك فانه انقى وأبقى •

اعتناؤه بنظافة بيته ومسجده

كان صلى الله عليه وسلم يعتنى بنظافة بيته ويحب ان يكون نظيفاً

ويحث الناس على ذلك ويقول نظفوا أفئيتكم •

وكان يعتنى بنظافة المسجد ويهتم بذلك ويفرح بسن يقوم بهذه المهمة

ولذلك فانه لما ماتت المرأة التي كانت تقم المسجد ولم يخبروه الا بعد دفنها

تأثر وقال هلا آذتموني فذهب الى قبرها وصلى عليها •

وكان هناك رجل مخصوص يتولى تبخير المسجد وهو نعيم المجر

وسمى بالمجر نسبة الى هذه الوظيفة - وليس هذا خاصا بمسجده بل كان

يحث على ذلك بوجه عام •

فقد جاء في الحديث : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء

المساجد في الدور وأمرنا ان ننظفها (۳) •

وفي رواية : وأن نظيها •

(۱) رواه الطبراني والبيهقي •

(۲) رواه الطبراني وابو نعيم •

(۳) رواه الترمذي •

وأمر ان تكون المطاهر « يعنى اماكن قضاء الحاجة » على ابوابها حتى لا يوسخ الناس المساجد ونهى الرجل ان يتنخم في المسجد وأخبر أن تنظيف المسجد حتى من القذاة « وهى اصغر شيء يسكن ان يتصور من الوسخ » فيه أجر كبير .

صوته الشريف

كان صوته صلى الله عليه وسلم حسنا وقد اخبرنا أنس عن ذلك فقال ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجهها وأحسنهم صوتا (١) .

وقال البراء بن عازب قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشاء والتين والزيتون فلم اسمع صوتا احسن منه (٢) .

وقال جبير بن مطعم كان صلى الله عليه وسلم حسن النعمة (٣) وكان في صوته صحل كما تقول ام معبد والصحل بفتح الصاد والحاء كالبحه وان لا يكون حاد الصوت ، وكان في صوته قوة بحيث يبلغ ما لا يبلغه صوت غيره . ووصفه البراء فقال خطبنا حتى اسمع العواتق في خدورهن (٤) .

وقالت أم هانئ : كنا نسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي (٥) .

-
- (١) رواه الترمذى .
 (٢) رواه الشيخان .
 (٣) رواه ابو الحسن الضحاك ونقله في شرح المواهب .
 (٤) رواه البيهقى والعواتق جمع عاتق أي الشابة .
 (٥) رواه ابن ماجه .

كمال خلق القلب المحمدى

ان قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو خير القلوب وأذكاهها وأوسعها وأقواها وأتقاها وانقاها وألينها وأرقها وهو القلب الواعى اليقظان الفياض بأنوار الايمان والقرآن .

فخير القلوب قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم ، جاء في مسند أحمد وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : ان الله تعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه صلى الله عليه وسلم يقاتلون عن دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سييء .

كما وان قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم هو ازكى القلوب وأطهرها فقد شق صدره الشريف منذ صغره واستخرج من قلبه حظ الشيطان ، كما روى مسلم وغيره عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقه ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بساء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون الى امه ، يعنى : ظئرهم - أي مرضعته - فقالوا : ان محمدا

قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون - أي متغير اللون - قال انس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم .

وهذا الشق للصدر الشريف قد حصل له صلى الله عليه وسلم أول مرة وهو صغير السن عند حليلة .

وأما المرة الثانية : فقد شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين ، والحكمة فيه ان العشر قريب من سن التكليف ، فشق قلبه صلى الله عليه وسلم وقدم حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال .

وأما المرة الثالثة : فقد شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم عند مجيء جبريل عليه السلام بالوحي اليه حين نبىء .

والحكمة في هذا الشق - كما أفاده المحققون - هو الزيادة في اكرامه وامداده صلى الله عليه وسلم وتقويته واعداده ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي في أكمل الاحوال القدسية المرضية .

وأما المرة الرابعة : فقد شق صدره الشريف ليلة الاسراء كما ورد في الصحيحين .

والحكمة في هذا الشق - كما أفاده العارفون - هو الزيادة في اكرامه صلى الله عليه وسلم واعظامه والزيادة في امداده واعداده للتأهب للوقوف بين يدي الله تعالى ومناجاته ومشاهدة الانوار والاسرار وتجليات الجمال والجلال .

وقال الحافظ القسطلاني ايضا : ثم ان جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة ، مما يجب التسليم له

دون التعرض لصفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك •
 وقال ايضاً : قال السيوطى : وما وقع من بعض جهلة العصر من انكار
 ذلك وحمله على الامر المعنوي والزام قائله القول بقلب الحقائق فهو جهل
 صراح وخطأ قبيح نشأ من خذلان الله تعالى لهم وعكوفهم على العلوم
 الفلسفية وبعدهم عن دقائق السنة •

لقد اعطى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم يقظة القلب فهو في
 توجه الى الله تعالى ووعى عنه دائمين لا تعتريه غفلة ولا يطرأ على قلبه صلى
 الله عليه وسلم شائبة نومة ولذا كانت رؤياه المنامية من جملة طرق الوحي
 وأنواعه كما ان نومه لا ينقض وضوءه صلى الله عليه وسلم وقد ثبت ذلك
 بالاحاديث الصحيحة ففي صحيح البخارى وغيره عن عائشة رضي الله عنها
 في حديث قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالليل : قالت عائشة : قلت يا
 رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي •
 وروى البخارى عن جابر رضي الله عنه قال : جاءت ملائكة الى النبي صلى
 الله عليه وسلم وهو نائم ، وفي رواية الترمذى : خرج علينا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال : انى رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل
 عند رجلى • فقال بعضهم : انه نائم ، وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب
 يقظان ، فقالوا : ان لصاحبكم هذا مثلاً ، قال فاضربوا له مثلاً ، فقالوا :
 مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مآدبة وبعث داعياً فمن اجاب الداعى
 دخل الدار وأكل من المآدبة ، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل
 من المآدبة ، فقالوا : أولوها له يفقهها - أي يفهمها - فقال بعضهم : انه نائم •

وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : فالدار الجنة والداعى
محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أطاع
الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ، الحديث •

وفي سنن الدارمي : اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له : لتتم عينك
ولتسمع اذنك وليعقل قلبك ، قال : فنامت عيناى وسمعت أذناى وعقل قلبى ،
فقيل لي : سيد بنى دارا فصنع مأدبة وارسل داعيا فمن أجاب الداعى دخل
الدار وأكل من المأدبة ورضي عنه السيد ، ومن لم يجب الداعى لم يدخل
الدار ولم يطعم من المأدبة وسخط عليه السيد ، قال : فالله السيد ومحمد
الداعى والدار الاسلام والمأدبة الجنة •

حكم وفوائد من شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم

الفائدة الاولى : قال العلامة ابن المنير وشق الصدر له صلى الله عليه وسلم وصبره عليه من جنس ما ابتلي الله تعالى به الذبيح وصبر عليه بل هذا أشق وأجل لان تلك معاريض وهذه حقيقة •
وايضا فقد تكرر ووقع له وهو صغير يتيم بعيد عن أهله صلى الله عليه وسلم •

الفائدة الثانية : سئل شيخ الاسلام أبو الحسن السبكي رحمه الله تعالى عن العلقه السوداء التي أخرجت من قلبه صلى الله عليه وسلم حين شق فؤاده وقول الملك : هذا حظ الشيطان منك •

فأجاب رحمه الله تعالى : بأن تلك العلقه خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه صلى الله عليه وسلم فلم يبق فيه مكان لان يلقي الشيطان فيه شيئا •

هذا معنى الحديث • ولم يكن للشيطان فيه حظ ، وأما الذي نفاه الملك فهو أمر في الجبله البشرية فأزيل القابل الذي لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف في القلب ، قيل له : فلم خلق الله تعالى هذا القابل في هذه الذات الشريفه ؟ وكان يمكن ان لا يخلقه الله تعالى فيها ؟

فقال : انه من جملة الاجزاء الانسانية فخلق تكملة للخلق الانساني ولا بد منه ونزعه كرامة ربانية طرأت •

وقال غيره : لو خلق الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته صلى الله عليه وسلم فأظهره الله تعالى على يد جبريل عليه الصلاة والسلام ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر صلى الله عليه وسلم •

الفائدة الثالثة : قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : الحكمة في شق صدره صلى الله عليه وسلم مع القدرة على أن يمتليء قلبه ايمانا وحكمة من غير شق الزيادة في قوة اليقين لانه أعطى برؤيته شق صدره وعدم تأثيره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان صلى الله عليه وسلم اشجع الناس حالا ومقالا ولذلك وصف بقوله تعالى : « ما زاغ البصر وما طغى » •

الفائدة الرابعة : في الحكمة في تكرره قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الاولى والثالثة والرابعة : ولكل من الثلاث حكمة فالاولى كانت في زمن الطفولية لينشأ على أكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ثم عند البعث زيادة في اكرامه لتلقى ما يلقي اليه بقلب قوى في أكمل الاحوال من التطهير ، ثم وقع عند ارادة العروج الى السماء ليتأهب للمناجاة •

قال الحافظ الشامي قلت : وسئلت عن حكمة المرة الثانية مع ذكره اياها في كتاب التوحيد جازما بها : ويحتمل أن يقال لما كان التمييز في ثامن

سن التكليف شق صدره صلى الله عليه وسلم وقدس حتى لا يتلبس بشيء
مما يعاب على الرجال والله أعلم •

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : ويحتمل أن تكون الحكمة
في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما هي شرعه
صلى الله عليه وسلم •

وقال ابن أبي جرة رحمه الله تعالى : وانما غسل قلبه وقد كان مقدسا
وقابلا لما يلقي فيه من الخير وقد غسل أولا وهو صغير السن وأخرجت منه
العلة اعظاما وتأهبا لما يلقي هناك يعنى في المعراج •

وقد جرت الحكمة بذلك في غير ما موضع مثل الوضوء للصلاة لمن كان
متوضئا لان الوضوء في حقه انما هو اعظام وتأهب للوقوف بين يدي
الله تعالى ومناجاته ولذلك تسن الزيادة على الواحدة والثنتين اذا أسبغ بالاولى
لان الاجزاء قد حصل وبقي ما بعد الاسباغ الى الثلاث اعظاما وكذلك غسل
البطن هنا بالنسبة له صلى الله عليه وسلم •

وقد قال تعالى « ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » فكان
الغسل له صلى الله عليه وسلم من هذا القبيل واشارة لامته بالفعل بتعظيم
الشعائر كما نص لهم عليه القول •

وقال البرهان النعماني رحمه الله تعالى قد حسن لداخل الحرم الشريف
الغسل فما ظنك بداخل الحضرة المقدسة فلما كان الحرم الشريف من عالم

الملك وهو ظاهر الكائنات أنيط الغسل له بظاهر البدن في عالم المعاملات ،
ولما كانت الحضرة الشريفة من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات أنيط الغسل
بباطن البدن في الحقيقتات .

وقد عرج به لتعرض عليه الصلاة وليصلى بملائكة السموات ومن شأن
الصلاة الطهور ، فقدس ظاهرا وباطنا صلى الله عليه وسلم .
فان قلت : ان الله تعالى خلقه نورا متنقلا من الانبياء وفي صفاء النور
ما يعنى عن التطهير الحسي ثم ان المرة الاولى لم تكن كافية في تطهير الباطن
ويلزم عليه أنه بعد النبوة كان فيه شيء يحتاج الى ذلك وهو منزه عن ادراان
البشرية .

(قلت) الاولى لعلم اليقين ، والثانية لعين اليقين ، والثالثة لحق اليقين .
الفائدة الخامسة : قال السهيلي : وخص الذهب لكونه مناسبا للمعنى
الذى قصد به ، وان نظرت الى لفظ الذهب فمطابق للذهاب وان الله تعالى
أراد أن يذهب عنه الرجس ويطهره تطهيرا صلى الله عليه وسلم وان نظرت
الى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شيء وأصفاه .

الفائدة الخامسة : قال السهيلي : وخص الذهب لكونه مناسبا للمعنى
أنه أفضل المياه وبه جزم الامام البلقيني .

قال ابن أبي جيرة انما لم يغسل بساء الجنة لما اجتمع في زمزم من كون
أصل مائها من الجنة ثم استقر في الارض فأريد بذلك بقاء بركته صلى الله
عليه وسلم في الارض .

وقال غيره لما كان ماء زمزم أصل من أوتيه اسماعيل صلى الله عليه وسلم

وقد ربي عليه ونما عليه قلبه وجسده وصار هو صاحبه وصاحب البلدة
المباركة ناسب أن يكون ولده الصادق المصدوق كذلك ولما فيه من الاشارة
الى اختصاصه بذلك بعده فانه قد صارت الولاية اليه في الفتح فجعل السقاية
للعباس ولولده وحجابه البيت لعثمان بن أبي شيبة وعقبه الى يوم القيامة .

الفائدة السابعة : الحكمة في غسل صدره صلى الله عليه وسلم بساء
الثلج والبرد هي مع ما فيها من الشفاء وعدم التكدر بالاجزاء الترايبية التي
هي محل للارجاس وعنصر الاكدار الايساء الى أن الوقت يصفو له ولائته
ويروق لشريعته الغراء وسنته والاشارة الى ثلوج صدره أي اشراحه
بالنصر على أعدائه والظفر بهم والايذان ببرودة قلبه أي طمأنينته على أمته
بالمغفرة لهم والتجاوز عن سيئاتهم .

وقال ابن دحية : انما غسل قلبه بالثلج لما يشعر به من ثلج اليقين الى
قلبه وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول بين التكبير والقراءة : اللهم اغسلني
من خطاياي بالثلج والبرد وأراد تعالى أن يغسل قلبه بساء حمل من الجنة في
طست من ذهب مستلىء حكمة وايماناً ليعرف قلبه طيب الجنة ويجد حلاوتها
فيكون في الدنيا أزهد وعلى دعوة الخلق الى الجنة أحرص . ولانه كان له
أعداء يتقولون عليه فأراد الله تعالى أن ينفي عنه طبع البشرية من ضيق الصدر
وسوء مقالات الأعداء ، فغسل قلبه ليورث ذلك صدره سعة ويفارقه الضيق .
كما قال تعالى « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » فغسل قلبه
غير مرة فصار بحيث اذا ضرب أو شج رأسه أو كسرت رباعيته كما في يوم
أحد يقول : اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون .

الفائدة الثامنة : اختلف في تفسير الحكمة ف قيل انها العلم المشتغل على معرفة الله مع نفاذ البصير وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم من حاز ذلك .

قال الامام النووي : هذا ما صفا لنا من أقوال كثيرة ، انتهى .

وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتغل على ذلك كله وعلى النبوة كذلك ، وقد تطلق على العلم فقط وعلى المعرفة فقط ونحو ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر : أصح ما قيل فيها انها وضع الشيء في محله أو الفهم في كتاب الله تعالى وعلى التفسير الثاني قد توجد الحكمة دون الايمان وقد لا توجد وعلى الاول فقد يتلازمان لان الايمان تدل عليه الحكمة .

فائدة مهمة : قال الحبيب الامام العارف بالله السيد علي الحبشي في قضية شق الصدر النبوي ، واخراج حظ الشيطان منه ، كما جاء في الاخبار والاثار .

وما أخرج الاملاك من قلبه أذى ولكنهم زادوه طهرا على طهر

يقول محمد علوي مؤلفه ووقع في قلبي معنى آخر ، وهو أن قلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مملوء بالرحمة ، بل هو منبعها وأصلها كما قال الله تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وهذه الرحمة شاملة كاملة ، لانها رحمة

الله التي وسعت كل شيء ، ولكن الله سبحانه وتعالى أخرج الشيطان وأعوانه
واخوانه ومن قدر عليه الشقاء من هذه الرحمة ، فلا نصيب لهم فيها ولا شيء
لهم منها ، ويكون المعنى حينئذ انهم أخرجوا من قلبه الشريف حظ الشيطان
من رحمته ، فلا حظ للشيطان في هذه الرحمة ، والله أعلم •

كمال العقل المحمدى

العقل الكامل هو الاصل الذى تنشأ عنه الخصال الحميدة والمواهب الرشيدة وبه تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل ، وهو الذى يسلم صاحبه الى مجامع الخير والفضل ، كما ورد في حديث اسلام خالد بن الوليد حين دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه بالنبوة ، قال : فرد علي السلام بوجه طلق . فقلت : انى أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ، فقال له : تعال ، فأقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى هداك ، قد كنت أرى لك عقلا رجوت ان لا يسلمك الا الى الخير ، الحديث .

وروى الطبرانى عن قرّة بن هبيرة رضي الله عنه انه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : انه كان لنا أرباب وربات نعبدهن من دون الله عز وجل ، فدعوناهن فلم يجبن ، وسألناهن فلم يعطين فجننا فهدانا الله بك فنحن نعبد الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أفلح من رزق لبا (١) .
ولقد بلغ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله تعالى من ارجحية العقل وكماله الغاية القصوى التى لم يبلغها أحد سواه وذلك بنعمة الله تعالى وفضله عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى « ن والقلم وما يسطرون

(١) قال في مجمع الزوائد فيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات .

ما أنت بنعمة ربك بمجنون « أي أنت في أعلى مستوى من كمال العقل وسمو الفكر ، فلقد أقسم سبحانه بقوله : « ن » وهو المدد الالهي الفياض ، وبالقلم الاول المستفيض وبما سطره المسطرون في المستوى الاعلى الذى سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه صريف أقلامه وما تسطره الاقلام المستعدة من القلم الاول .

أقسم بهذا القسم العظيم على سعة عقل هذا الرسول الكريم وانه ليس فيه شائبة جنون ، وانما هو صاحب العقل الاكمل والعلم الواسع الافضل . وانه كيف لا يكون عقله فوق كل العقول وقد انعم الله عليه وأكرمه فخصه بالنبوة الجامعة والخاتمة والرسالة العامة ونزول القرآن الجامع للعلوم كلها فان هذه النعم لا يتحملها الا من خصه الله تعالى بأكمل العقول وارجحها . ولذا قال : ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، أي ما أنت بسبب نعمة ربك عليك بالنبوة والرسالة والقرآن الجامع لانواع العلوم والحكمة ، ما أنت بسجنون فهو ينفى ما اختلقه اعداؤه صلى الله عليه وآله وسلم ويثبت له بالدليل القاطع أرجحية العقل والحكمة وذلك ان من أوحى اليه القرآن الجامع للعلوم والمعارف وأوحى اليه الحكمة العالية التى هى فوق كل حكمة ، كيف يتصور أن يكون فيه شائبة خلل أو نقص؟! (١)

وقال وهب ابن منبه التابعى الثقة ، الذى روى له الشيخان وغيرهما ، قرأت في احد وسبعين كتابا - أي - من الكتب السابقة فوجدت في جميعها ، ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في

(١) الشمائل المحمدية لشيخنا الشيخ عبدالله سراج الدين ص ٧٤ .

جنب عقل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الا كعبة رمل من جميع رمال الدنيا ، وان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا « كذا في شرح المواهب » ويتجلى كمال عقله صلى الله عليه وسلم وسعة فكره في مواجهته صلى الله عليه وسلم للعالم الذي انتشرت الجاهلية في جميع طبقاته حتى انهم ضلت عقولهم وتحويل هذه العقلية الى عقلية لطيفة سليمة صائبة وهو أمر يحتاج الى عقل رجيح وفكر صحيح ولا ريب ان ذلك كان بتعاليم أحكم الحاكمين وبوحي رب العالمين ، ولكن التعاليم الالهية والايحاءات الربانية لا بد لها من عقل كبير مشرق منير قد اعده الله لحملها ، ويتجلى كمال عقله صلى الله عليه وسلم في أساليب حجته على عبدة الاوثان وأدلته على اليهود والنصارى والزمامم الحجة وافحامهم والقامهم حجر الخذلان .

ويتجلى كمال عقله صلى الله عليه وسلم في تعليم الشاب الذي جاءه يستأذنه في الزنا بقوله أترضى ان يزنى الناس بأمك أو بأختك أو ببتك ، فقال : لا ، فقال له صلى الله عليه وسلم وكذلك الناس يكرهونه فما كان من الشاب الا أن قال أشهدك انى تبت من الزنا .

ويتجلى كمال عقله صلى الله عليه وسلم في حكمه يوم حكمته قريش في وضع الحجر الاسود وذلك ان قريشا لما بنت الكعبة اختلفوا فيمن يضع الحجر الاسود في موضعه ، فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال وبلغ بهم الحال في ارادة الشر أن ضربت بنو عبدالدار جفنة مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم

وبنو عدي بن كعب بن لؤى على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا « لعقة الدم » فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب المسجد فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الامين رضينا هذا محمد ، فلما انتهى اليهم وأخبره الخبر قال صلى الله عليه وسلم : هلم الي ثوبا ، فأتى به ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه ، وفي ذلك يقول هبيرة بن وهب •

يقظته صلى الله عليه وسلم

ويتجلى كمال عقله الشريف صلى الله عليه وسلم في يقظته مع المتعدين له بالعداوة وأخذه بأنواع الحذر منهم وورده مكرهم عليهم ، فقد أمر زيد بن ثابت أن يتعلم كتابة اليهود ولغتهم وذلك أخذا بأسباب التحفظ من مكرهم وخديعتهم (١) ومن ثم قيل : من تعلم لغة قوم أمن من مكرهم .

وأرسل يوم بدر والاحزاب من يكشف له عن عدد العدو وعدته وهذا يدل على تمام يقظته التي يتجلى فيها كمال عقله الشريف . وأرسل يوم الاحزاب نعيم ابن مسعود الاشجعي يخذل بين صفوف الاعداء ، وقال له خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة ، ومن ذلك انه كان صلى الله عليه وسلم يلبس امور الحرب على أعدائه ويخفيها عنهم كيلا يتفطنوا لها ويستعدوا للدفع أو يزيدوا في الجمع وفي ذلك حقن للدماء .

وكل هذا يدل على كمال يقظته بأخذه بأسباب التحفظ والحيطة أو بأسباب تخويف وارهاب الاعداء ، وهذا من كمال عقله صلى الله عليه وسلم .

(١) عزاه الحافظ في الاصابة الى البخارى تعليقا .

حسن مدارته

ويتجلى كمال عقله صلى الله عليه وسلم في معاملته وحسن سياسته ومدارته للناس على مختلف طبقاتهم تأليفا لهم واستمالتهم نحو الحق الذى جاء به ، ولذلك فقد كان يدارى السفهاء والحمقى ليكف من غائلتهم وشرهم وليستميلهم ويجلب قلوبهم نحو السداد والرشاد ، وكان يقبل بوجهه على شر القوم يتألفهم بذلك .

وكان يقول : مداراة الناس صدقة (١) والمداراة محمودة وهى غير المداهنة ، لان المداراة بذل الدنيا لصلاح امر الدنيا أو الدين أو صلاح الدنيا والدين معا ، واما المداهنة فهى بذل الدين لصلاح الدنيا .

(١) رواه ابن عدي والطبرانى عن جابر مرفوعا بسند ضعيف .

حسن اختياره للرسول

ويتجلى كمال عقله صلى الله عليه وسلم في اتقائه الرسل الاذكياء العقلاء
ليبعثهم الى الامراء والملوك يبلغون ويدلون بالحجج المعقولة والحكم
المقبولة •

يشهد لهم بذلك حسن عرضهم في موافقتهم مع الملوك وقوة بيانهم
وبرهانهم •

فهذا العلاء بن الحضرمي يبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المنذر بن ساوى ومعه كتاب يدعو الى الاسلام فلما قدم عليه قال له : يا
منذر انك عظيم العقل فلا تصغرن في الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ليس
فيها تكريم للعرب ولا علم عند أهل الكتاب انهم ينكحون ما يستحيا من
نكاحه ، ويأكلون ما يتكرم عن أكله ويعبدون في الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة
ولست بعديم العقل ولا الرأي ، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا ان
لا تصدقه ، ولمن لا يخون ان لا تأمنه ؟ ولمن لا يخلف ان لا تثق به ؟

فان كان هذا هكذا ، فهذا هو النبي الامى الذى - والله - لا يستطيع
ذو عقل ان يقول ، ليت ما أمر به نهى عنه ، وما نهى عنه أمر به او ليته زاد
في عفوه او نقص من عقابه اذ كل ذلك منه على امنية اهل العقل وفكر اهل
النظر ، فقال له المنذر قد نظرت في هذا الذى في يدى دين المجوسية فوجدته

للدنيا دون الآخرة ونظرت في دينكم فرأيتهم للآخرة والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ؟ ولقد عجبت امس ممن يقبله - أي يدخل في الاسلام وعجبت اليوم ممن يرده - أي لا يدخل فيه مع انه المعقول وان من اعظام ما جاء به ان يعظم رسوله وسأنظر - أي فيما اصنع من الذهب الى هذا الرسول صلى الله عليه وسلم أو مكاتبته او غير ذلك لا في انه يسلم اولا يسلم ، فان قوله وعجبت اليوم ممن يرده ، اعتراف منه بأنه دين حق اه كما في شرح المواهب وغيره .

وهذا المهاجر بن أمية المخزومي شقيق أم سلمة أم المؤمنين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن عبد كلال أحد ملوك حمير فلما قدم عليه المهاجر قال له : يا حارث انك كنت أول من عرض عليه المصطفى نفسه فخطت عنه ، وأنت اعظم الملوك قدرا واذا نظرت في غلبة الملوك فانظر في غالب الملوك واذا سرك يومك فخف غدك وقد كان قبلك ملوك ذهبت آثارها وبقيت اخبارها ، عاشوا طويلا ، وأملوا بعيدا ، وتزودوا قليلا فسنهم من أدركه الموت ومنهم من أكلته النقم وانا ادعوك الى الرب الذي ان اردت الهدى لم يمنعك وان ارادك لم يمنعه منك أحد ، وادعوك الى النبي الامي الذي ليس شيء أحسن مما يأمر به ولا أقبح مما ينهى عنه .

واعلم ان لك ربا يسميت الحى ويحيي الميت ، ويعلم خائنة الاعن وما تخفى الصدور ، اه كما في روض الانف .

قال حاطب بن أبى بلتعة :

بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ملك الاسكندرية ،

فجئته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلني في منزله ، وأقمت عنده ليالى ، ثم بعث الي وقد جمع بطارقه فقال ، انى سأكلمك بكلام أحب ان تفهمه منى قال قلت : هلم قال : اخبرنى عن صاحبك ، أليس هو نيا ؟ قلت : بلى ، هو رسول الله ، قال : فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلدته الى غيرها ؟ فقلت له : فعيسى ابن مريم أتشهد أنه رسول الله ؟ قال بلى هو رسول الله . فقلت له فما له « حيث » أخذه قومه فأرادوا صلبه الا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله اليه في سماء الدنيا ! قال : أحسنت ، انت حكيم جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعث بها معك الى محمد ، وأرسل معك من يبلغك الى مأمئك ، قال : فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جوار منهن أم ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرى وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهم بن حذيفة العدوى ، وأخرى وهبها لحسان بن ثابت الانصارى ، وأرسل بثياب مع طرف من طرفهم .

كمال قوته البدنية صلى الله عليه وسلم

جمع الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بين شجاعة القلب وقوة البدن وهذا هو الكمال في الرجولة .

فقد روى ابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي وابو نعيم والبخاري واللفظ له عن سيدنا جابر رضي الله عنه انه قال : أنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية (١) شديدة فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق ، فقال : أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقا ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب في الكدية فعاد كئيبا أهيل ، هذه الكدية فسرتها روايات اخرى بانها صخرة ، كما ان تلك الروايات الاخرى بينت انهم لم يذهبوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا بعد أن عجزوا عن ازالتها وتكسرت فيها معاولهم ، وابانت تلك الروايات أيضا أن الضربات التي كانت منه صلى الله عليه وسلم في تلك الصخرة ثلاثة فقط .

والذي يبهر من قوته صلى الله عليه وسلم أن الصخرة لم تتحمل منه أكثر من ثلاث ضربات وقد كلت سواعد أصحابه رضي الله عنهم من كثرة ما حاولوه فيها ، هذه قوته صلى الله عليه وسلم وهو معصوب البطن من

(١) كديه : صخرة .

الجوع ومضى عليه ثلاثة أيام لم يذق طعاما ، ومعروف ما يحدثه الجوع المطلق من الضعف والهزال في البدن فما بالك بالجوع الشديد الذي كان من عدم الاكل اياما ثلاثة ، فلو كان غير جائع كانت قوته فوق هذا بكثير من غير شك وای قوة هذه التي تزيد كثيرا عما سمعت ؟ وأخرج ابو نعيم والبيهقي من طرق واللفظ للبيهقي من طريق اسحاق بن يسار ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لركانة بن عبد يزيد أسلم فقال : لو أعلم ان ما تقول حقا لفعلت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ركانة من أشد الناس - رأيتك ان صرعتك تعلم ان ذلك حق ، قال : نعم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرعه ، فقال له : عد يا محمد ، فعاد له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه الثانية فصرعه على الارض ، فانطلق ركانة وهو يقول : هذا سحر لم أر مثل هذا سحر قط ، والله ما ملكت من نفسي شيئا حين وضعت جنبي الى الارض .

وقد روى هذا الحديث من طريق ركانة نفسه وفيه صرح بانه أسلم رضي الله عنه وانظر قول ركانة والله ما ملكت من نفسي شيئا حين وضعت جنبي الى الارض ، تعلم منه ان ركانة رضي الله عنه ما كان شيئا يذكر بيده صلى الله عليه وسلم مع انه كان أقوى قريش بدنا وما صرعه أحد قبله عليه الصلاة والسلام .

كمال علمه صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسع العلم عظيم الفهم افاض الله تعالى عليه العلوم النافعة الكثيرة والمعارف العالمة الوفيرة ، وقد أعلن سبحانه وتعالى بسعة علمه صلى الله عليه وسلم ، واعلم بعظيم فضله فقال سبحانه « وانزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما » •

فهو صلى الله عليه وسلم اعلم خلق الله تعالى واعرفهم بالله تعالى كما ورد في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال : « ان اتقاكم واعلمكم بالله انا » •

وفي رواية الاصيلي : « انا اعرفكم بالله » •

ومن تدبر في تعاليم الله تعالى لرسله وانبيائه صلوات الله تعالى عليهم الواردة في القرآن الكريم يتضح له جليا ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم قد علمه الله تعالى علوما هي أكثر واوفر واجمع واعم ، وذلك لانه سبحانه قال : « وعلمك ما لم تكن تعلم » فجيبىء بـ « ما » التي هي للعسوم والشمول لتعم جميع العلوم التي علمها الله تعالى لرسله وانبيائه وتشمل غيرها من العلوم التي افاضها الله سبحانه عليه وجاء في الصحيحين واللفظ لمسلم عن انس رضي الله عنه ان الناس سألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم

حتى احفوه بالمسألة أي اكثروا عليه الاسئلة فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال : « سلوني لا تسألوني عن شيء الا بينته لكم » •

وفي رواية : « الا اخبرتكم به ما دمت في مقامى هذا » وجاء في هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم أر كاليوم قط في الخير والشر ، انى صورت لى الجنة والنار فرأيتهما دون هذا الحائط » •

ومن سعة علمه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جمع له القرآن بعلومه وحقائقه ، والقرآن هو بحر العلوم والمعارف واذا كان على بن ابي طالب كرم الله وجهه يقول لو تكلمت لكم على سورة الفاتحة لاوقرت (١) سبعين جبلا فما ظنك بعلوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومفاهيمه القرآنية •

ومن سعة علومه صلى الله عليه وسلم ما اطلعه الله عليه من كثير من المغيبات ، قال تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول » وقد اطلعه الله تعالى على كثير من المغيبات ومن ذلك اطلاعه صلى الله عليه وسلم عن بدء الخلق حتى دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار كما دل عليه ما رواه البخارى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه • وفي الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه

(١) لاوقرت : أي الأت كتبا حمل سبعين جمل •

وسلم فينا مقاما ، ما ترك فيه شيئا الى قيام الساعة الا ذكره ، علمه من علمه
وجعله من جهله قال حذيفة : وقد كنت ارى الشيء قد كنت نسيته فاعرفه
كما يعرف الرجل الرجل اذا غاب فرآه فعرفه .

كما اخبر صلى الله عليه وسلم عما هو كائن بعده الى يوم القيامة ،
ففى صحيح مسلم عن عمرو بن اخطب الانصارى رضى الله عنه قال : صلى
بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى
حضرت الظهر ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر
فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فاخبرنا بما هو كائن
الى يوم القيامة فأعلمنا احفظنا .

فما ترك امرا يكون الى يوم القيامة الا اخبر عنه ، وروى ابو داود عن
حذيفة رضى الله عنه قال : والله ما ادرى انسى اصحابى ام تناسوا ؟ والله
ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا
يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا سماه لنا باسمه واسم ابيه واسم قبيلته كما
ورد انه صلى الله عليه وسلم اخبر عن جميع اشراط الساعة الصغرى
والوسطى والكبرى واخبر عن احوال الآخرة وبرازخها واحوال أهل الجنة
واحوال أهل النار وتفصيل امورهم كلها كما هو مبين في كتب السنة . وفي
هذا دليل على سعة العلوم التى افاضها الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم ،
ومن ذلك اطلاعه صلى الله عليه وسلم على العوالم كما صح فى احاديث
المعراج من انه صلى الله عليه وسلم عرج به الى السموات السبع ودخلها

واحدة واحدة ورأى فيها ما رأى واجتمع مع الرسل عليهم الصلاة والسلام
 كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم اطلعه الله تعالى على عالم العرش بدليل أنه
 صلى الله عليه وسلم بين سعة العرش وأنه أوسع العوالم ، كما ورد أنه صلى
 الله عليه وسلم تكلم عن العرش وأن له الظلال ، وأن له القوائم ، وأن له
 الكنوز ، وتحدث صلى الله عليه وسلم عن حملة العرش وعن قوة حملة العرش
 وعظمن كما ورد في المسند أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنا محمد
 النبي الأمي ، ولا نبي بعدي ، قالها ثلاثاً ، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه ،
 وعلمت كم خزنة النار ، وحملة العرش » الحديث •

كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم اطلعه الله تعالى على عالم الجنة والنار
 ومثلنا له في عدة مناسبات ففي حديث المعراج « ثم ادخلت الجنة فإذا فيها
 جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك الاذفر » •

كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم اطلعه الله تعالى على عالم البرزخ
 واحوالهم وشؤونهم ، وعالم الحشر ، واحوال الناس فيه ، وعالم العرض ،
 وعالم الحوض ، واخذ الصحف والحساب والميزان والصراط ، واحوال أهل
 الجنة وأهل النار ، وحدث عن جميع تلك العوالم وفصل أمورهم صلى الله
 عليه وسلم •

كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم اطلعه الله تعالى على العوالم العلوية وما
 يجري بين الملائكة من الاختصاص حول الكفارات والدرجات ، وتجلت
 الأشياء كلها وعرفها كما في الحديث الذي رواه الترمذي وأحمد وغيرهما

عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى ،
فنعست في صلاتى حتى استثقلت ، فاذا انا بربى عز وجل فقال لى : يا محمد
فيم يختصم الملائ الا على ؟ قلت : لا ادرى » •

وفيه ان الله تعالى يفيض على النبى صلى الله عليه وسلم العلوم حتى
قال : « فتجلى لى كل شيء وعرفت » وفي رواية : « فعلت ما في السموات
وما في الارض » وفي رواية الطبرانى « فعلمنى كل شيء » وفي رواية له :
« فما سألنى عن شيء الا علمته ثم قال لى : يا محمد فيم يختصم الملائ الا على ؟
قلت : في الكفارات والدرجات » الحديث •

ومن سعة علومه صلى الله عليه وسلم علمه صلى الله عليه وسلم
باصناف المخلوقات وأنواع امم الحيوانات وبأحكامها وأوضاعها وتفصيل
امورها •

روى الطبرانى باسناد رجاله رجال الصحيح عن ابى الدرداء رضى الله
عنه قال : « لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في السماء طائر
يطير بجناحيه الا ذكر لنا منه علما وروى الامام أحمد عن ابى ذر رضى الله
عنه قال : « لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه
في السماء الا ذكر لنا منه علما » وزاد الطبرانى في روايته ايضا فقال النبى
صلى الله عليه وسلم : « ما بقى شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار الا وقد
بين لكم » •

فقد ذكر صلى الله عليه وسلم للصحابة علما كبيرا حول عالم الطير .

وفي هذا دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان واسع العلم في نواحي اصناف العالم كله .

وايضا فيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم بين جميع المهام الكونية المتعلقة بمصالح العالم وسعادة البشر من جميع الوجوه والاعتبارات .
فانه صلى الله عليه وسلم الذي تناول ذكر عالم الطير كيف يتصور منه انه يهمل بيان ناحية اصلاحية من نواحي المصالح البشرية ويترك ذكرها ويتناول ذكر عالم الطير واحكامه ؟ لا بل انه صلى الله عليه وسلم بين جميع النواحي الاصلاحية وطرق السعادات البشرية .

هذا وان بحار علومه صلى الله عليه وسلم لا يحيط بها الا الله تعالى الذي افاضها عليه وقد جاء في الصحيحين وغيرهما ، واللفظ للبخاري عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر ان بين يديها امورا عظاما ثم قال : « من احب ان يسأل عن شيء فليسأل عنه فوالله لا تسألوني عن شيء أي عن أي شيء كان الا اخبرتكم به ما دمت في مقامى هذا » قال انس : فاكثر الانصار البكاء ، وأكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول : « سلوني » فقال انس : « فقام رجل فقال : اين مدخلى يا رسول الله ؟ قال : النار ، فقام عبدالله بن حذافة من ابى يا رسول الله ؟ قال : « ابوك حذافة » ثم اكثر ان يقول : « سلوني ، سلوني » فبرك عمر على ركبتيه فقال : رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال عمر ذلك ، ثم قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لقد عرضت علي الجنة والنار آتفا في عرض هذا الحائط وانا اصلى ، فلم ار كاليوم في الخير والشر » •

فقد اذن صلى الله عليه وسلم للصحابة ان يسألوه عن أي شيء بدالهم ،
ما دام في مقامه ذلك •

كمال فصاحته وبلاغته

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله تعالى لسانا ،
وأوضحهم بيانا ، أوتى جوامع الكلم وبدائع الحكم ، وقوارع الزجر ،
وقواطع الأمر ، والقضايا المحكمة ، والوصايا المبرمة ، والمواعظ البالغة ،
والحجج الدامغة ، والبراهين القاطعة ، والادلة الساطعة ، وقد تحدث عن
نفسه في هذا الميدان فقال : انا محمد النبي الامي - قالها ثلاثا - ولا نبي
بعدي أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه الحديث (١) .

فكيف لا يكون أفصح خلق الله تعالى وقد آتاه الله تعالى لسانا جامعاً
للمعاني الكثيرة في الالفاظ اليسيرة وقال وهو على المنبر : « يا أيها الناس
انى قد أعطيت جوامع الكلم وخواتيمه واختصر لى اختصارا » (٢) وسأله
عمر رضي الله عنه عن سر فصاحته بقوله : يا نبي الله مالك أفصحنا ولم
تخرج من بين أظهرنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم كانت لغة اسماعيل قد
درست فجاءنى بها جبريل فحفظتها (٣) .

وقد اجمع الناس على ان محمدا الامي قد اوتى من الاسلوب السهل
المعجز ما لم يؤت معلم ولا متعلم ممن دانت لهم العربية وملكوا زمامها فله

(١) رواه أحمد في المسند وغيره .
(٢) عزاه الحافظ ابن كثير لابي يعلى .
(٣) رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان كذا في شرح المواهب .

جوامع الكلم وبدائع الحكم في لفظ ناصع وقول جزل ومعان صحاح خالدة في عبارات مضيئة مشرقة لا تكلف فيها ، ويقول الجاحظ يصف كلام الرسول « القى الله على كلامه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وهو مع استغناؤه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت له القدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا افحمه خطيب ولا يلتبس اسكان الخصم الا بما يعرفه الخصم ولا يحتج الا بالصدق ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم تقعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا من كلامه صلى الله عليه وسلم ، يقول علي : ما سمعت كلمة غريبة من العرب الا وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعته يقول : « مات حتف انفه » وما سمعتها من عربى قبله .

كان كلامه صلى الله عليه وسلم بينا لا فضول فيه ولا تقصير يحفظه من جلس اليه ، تقول عائشة : « ما كان رسول الله يسرد كسر دكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس اليه » وروى عنها أيضا : انه كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه ويقول أنس : كان اذا تكلم بكلمة ردها ثلاثا .

وقال له أصحابه : ما رأينا أفصح منك ، فقال : ان الله لم يجعلني لحانا اختار لي خير الكلام كتابه القرآن (١) .

(١) عزاه في الجامع الصغير الى الديلمي في الفردوس .

وكان يسدح الفصاحة ويكره اللحن ولذلك لما سأله العباس ما الجمال؟
قال : اللسان (١) وفي رواية انه سأله ما الجمال في الرجل فقال فصاحة
لسانه (٢) وقال رحم الله امرءا اصلاح من لسانه (٣) .

ومن كمال فصاحته انه صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل أمة منها
بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه
يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله ومن تأمل
حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار وأهل
الحجاز ونجد ككلامه مع أقبال خضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى
هدان : ان لكم فرعها (٤) ووهاطها (٥) وعزازها (٦) تأكلون علافها (٧)
وترعون عفاءها (٨) لنا من دفنهم (٩) وصرامهم (١٠) ما سلموا بالميثاق
والامانة (١١) ولهم من الصدقة الثلب (١٢) .

-
- (١) قال الزرقاوى هو مرسل ورواه الحاكم .
(٢) رواه العسكري .
(٣) رواه العسكري كذا في شرح المواهب .
(٤) وهى ما ارتفع من الارض من مرتفعات البقاع .
(٥) وهى الوهظة وما سفل وما انخفض .
(٦) وهو ما اشتد وصلب من الارض مما لا ملك ولا حد عليه .
(٧) جمع علف وهو ما تأكله الماشية .
(٨) فسروه بما ليس لاحد فيه ملك ولا أثر من عفا الشيء اذا اندرس .
(٩) الدفاء بكسر الدال المهملة وسكون الفاء فالهمزة وفسره هنا بالابل والغنم سميت بذلك
لأنها يتخذ من أصوافها واوبارها اثانا يتدفا به .
(١٠) جمع صرمة وهى القطعة من النخل ويجوز الثمر نفسه لانه يصرم من النخل أي يجذ
ويقطع فسمى بالمصدر .
(١١) والمراد بما سلموا بتشديد اللام ما يعطونه من الزكاة المفروضة .
(١٢) معناه الجمل المسن الهرم الذى سقطت اسنانه .

والناب (١) والفصيل (٢) والفارض الداخن (٣) والكبش الحواري (٤) وعليهم
فيها الصالغ (٥) والقارح (٦) .

وقوله صلى الله عليه وسلم لنهد : اللهم بارك لهم في محضها ومخضها (٧)
ومذقها (٨) وابعث راعيها في الدثر (٩) وافجر له الثمد (١٠) وبارك لهم في المال
والولد .

من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان
لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودائع الشرك (١١) ووضائع الملك لا
تلطظ في الزكاة (١٢) ولا تلحد في الحياة (١٣) ولا تتشاقل عن الصلاة وكتب لهم
في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض (١٤) والفريش (١٥) وذو العنان الركوب (١٦)

-
- (١) مثل الثلب معنى الا انه مخصوص بالنوق الاناث .
 - (٢) ولد الناقة الصغير .
 - (٣) الفارض البقرة الهرمة المسنة .
 - (٤) الكبش الذكر الكبير من الغنم .
 - (٥) الصالغ بفاء مهملة ولام وغين معجمة وهو من البقر والغنم ما كمل وانتهى سنه في السنة السادسة .
 - (٦) القارح من ذوات الحافر ما أكمل خمس سنين وهو في السنة الاولى .
 - (٧) المحض والمخض اصله تحريك السقاء الذي فيه اللبن .
 - (٨) وأصل معناه الخلط والمزج ثم استعمل في اللبن المخلوط .
 - (٩) وهو الابل الكثيرة ويقع على الواحد فما فوقه وقيل الدثر : الخصب وكثرة النبات .
 - (١٠) وهو الماء القليل .
 - (١١) والظاهر ان المراد عهودهم التي وقعت بينهم بعد الحروب وبعدم المؤاخذة بما قتلوا اذا تحاربوا وقتل بعضهم بعضا وما أراقوا من الدماء هدر .
 - (١٢) أي لا تمنعها .
 - (١٣) من الحد الحادا اذا جار وعدل عن الحق .
 - (١٤) يعنى لا يؤخذ منكم ولا يكون على الانصاء لانه لا تصح به الزكاة .
 - (١٥) الحديث العهد بالنتاج .
 - (١٦) الركوب بفتح الراء هو المركوب الذلول .

والفلو (١) الضبيس (٢) لا يمنع سرحكم (٣) ولا يعضد طلحكم (٤) ولا
 يحبس دركم (٥) ما لم تضسروا الرماق (٦) وتأكلوا الرباق (٧) ومن اقرقله
 الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة (٨) .

ومن كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والاوراع المشاييب
 وفيه في التبعة شاة (٩) لا مقورة الالياظ (١٠) ولا ضناك (١١) وانطو
 الشجة (١٢) وفي السيوب الخمس (١٣) ومن زنى مم بكر فاصقوه مائة (١٤)
 واستوفضوه عاما (١٥) ومن زنى مم ثيب فخرجوه بالاضماميم (١٦) ولا توصيم

-
- (١) المهر الصغير من الخيل .
 (٢) المهر العسير الركوب .
 (٣) وهى الماشية التى تسرح بالفداة للمرعى .
 (٤) الطلح شجر عظام .
 (٥) والمراد به هنا الانعام ذوات الدر لا تحبس عن المرعى فى مكان يجتمع فيل ليعدها من ياخذ
 الصدقة لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها .
 (٦) تضسروا بمعنى تخفوا وتكنموا ، الرماق هو النفاق والمعنى ما لم تضق قلوبكم عن الحق .
 (٧) جمع ربة وهى جبل فيه عرى يشد به البهائم ، وفي الحديث خلع ربة الاسلام من
 عنقه والمعنى ان هذا امر مقرر عليكم منا ما لم تنقضوا العهد وترجعوا عن الاسلام .
 (٨) الربوة بتثنية الراء المهملة أى الزيادة ، وفسرت الربوة بان يؤخذ منه زيادة على فريضة
 الزكاة عقوبة له .
 (٩) التبعة : الاربعون من الغنم وقيل الخمس من الابل وقيل هى ادنى ما تجب فيه الصدقة
 من الغنم والابل .
 (١٠) مقورة من الاقورار وهى المسترخية الجلد من الهزال والالياظ جمع ليط وهو قشر
 العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه اذا الصقه وقيل المقورة: المقطوعة والمعنى بها الناقصة
 بفتح الضاد المعجمة وكسرهما وهى الكثرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها .
 (١٢) انطاء بمعنى اعطاء لفة أهل اليمن او لبنى سعد ، الشجة أى الشاة الوسطى ليست
 بادنى ولا أعلى من ثبج كل شىء وسطه .
 (١٣) السيوب جمع سيب وهو الركائز .
 (١٤) قوله مم بكر وما يأتى من قوله مم ثيب اصله كما فى النهاية من بكر ومن ثيب فاصقوه
 أى فاضربوه .
 (١٥) أى اطرده او انفوه وغربوه .
 (١٦) أى ارجموه حتى يسيل دمه او يقتل والاضماميم : الحجارة .

في الدين (١) ولا غمة (٢) في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر
 يترفل (٣) على الاقيال اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان
 كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه
 الالفاظ استعمالها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلسون •
 وكقوله في حديث عطية السعدى فان اليد العليا هي المنطية (١) واليد
 السفلى هي المنطاة (٥) قال فكلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا
 وقوله في حديث العامرى حين سأله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم سل
 عنك اى سل عما شئت وهى لغة بنى عامر •

واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه الماثورة
 فقد الف الناس فيها الدواوين وجسعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا
 يوازي فصاحة ولا يبارى بلاغة •

ونذكر جملة صالحه من ذلك تبركا بكلامه صلى الله عليه وسلم :
 انما الاعمال بالنيات « رواه الشيخان » •
 ليس للعامل من عمله الا ما نواه نية المؤمن خير من عمله رواه الطبرانى •
 يا خيل الله اركبى « رواه الشيخان » •

-
- (١) توصيم من الوصم وهو العيب والعار اى لا كسر ولا عيب ولا عار ولا كسل في اقامة
 حدود الله فلا تحابو •
 (٢) اى لا ستر ولا غطاء • وفي رواية ولا عمه بمهمله فميم مخففة مفتوحين فهاء اى لا خيرة
 ولا تردد •
 (٣) اى يتامر ويتراس •
 (٤) اى المعطية •
 (٥) اى المعطاء •

- كل الصيد في جوف الفرا « رواه الرامهرمزي » والفرا حمار الوحش •
- الحرب خدعة « رواه الشيخان » •
- اياكم وخضراء الدمن المرأة الحسناء في المنبت السوء « رواه الرامهرمزي » والدمن جمع دمنة وهى البعر •
- لا يجنى جان الا على نفسه « رواه الامام احمد وابن ماجه » •
- ليس الشديد من غلب الناس انما الشديد من غلب نفسه « رواه ابن جان » •
- ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب « رواه الشيخان » أي ليس القوى هو الذى يصرع غيره بل هو الذى يملك نفسه •
- ليس الخبر كالمعاينة « رواه أحمد وغيره » والمعاينة أي المشاهدة •
- المجالس بالامانة « رواه العقيلي » •
- البلاء موكل بالمنطق « رواه ابن ابى شيبه وغيره » •
- ترك الشر صدقة •
- أي داء ادوى من البخل « رواه البخارى » •
- لا ينتطح فيها عنزان - أي لا يجرى فيها خلاف ولا نزاع •
- الحياء خير كله - متفق عليه •
- اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع « رواه في مسند الفردوس » •
- سيد القوم خادمهم « رواه أبو عبدالرحمن السلمى » •
- فضل العلم خير من فضل العبادة « رواه الطبرانى وغيره » •

الخيال في نواصيها الخير - متفق عليه ، وفي لفظ معقود بنواصيها الخير •
أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة
الرحم « رواه أحمد والترمذي » •

ان من البيان لسحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكمة « رواه
ابو داود » •

نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ « رواه البخاري » •
المكر والخديعة في النار « رواه البيهقي والبزار وهو معمول به في
الترغيب »

المستشار مؤتمن « رواه احمد وغيره » •
الندم توبة « رواه الطبراني ورواه أحمد » وهو صحيح •
الدال على الخير كفاعله « رواه العسكري ورواه الطبراني » وهو
معمول به في الترغيب •

حبك الشيء يعنى ويصم « رواه أحمد وأبو داود وغيره » وهو حسن •
العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضى والزعيم غارم « رواه أحمد
والترمذي وغيره » والمنحة هي ما يمنح الرجل صاحبه من أرض يزرعها ثم
يردها أو شاة يشرب درها ثم يردها • والزعيم أي الكفيل وغارم أي ضامن •
سبقك بها عكاشة « رواه البخاري » •

خير المال عين ساهرة لعين نائمة ومعناه ان خير المال ما يبقى نفعه كعين
الماء يجريها الانسان فهي تجري وصاحبها نائم وثوابه جار كعين ماء تجري

يجريها الانسان فهي تجري وصاحبها نائم وثوابه جار كعين ماء تجري ليلا ونهارا وصاحبها نائم •

خير مال المرء مهرة مأمورة او سكة مأبورة « رواه الامام احمد وغيره » ومعنى مأمور كثيرة النتاج وسكة مأبورة أي طريقة مصطفة من النخل •

من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه « رواه مسلم » •

زرغبا تزدد حبا « رواه البزار وغيره » وهو حديث حسن ومعناه زر أخاك وقتا بعد وقت •

انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم باخلاقكم « رواه ابو يعلى وغيره » •

ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق « رواه أحمد وسنده جيد وفي رواية بزيادة فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا ابقى « رواه البزار وغيره » والمنبت المنقطع والمراد به الذي يعسف الركاب ويحملها على ما لا تطيق رجاء الاسراع فينقطع ظهره فلا هو قطع الارض التي أراد ولا أبقى ظهره سالما •

ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه « رواه البخاري » •

الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى « رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه » والكيس هو العاقل ودان نفسه أي حاسبها •

ما حاك في صدرك فدعه « رواه الطبراني » والمعنى أن ما تردد في نفسك فاتركه ولا تلتفت للوساوس •

تنكح المرأة لجمالها ومالها ودينها وحسبها فعليك بذات الدين تربت

يداك « متفق عليه » ، وتربت لصقت بالتراب أي افتقرت اذا خالفت •

الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه « رواه البيهقي

وغيره » وقال الهيثمي ان سنده حسن •

القناعة مال لا ينفذ وكنز لا يفنى « رواه الطبراني وغيره » وفيه كلام

ومعناه صحيح ، ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من لاقتصد

« رواه الطبراني » وهو معسول به في الاخلاق ومعنى ولا عال من اقتصد أي

ولا افتقر •

الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل

وحسن السؤال نصف العلم « رواه البيهقي وغيره » وهو حسن في الاخلاق •

لا عقل كالتيدير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق « رواه

الترمذي » وابن حبان والمراد بالكف كف الاذى أو كف اللسان •

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هاجر ما حرم

الله « متفق عليه » •

التيدير نصف المعيشة والتودد نصف العقل والهم نصف الهرم وقلة

العيال أحد اليسارين « رواه الديلمي » •

لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له « رواه الامام احمد

وغيره » •

حسن العهد من الايمان « رواه الحاكم في مستدرکه » •

جمال الرجل فصاحة لسانه « رواه القضاعي » •

منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا « رواه الطبراني وغيره » •
لا فقر أشد من الجهل ولا مال أعز من العقل ولا وحشة أشد من العجب
« رواه ابن ماجه » •

الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شئت « رواه
الديلمي في مسند الفردوس » •

ما جمع شيء الى شيء أحسن من حلم الى علم « رواه العسكري » •
التمسوا الرزق في خبايا الارض « رواه ابى شريح » •

كن في الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل وعد نفسك في أهل القبور
« رواه البيهقي وغيره » •

صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفى غضب الرب
وصلة الرحم تزيد في العمر « رواه الطبراني » •

الغفو لا يزيد العبد الا عزا والتواضع لا يزيده الا رفعة وما نقص مال
من صدقة « رواه مسلم وغيره بألفاظ مختلفة » •

وغير ذلك مما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه
وأدعيته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز
فيها سبقا لا يقدر قدره •

كمال معارفه الدنيوية بالتخطيط والتنظيم لشؤون الاسكان والاسواق وغير ذلك

كان صلى الله عليه وسلم يهتم بعملية التخطيط والترتيب لبناء المنازل والدور وكانت له صلى الله عليه وسلم معرفة واسعة بتخطيط ذلك وتنظيمه على أساس يحفظ حق الشارع والمارة ويحفظ حق الجار ويحفظ حق المسجد ويراعى في ذلك أيضا القواعد الصحية المطلوبة ، من مناسبة البناء في ذلك المكان او عدم مناسبته فالدور لها موضعها الخاص بها في تخطيطه صلى الله عليه وسلم والحمام كان له موضعه المناسب له في التخطيط النبوي والسوق له موضعه اللائق به في التخطيط النبوي وقد كان يقوم بنفسه صلى الله عليه وسلم على تنفيذ ذلك والارشاد الى ما ينبغي .

روى ابن سعد في طبقاته لما أقطع عليه السلام الدور بالمدينة خط لعثمان

ابن عفان داره اليوم .

وقد خرج صلى الله عليه وسلم الى مكان فسيح فقال نعم موضع

الحمام هذا فبنى فيه الحمام ، وهذا داخل في معرفته صلى الله عليه وسلم بالهندسة والبناء ومهابة الاهوية (١) .

وروى ابو داود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ان ينادى

(١) انظر الترايب الادارية ٢٨٢/١ .

في معسكره ان من ضيق منزلا او قطع طريقا فلا جهاد له وذلك لما ضيق
الناس المنازل وقطعوا الطرق فيؤخذ منه انه كان صلى الله عليه وسلم يجب
النظام حتى في نصب الاخبية في السفر فكيف لا يجب ذلك في محل الاستيطان
والبناء المشيد .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يأمر في البناءات ان تكون على مقتضى
القواعد الصحية ، ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن حق الجار
لا ترفع بناءك فوق بناءه فتسد عليه الريح ولا تؤذ به بريح قدرك الا ان تعرف
له منها (١) وفي رواية ولا تحجب عنه الريح الا باذنه (٢) وقد اختار عليه
السلام محل السوق وارشده اليه وقام بنفسه لينظر اليه فلما رآه اعجبه وركض
برجله وقال : نعم سوقكم هذا فلا ينقص .

وكان قد ذهب قبل ذلك الى السوق القديم فقال : ليس لكم هذا
بسوق ثم رجع الى الثاني فقال ما قال وحثهم على عمارته (٣) « ت ١٦٣ / ٢ » .
ومن اهتمامه بأمر السوق صلى الله عليه وسلم انه كان يراقب احوالهم
ويسأل عما يجرى في السوق وما يحدث ويرعى ذلك رعاية كاملة ولما علم
انهم كانوا يشترون الطعام من الركبان بعث من يسنعهم من ذلك وقد يضربهم
على فعل ذلك ، روى البخارى في الصحيح عن ابن عمر انهم كانوا يشترون
الطعام من الركبان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث عليهم من

-
- (١) رواه البيهقى وقال سنده ضعيف وله شواهد .
(٢) اخرجه ابن عدى في الكامل ، كذا في الترتيب ٨٠/٢ .
(٣) روى ابن ماجه والطبرانى قصة السوق بروايتين جمعنا بينهما هنا .

يمنعهم ان يبيعوه حيث اشتروه حتى ينقلوه حيث يباع الطعام (١) .
 ونهى عن تلقى الركبان كما ثبت في الصحيح وينهى ان يبيع حاضر لباد
 وقد يخرج بنفسه الى السوق لمراقبة ما يجرى هناك كما جاء في الحديث انه
 صلى الله عليه وسلم مر على صاحب طعام فأدخل يده فنالت بللا فقال يا
 صاحب الطعام ما هذا قال اصابته السماء يا رسول الله قال أفلا جعلته فوق
 الطعام حتى يراه الناس ثم قال من غش فليس منا ، قال الترمذى حسن صحيح
 واستعمل صلى الله عليه وسلم بعد الفتح سعيد بن سعيد بن العاص على
 سوق مكة واستعمل عمر على سوق المدينة (٢) .

ومن اهتمامه بأمر السوق مراقبته للوزان وامره له بالعدل والفضل ،
 يقول ابو هريرة : كان لاهل السوق وزان يزن ، فقال له عليه السلام زن
 وارجح (٣) ومعنى قوله زن أي زن التمر وارجح أي زد عليه حتى ترجح
 الميزان بزيادة الكفة .

وكان صلى الله عليه وسلم يهتم بتوفير السلع في الاسواق ورواجها
 وكثرتها لئلا تغلو ولتكون في متناول اليد ، ومن هذا المبدأ كان يقول :
 الجالب مرزوق والمحتكر ملعون - رواه ابن ماجه - وكان يحذر الناس من
 بعض اصحاب الحرف اذ كان يعرف عنهم الغش والكذب ويقول : اكذب
 الناس الصباغون والصواغون - رواه ابن ماجه - وقال في الفتح وهو حديث

(١) صحيح ابى عبدالله البخارى « البيوع » .

(٢) السيرة الحلبية ٣/٣٥٤ .

(٣) رواه احمد في المسند .

مضطرب الاسناد رواه احمد وغيره ، وكان يحث على الخروج الى الاسواق
للبيع والشراء والتجارة ومزاولة الاعمال والحرف المختلفة .

وقد حث الذي جاء يشتكى اليه الفاقه ان يشتغل بجمع الحطب وقال
له انطلق الى هذا الوادى فلا تدعن شوكا ولا حطبا ولا تأتيني الا بعد عشرة
أيام فكان هذا حثا وحضا على مهنة جمع الحطب (١) وجاء سعد بن عائد
يشتكى اليه صلى الله عليه وسلم قله ذات يده فأمره بالتجارة فخرج الى
السوق فاشترى شيئا من قرظ فباعه فربح فيه فذكر ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فأمره بلزومه فلزم التجارة فيه (٢) وكان اذا رأى الصبيان في السوق
يبيعون يدعو لهم بالبركة ويفرح بهم ويشجعهم ، وقد مر بعبدالله بن جعفر
وهو يبيع بيع الصبيان فقال اللهم بارك له في بيعه او صفقته (٣) في رواية
للعامري قال كنا غلمانا نعمل في السوق ، الحديث رواه ابو داود .

ومن اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالسوق انه سمى القائمين فيه بالبيع
والشراء تجارا ، وقد كان يطلق عليهم سماسرة .

فقد روى ابن ماجه عن قس بن ابى عزاره كنا نسمى في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم السماسرة فمر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسمانا باسم هو أحسن منه ، فقال يا معشر التجار ان البيع الحديث - زاد

(١) أصلها في سنن الترمذى .

(٢) انظر ترجمته في الاصابة والاستيعاب واسمه سعد بن عائد وصار معروفا بسعد القرظ .

(٣) انظر ترجمته في الاصابة .

الطبراني - فكان اول من سمانا التجار ، وقد ذكر الحديث الترمذى ، وقال
باب التجار وتسمية النبي صلى الله عليه وسلم بذلك •

واسم التاجر اشرف من اسم السمسار في العرف العام ، ولعل وجه
الاحسن ان السماسرة تطلق على المكاسين أو لعل هذا الاسم في عهده
عليه السلام كان يطلق على من فيه نقص •

ومن كمال معارفه صلى الله عليه وسلم معرفته بالخياطة تقول السيدة
عائشة كان صلى الله عليه وسلم يعمل عمل البيت وكثيرا ما يعمل الخياطة (١) •
ومن كمال معارفه العامة صلى الله عليه وسلم امره لمن قطع أنفه ان
يتخذ أنفا من ذهب كما روى ابو داود في السنن ان عرفجة بن سعد قطع
انفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق فأتتن عليه فأمره صلى الله عليه وسلم
ان يتخذه من ذهب •

قال الترمذى في سننه وقد روى عن غير واحد من أهل العلم انهم
شدوا أسنانهم بالذهب فأشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ان الذهب
خاصيته ان لا ينتن (٢) •

ولما أعلن صلى الله عليه وسلم تحريم مكة وقطع شجرها ونباتها قال
العباس الا الاذخر لصاغتتنا وسقفا لبيوتنا ، قال الا الاذخر واجاز ذلك « وهو
في الصحيح » •

(١) رواه ابن سعد في طبقاته .

(٢) انظر سنن الترمذى في استعمال الذهب وترجمة المذكور في الاصابة .

وكان اذا رأى الرجل يحسن ويتقن صناعة الشيء وكله اليه وشجعه
عليه حتى يبرز فيه •

ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم رأى قيس بن طلق الحنفي وهو
يبني معهم المسجد الشريف ورآه يتقن ويحسن عمل الطين فوكله اليه وقال
قربوا له الطين فانه أعرف به وحدث طلق عن هذه القصة فقال : قدمت المدينة
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبني مسجده والمسلمون يعملون فيه
معه وكنت صاحب علاج وخلط طين فأخذت المسحاة اخلط الطين ورسول
الله صلى الله عليه وسلم ينظر الي ويقول : ان هذا الحنفي لصاحب طين وفي
رواية : فانه أضبطكم للطين (١) •

وفي البيان والتحصيل لابن رشد عن مالك كما نقله عنه الكتاني ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قبر فكأنه رأى باللبنه خلط فأمر
بأن يصلح وقال ان الله يحب اذا عمل العبد عملا ان يحسنه ويتقنه •

(١) انظر ترجمته في الاصابة وطبقات ابن سعد •

كمال الادب في الخطب النبوية

كانت خطبه صلى الله عليه وسلم مثلاً علياً يحق على كل داع الى
الاصلاح ان يقتدى بها ويقتبس من آدابها ويسوس النفوس بمثل أساليبها •
وكان يحرص صلى الله عليه وسلم أن تطرق مواعظه آذان المستمعين
متميزة الحروف مفصلة الكلمات فكان يلقي الخطبة قائماً رافعاً بها صوته
وانما يخطب على مكان مرتفع ولذلك اتخذ المنبر في مسجده بالمدينة ويحرص
على ان تقع الموعظة في قرارات النفوس ، فكان يلقي الخطبة بألفاظ مأنوسة
وتأليف محكم ومعان بارزة في صور بارعة ، وربما أعاد الجملة فنطق بها
ثلاث مرات ليدل على انها موضع اهتمام ويخشى أن تمر على أذهان المستمعين
دون أن تستقر في نفوسهم •

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يلتزم السجع في خطبه وانما يأخذ فيها
بطريقة الترسل الا أن يجيء السجع عفواً وذلك ان السجع الملتزم لا يخلو من
تكلف تفقد به صور المعاني جانباً من الوضوح ، ولم يكن صلى الله عليه
وسلم ليطيل الخطب يخشى على الناس الملل فلا ينتفعون بالموعظة انتفاعهم بها
وهم يصغون اليها باقبال ونشاط ، وكان يقول : ان طول صلاة الرجل وقصر
خطبته من فقهه ، وكانت خطبه مع قصرها ممنعة بالحكمة والموعظة الحسنة
اذ تجيء حافلة بجوامع الكلم والجمال التي تجرى على اللسان مجرى الامثال

ايجازا وبلاغة وقد يطيل الخطبة في غير يوم الجمعة متى اقتضى الحال الاطالة
فقد قام يوما فخطب بعد العصر ولم يزل يخطب حتى غربت الشمس •
وكان يفتح الخطبة بحمد الله والثناء عليه ويصلهما بالتشهد ويقول :
أما بعد ، منتقلا بها الى حكمة او موعظة ، وقد يدع الخطبة العامة ويتجه في
أثنائها الى ارشاد شخص بعينه متى خشي فوات الفريضة •

فقد جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة
فقال صلى الله عليه وسلم : صليت يا فلان ؟ فقال : لا ، فقال : قم فاركع ،
ثم عاد الى الخطبة وقد يستعين صلى الله عليه وسلم في تثبيت المعنى بالاشارة
بيده اشارة مناسبة للمعنى ، كما قال في احدى خطبه ، بعثت أنا والساعة
كهاتين ، وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ، وروى انه كان يشير بأصبعه
السبابة عند ذكر الله تعالى ودعائه وقد تظهر عليه امارات الانذار والغضب
اذا اقتضى الحال والمقال ذلك ، فكان أحيانا اذا خطب احمرت عيناه واشتد
غضبه حتى كأنه منذر جيش •

وكان صلى الله عليه وسلم ينظر الى حال القوم يوم الخطبة فيلقونها على
مقتضى حالهم فيأمر بمعروف وأخلوا به أو يحذر من مكروه اقتربوا منه •

كمال حكمته في أسلوب الدعوة

الدعوة الصادقة لا يثبت أصلها وتمتد فروعها وتؤتى ثمرها الا ان يقوم بناؤها على أساس الحجّة ويذهب بها الداعي كل مذهب حكيم ويأخذ فيها بكل أدب جميل •

وكذلك كانت دعوته صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فانها كانت محفوفة بما يقرب العقول الى قبولها وتآلف النفوس الى سماعها فكان صلى الله عليه وسلم يراعى في ابلاغها الطرق الكفيلة بنجاحها فيورد لكل مقام مقالا يناسبه ويكسو كل معنى من المعاني ثوبا يليق به ويخاطب كل طائفة على قدر عقولهم ويلاقيهم بالسيرة التي هي ادعى الى اقبالهم وأسرع أثرا في صرفهم عن غوايتهم •

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو الى الحق ويتلو الدعوة بالحجة والقرآن الكريم لم يدع أصلا من أصول الدين الا أقام عليه البرهان الساطع وأزاح عنه كل شبهة يدعم صلى الله عليه وسلم الدعوة بالحجة ويدفع ما كان يعرض للناس من شبه •

ومن مظاهر دعوته صلى الله عليه وسلم ارسال الحكم البالغة وكثرة ما في الكتاب العزيز والحديث الشريف من الحكم الرائعة تدل الناظر على أن دعوة الاسلام قول فصل وما هو بالهزل ، ومن حكمته صلى الله عليه

وسلم أنه كان يستعين في بث الدعوة بما كان يهبه لاشراف القبائل من المال لان الهدايا تذهب بالاحقاد وتضع مكان التقاطع ائتلافا فغايتها انها تجعل القلوب متهيئة للنظر في صدق الدعوة •

أما العقيدة فانما تتصل باللغوب من ناحية الآيات البيئات وكان صلى الله عليه وسلم اعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه منتقبا بيديه ببقائهم على الهداية ، يفعل ذلك حيث يظهر له ان ايمانهم لم يرسخ في قلوبهم رسوخ ما لا تزلزله الفتن •

والى أمثال هؤلاء أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : انى لاعطى الرجل وغيره أحب الي منه خشية أن يكبه الله في النار •

ومن أدب دعوته صلى الله عليه وسلم أخذه فيها بالصبر والرفق والاناة ، فكان يعرضها في لين من القول ويقابل الجاهل بالاعراض والمسئء بالعمو والاحسان وان أذى كثيرا كان يلحقه من مشركى قريش وسفهائهم فيلقاه بالصبر ولا ينال من عزمه واسترساله في الدعوة ولو شيئا قليلا ، وكم من كلمة سيئة يرميه بها بعض المنافقين او بعض الجفافة من الاعراب فيكون جزاؤها الصفح أو التبسم والانعام ، وكان يأخذ في التأديب والزجر عما لا ينبغى مأخذا لطيفا حتى انه لا يوجه الانكار الى الرجل بعينه بل كان يعم فيقول : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله وأشدهم خشية له •

ومن حكته في الدعوة انه لا يجعل الوعظ على الناس ركاما بل كان يتحرى بالموعظة وقت حاجتهم اليها أو وقت نشاطهم لسماعها قال عبدالله بن

مسعود : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعة في الايام كراهة
السامة علينا •

وكان صلى الله عليه وسلم يسلك في رسائله الى الملوك والطوائف طريق
الايجاز ويكل بسط الدعوة وتفصيل الحجج ودفع الشبه الى من يبعثهم بتلك
الرسائل وفيهم الكفاية لهذا الشأن كتب الى أهل نجران كتابا أرسله مع عمرو
ابن العاص وهو :

« أما بعد فاني أدعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوكم الى
ولاية الله من ولاية العباد فان أبيتهم فالجزية فان أبيتهم فقد آذتكم بحرب
والسلام » •

ومن بديع أسلوبه صلى الله عليه وسلم في اجابة السائلين انه يأتي
بالجواب في صورة قاعدة عامة والسائل يكفيه أن يقال له في الجواب « نعم
أولا » •

كان رجل من محارب يؤذيه ايام كان يعرض نفسه على القبائل ثم جاء
ذلك الرجل في وفد محارب مسلما ، وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما كان يلقاه به من الاذى وقال له : « استغفر لي » فقال له صلى الله عليه
وسلم : « ان الاسلام يجب ما قبله من الكفر » •

ومن أسلوبه في الدعوة صوغ التشابيه البديعة وضرب الامثال الرائعة
وللتشبيه والتمثيل أثر كبير في جعل الحقائق الخفية واضحة والمعاني الغربية
مألوفة ، ومن أبدع ما سمعناه في هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم . ترى
المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى

له سائر جسده بالسهر والحمى ومن سياسته في الدعوة انه كان يخاطب كل قوم بما يفهمون ويتحامي أن يخاطب أحدا بما لا يحتمله عقله وأرشد الى هذا الباب بقوله : « حدثوا الناس بما يفهمون أتحبون ان يكذب الله ورسوله » وربما فعل صلى الله عليه وسلم الشيء مسaire لمن يتغى فعله وانما يأخذ بهذا الادب فيما يرجع الى العادات ولم يكن في فعله ضرر يستدعى تركه ، أراد أن يكتب الى بعض الملوك رسائل يدعوهم فيها الى الاسلام فقل له : انهم لا يقرأون كتابا الا مختوما فاتخذ خاتما من فضة نقشه : محمد رسول الله •

وقد يترك الامر الذي لا ضرر في تركه اتقاء للفتنة كما ترك هدم الكعبة وبقاءها على أساس ابراهيم اتقاء لفتنة قوم هم حديثو عهد بجاهلية وقال لعائشة رضي الله عنها : لولا قومك حديثو عهد بجاهلية لامرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وبلغت به أساس ابراهيم •

والله يعصمك من الناس

كمال عصمته عن النقائص والشبهات

وحفظ الله تعالى له من الأعداء

والشياطين والمخالفات

كمال حفظ الله تعالى له

قال الله تعالى : « والله يعصمك من الناس » ، وقال تعالى : « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » ، وقال : « أليس الله بكاف عبده » قيل بكاف محمد صلى الله عليه وسلم اعداءه المشركين ، وقيل غير هذا .
وقال : « انا كفيناك المستهزئين » ، وقال : « واذا يمكر بك الذين كفروا » الآية .

تقول عائشة رضي الله عنها : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية : والله يعصمك من الناس ، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل .

وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقبل تحتها فأتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال : من يمنعك مني فقال : الله عز وجل ، فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه ، فنزلت الآية .

وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث ابن الحارث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال : قد جئتكم من عند خير الناس ، وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم

بدر وكان قد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر
مثله •

وقد روى انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذى أمر مع رجل اسمه
دعشور بن الحارث ، وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين أغروه وكان
سيدهم وأشجعهم قالوا له أين ما كنت تقول وقد امكنك فقال انى نظرت
الى رجل ابيض طويل دفع في صدرى فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت
انه ملك وأسلمت ، وقيل وفيه نزلت : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم » الآية •

وفي رواية الخطابي ان غورث ابن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي
صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على رأسه منتضيا
سيفه فقال : الله اكفينه بما شئت فانكب على وجهه وندر سيفه
من يده • وقيل في قصته غير هذا ، وذكر ان فيه نزلت :
« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم » الآية • وقيل كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى
ثم قال من شاء فليخذلنى •

وذكر عبد بن حميد قال : كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهى جسر
على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأننا يطؤها كثيرا أهيل •
وذكر ابن اسحاق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا أبى لهب ، وذكرها
بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
جالس في المسجد ومعه ابوبكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما

لم تر الا ابابكر وأخذ الله تعالى يبصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم ،
فقلت : يا أبا بكر اين صاحبك ؟ فقد بلغنى انه يهجونى والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه • وفي ذلك يقول صاحب الهمزية :

وأعدت حمالة الحطب الفهـ * سر وجاءت كأنها الورقاء
يوم جاءت غضبى تقول أفى مثـ * لى من أحمد يقال الهجاء
وتولت وما رآته ومن أياـ * ن ترى الشمس مقلة عمياء

وعن الحكم بن ابى العاص قال تواعدنا على النبى صلى الله عليه وسلم
حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقى بتهامه أحد فوقنا مغشياً
علينا فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا
حتى اذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه •

وعن عمر رضى الله عنه تواعدت أنا وأبوجهم بن حذيفة ليلة قتل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة
الى - فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر رضى الله
عنه وقال : انج وفرا هارين فكانت من مقدمات اسلام عمر رضى الله عنه
ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما أخافته قريش واجمعت على قتله
وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وخلص منهم وحمائته عن
رؤيتهم له في الغار بما هيا الله من الآيات ومن العنكبوت الذى نسج عليه حتى
قال أمية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما أرى أنه فيه وعليه من نسج

العنكبوت ما أرى الا انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار ،
فقلت قريش لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام •

وقصته مع سراقه بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه
وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا
عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائمه فرسه فخر عنها واستقسم
بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله
عليه وسلم وهو لا يلتفت وابوبكر رضي الله عنه يلتفت ويقول للنبي صلى
الله عليه وسلم أتينا ، فقال : لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتها
وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له
النبي صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه بن فهيره ، وقيل ابوبكر واخبرهم
بالاخبار وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم
فانصرف يقول للناس كفيتم ماهنا ، وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي
فادعوا لي فنجوا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم •

وفي معجزة الغار وقصة سراقه قال البوصيري :

ويح قوم جفوا نيا بأرض * ألفتها ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه * وقلوه ووده الغرباء
أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصاد
واختفى منهم على قرب مرآ * ه ومن شدة الظهور الخفاء

ونحا المصطفى المدينة واشتبا * قت اليه من مكة الانحاء
وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء
واقطفى اثره سراقه فاستهوت * ه في الارض صافن جرداء
ثم ناداه بعدما سيمت الخس * ف وقد ينجد الغريق النداء

وذكر ابن اسحاق وغيره ان ابا جهل جاءه بصخرة وهو ساجد وقريش
ينظرون ليطرحها عليها فلزقت بيده وييست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقري
الى خلفه ثم سأل ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش
بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فقال ذكر انه عرض لى دونه
فحل ما رأيت مثله قط هم بى أن يأكلنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذاك
جبريل لو دنا لاخذه .

وفي ذلك قال الامام البوصيري :

هم قوم بقتله فأبى السيب * ف وفاء وفاءت الصفواء
وأبو جهل اذ رأى عنق الفح * ل اليه كأنه العنقاء
وذكر السمرقندى ان رجلا من بنى المغيرة اتى النبى صلى الله عليه
وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبى صلى الله عليه وسلم وسمع
قوله فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه . وذكر أنه في هاتين القصتين
نزلت : انا جعلنا في اعناقهم أغلالا . الآيتين .

ومن ذلك ما ذكره ابن اسحاق في قصته اذ خرج الى بنى قريظة في

أصحابه فجلس الى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحي فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة وأعلمهم بقصتهم •

وقد قيل ان قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ، في هذه القصة نزلت •

وحكى السمرقندي انه خرج الى بنى النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتلها عمرو بن أمية ، فقال له حي بن أخطب : اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وتآمر حيي معهم على قتله فأعلم جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر أهل التفسير معنى الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ان أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلى ليطن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه منتقبا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوى فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض ، فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم : كلا ان الانسان ليطغى ، الى آخر السورة •

ويروى ان شيبه بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل أباه وعمه ، فقال : اليوم ادرك ثأرى من محمد فلما اختلط الناس أتاه

من خلفه ورفع سيفه ليصيبه عليه قال لما دنوت منه ارتفع لي شواظ من نار
أسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني
فوضع يده على صدرى وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو أحب الخلق
الي وقال لي أدن فقاتل فتقدمت امامه أضرب بسيفى واقيه بنفسى ولو لقيت
ابى تلك الساعة لا وقعت به دونه .

وعن فضالة بن عمير قال أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام
الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال : أفضالة ، قلت : نعم ، قال :
ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على
صدرى فسكن قلبى فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب الي منه ،
قال فضالة : فرجعت الى أهلى ، فمررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت :
هلم الى الحديث ، فقلت : لا ، وانبعث فضالة بقول :

قالت هلم الى الحديث فقلت لا * يابى على الله والاسلام
لوما رأيت محمدا وقييله * بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على
النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له : انا أشغل عنك وجه محمد
فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له : والله ما هممت ان
أضربه الا وجدتك بينى وبينه أفأضربك .

ومن عصمته تعالى له ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه
لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى
بلغ فيه أمره •

ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه
وسلم في الحديث الصحيح •

كمال عصمته صلى الله عليه وسلم من الشيطان

قال القاضي عياض : اعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه ، لا في جسمه بأنواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس بل في كل احواله صلى الله عليه وسلم .

جاء في الصحيح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منكم من أحد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا : واياك يا رسول الله ؟ قال : واياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم .

زاد غيره عن منصور فلا يأمرني الا بخير .

وعن عائشة رضي الله عنها بمعناه ، روى : فأسلم بضم الميم أي فأسلم أنا منه - وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها .

وروى : فأسلم بفتح الميم يعني القرين أنه انتقل من حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر الا بخير كالملك ، وهو ظاهر الحديث .
ورواه بعضهم فاستسلم .

فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بنى آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا أقدر على الدنو منه .

وقد جاءت الاثار بتصدى الشيطان له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره

وامامة نفسه وادخال شغل عليه ، اذ يسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين ،
كتعرضه له في الصلاة فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وأسره •

فقى الصحاح : قال أبو هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه
وسلم : ان الشيطان عرض لي • قال عبدالرزاق : في صورة هر ، فشد علي
يقطع الصلاة فأمكنني الله منه فدعته (١) ، واقد هممت أن أوثقه الى سارية
حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول أخى سليمان « رب اغفر لي وهب
لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى انك أنت الوهاب » فرده الله خاسئا •

وفي حديث أبي الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم : ان عدو الله ابليس
جاءني بشهاب من نار ليحمله في وجهي ، والنبي صلى الله عليه وسلم في
الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له وقال : « ثم اردت ان آخذه » وذكر
نحوه قال : « لأصبح موثقا يتلاعب به ولدان أهل المدينة » •

وكذلك في حديثه في الاسراء : وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل
ما يتعوذ به منه • ذكره في الموطأ ولما لم يقدر على أذاه بمباشرة تسبب
بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه
وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدى •

ومرة أخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقه بن مالك وهو قوله :
« واذ زين لهم الشيطان أعمالهم » الآية •

(١) بالدال اي طرحته في التراب ويصح بالدال ايضا وهو الدفع العنيف .

ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة •• وكل هذا فقد كفاه أمره ، وعصمه
ضره وشره •

وقال صلى الله عليه وسلم حين لد في مرضه ، وقيل له : خشينا أن
يكون بك ذات الجنب •• فقال : انها من الشيطان ولم يكن الله ايسلطه علي •
فان قيل : فما معنى قوله تعالى : « واما ينزعك من الشيطان نزع
فاستعد بالله » الآية •

فالجواب : أن المراد بهذا الخطاب أمته صلى الله عليه وسلم وهذا كغيره
من الخطابات التي توجه الى النبي صلى الله عليه وسلم ويكون المراد بها
أتمه •

ومن ذلك قوله تعالى : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا
تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله
آياته والله عليكم حكيم •

فقد زلت في معنى هذه الآية اقدم كثير من العلماء ، وساءت افهام كثير
من القراء ، اذ فسروا التمنى هنا بالتلاوة ، وان « اذا تمنى » معناه اذا قرأ ،
ويكون معناه حينئذ انه اذا قرأ الرسول او النبي ما أوحى اليه فان الشيطان
يتسلط على قراءته ويلقى فيها ما يشاء ثم ينسخ الله ذلك الذي القاه
الشيطان •

واستدلوا لصحة هذا التأويل بقصة الغرانيق ، وهي : ما روى أن
النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة « والنجم » وقال : « أفرايتم اللات

والعزى ومناة الثالثة الاخرى « قال : تلك الغرائق العلى ، وان شفاعتها لترتجى •

« والغرائق » في الاصل ، الذكور من طير الماء ، واحدها غرنوق وغرنيق ، سمي به لبياضه •

وقيل : الكركى •

والغرنوق أيضا ، الشاب الابيض الناعم ، وكانوا يزعمون ان الاصنام تقربهم من الله ، وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلقو في السماء وترتفع •
ويروى « ترتضى » وفي رواية : ان شفاعتها لترتجى ، وانها لمع الغرائق العلى ، وفي اخرى : والغرائق العلى ، تلك الشفاعة ترتجى ، فلما ختم السورة سجد ، وسجد المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم •

وما وقع في بعض الروايات ان شيطانا ألقاها على لسانه وان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه ، فلما ألقى ذلك الشيطان حزن صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى تسلية له :
وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ، وقوله :
« وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره ، واذا لاتخذوك خليلا » •

والصحيح في تفسير الآية هو ما قاله الامام العارف بالله الشيخ عبدالعزيز الدباغ رضي الله عنه وهو :

ان الله سبحانه وتعالى ما أرسل من رسول ، ولا بعث نبيا من الانبياء الى أمة من الامم الا وذلك الرسول يتمنى الايمان لامته ويحبه لهم ويرغب فيه ويحرص عليه غاية الحرص ويعالجهم عليه أشد المعالجة ، ومن جملتهم في ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم الذي قال له الرب سبحانه وتعالى « فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » ، وقال تعالى : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » ، وقال تعالى « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » الى غير ذلك من الآيات المتضمنة لهذا المعنى ، ثم الامة تختلف كما قال تعالى : « ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر » فأما من كفر فقد ألقى اليه الشيطان الوسوس القاذحة في الرسالة الموجبة لكفره ، وكذا المؤمن أيضا لا يخلو من وسوس ، لانها لازمة للايمان بالغيب في الغالب وان كانت تختلف في الناس بالقلة والكثرة وبحسب المتعلقات •

اذا تقرر هذا فمعنى تمنى أنه يتمنى الايمان لامته ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح ، فهذه أمنية كل رسول ونبى ، والقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه في قلوب أمة الدعوى من الوسوسيس الموجبة لكفر بعضهم ، ويرحم الله المؤمنين ، فينسخ ذلك من قلوبهم ، ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة ، ويبقى ذلك عز وجل في قلوب المنافقين والكافرين ليفتتنوا به ، فخرج من هذا أن الوسوسيس تلقى أولا في قلوب الفريقين معا ، غير أنها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين فهذا ما يتعلق بتفسير الآية الكريمة ، وأما قصة الغرائيق فانها قصة باطلة نقلا وعقلا •

أما « نقلا » فإن حديثها حديث لم يخرجها أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .

وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال : لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير ، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته ، واضطراب رواياته ، وانقطاع اسناده ، واختلاف كلماته ، فقائل يقول : انه في الصلاة . وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة ، وآخر يقول : بل حدث نفسه فسها ، وآخر يقول : ان الشيطان قالها على لسانه ، وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأتكم ، وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها ، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال : والله ما هكذا أنزلت ، الى غير ذلك من اختلاف الرواة .

ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ، ولا رفعها الى صاحب ، وأكثر الطرق فيها ضعيفة واهية .

وأما « عقلا » فقد قامت الحجة وأجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ، ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر ، أو يتصور عليه الشيطان ويشبهه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ، ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه ، حتى ينبهه جبريل عليه السلام ، وذلك كله ممتنع في حقه صلى

الله عليه وسلم ، أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا
وذلك كفر ، أو سهوا ، وهو معصوم من هذا كله .

وقد تقرر بالبراهين والاجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان
الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا أو أن يشتهبه عليه ما يلقيه الملك
مما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل ، أو أن يتقول على الله لا
عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه ، وقد قال الله تعالى « ولو تقول علينا بعض
الاقاويل لاخذنا منه باليمين » ، وقال تعالى : « اذا لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » .

وهذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام متناقض الاقسام ،
ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ، ولكان النبي صلى الله عليه
وسلم ومن بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك
وهذا لا يخفى على أدنى متأمل ، فكيف بمن رجح حلمه ، واتسع في باب
البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه .

ثم انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندى المشركين وضعفة القلوب ،
والجهلة من المسلمين تفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى
الله عليه وسلم لاقل فتنة ، وتعييرهم المسلمين ، والشماتة بهم الفينة بعد الفينة
وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك أحد في
هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ، ولو كان ذلك لوجدت
قريش بها على المسلمين الصولة ، ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة ، كما

فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة •
فما روى عن معاند فيها كلمة ، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة ، فدل
على بطلانها واجتثاث أصلها •

ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس أو الجن هذا الحديث على
بعض مغفلى المحدثين ليلتبس به على ضعفاء المسلمين •

كمال عصمة الله تعالى له من النقائص والشبهات

تعاضدت الاخبار والآثار عن نبينا صلى الله عليه وسلم بتنزيهه عن كل نقص منذ ولد ، ونشأته على التوحيد والايمان بل على اشراق أنوار المعارف ، وتفحات الطاف السعادة .

ومن هنا كان توحيده وعلمه بالله وصفاته والايمان به وبما أوحى اليه ، على غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين ، والاتقاء عن الجهل بشيء من ذلك ، أو الشك أو الريب فيه ، والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين .

وما ورد من النصوص مما قد يفيد ظاهره خلاف هذا فسنين حقيقته باختصار .

فمن ذلك قوله تعالى : « فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » الآيتين .

قال القاضي عياض : فاحذر - ثبت الله قلبك - أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحى اليه . فمثل هذا لا يجوز عليه جملة ، بل قال ابن عباس : لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ، ونحوه عن ابن جبير والحسن .

وحكى قتادة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أشك ولا أسأل
وعامة المفسرين على هذا •

واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد •• قل يا محمد للشاك ان كنت في
شك •• الآية •

وقالوا : وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل وهو قوله : قل يا أيها
الناس ان كنتم في شك من ديني •• الآية ، وقيل المراد بالخطاب العرب وغير
النبي صلى الله عليه وسلم كما قال : « لئن اشركت ليحبطن عملك » الآية ،
الخطاب له والمراد غيره ، ومثله « فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء » ونظيره
كثير •

ألا تراه يقول « ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات
الله » الآية ، وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب (بفتح المعجمة المشددة)
فيما يدعو اليه ، فكيف يكون ممن كذب به ، فهذا كله يدل على أن المراد
بالخطاب غيره •

ومثل هذه الآية قوله « الرحمن فاسأل به خيرا » المأمور ههنا غير
النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي ، والنبي صلى الله عليه وسلم هو
الخير المسئول ، لا المستخير السائل •

وقال : ان هذا الشك الذي أمر به غير النبي صلى الله عليه وسلم
بسؤال الذين يقرؤون الكتاب انما هو فيما قصه الله من اخبار الامم ، لا فيما
دعا اليه من التوحيد والشريعة ، ومثل هذا قوله تعالى : « واسأل من أرسلنا

من قبلك من رسلنا •• « الآية المراد المشركون ، والخطاب موجه للنبي صلى
الله عليه وسلم •

وقيل معناه : « سلنا عن أرسلنا من قبلك » فحذف الخافض وتم
الكلام ، ثم ابتداء « أجعلنا من دون الرحمن » الى آخر الآية ، على طريق
الانكار ، أي ما جعلنا •

وقيل : أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الانبياء ليلة الاسراء
عن ذلك ، فكان أشد يقينا من أن يحتاج الى السؤال ، فروى انه قال : « لا
أسأل قد اكتفيت » •

وقيل : سل أمم من أرسلنا ، هل جاؤوهم بغير التوحيد وهو معنى قول
مجاهد والسدي والضحاك وقتادة ، والمراد بهذا والذي قبله اعلامه صلى
الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل ، وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ،
ردا على مشركهم ، العرب وغيرهم في قولهم « انما نعبدهم ليقربونا الى الله
زلفى » •

وظهر بي وجه آخر في الجواب عن الآية « فان كنت في شك » وهو أن
الآية لا تدل على حصول الشك منه صلى الله عليه وسلم وحاشا مقامه العالى •
وانما تدل على افتراض وقوع ذلك ، وهو محال منه • وافترض المحال لا يدل
على جواز الوقوع ، والمعنى هو « ان فرض حصول الشك منك فاسأل الذين
يتلون الكتاب » ولكن ذلك محال • وافترض المحال لا يلزم منه الوقوع ،
ونظير هذا قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولدا فأنا اول العابدين فهل يصح

ان يقال ان هذا يفيد صحة وقوع ذلك ، ولا يقول ذلك الا مشرك جاهل
بل هذا افتراض أي « ان فرض ان يكون للرحمن ولد » وهو محال بلا شك .
وبمثل هذا نجيب عن قوله تعالى فان كنت في شك .

ومن ذلك قوله تعالى : « والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من
ربك بالحق فلا تكونن من الممترين » أي في علمهم بأنك رسول الله وان لم
يقروا بذلك ، وليس المراد به شكه فيما ذكر في أول الآية .

وقد يكون أيضا على مثل ما تقدم ، أي قل يا محمد لمن امتري في ذلك ،
لا تكونن من الممترين ، بدليل قوله أول الآية « أفعير الله أبتغى حكما »
الآية ، وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره .

وقيل هو تقرير كقوله : « أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من
دون الله .. » وقد علم أنه لم يقل .

وقيل : معناه ، ما كنت في شك .. فاسأل تزدد طمأنينة وعلما الى
علمك ويقينك .

وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فاسألهم عن صفتك في
الكتب ونشر فضائلك .

وحكى عن أبي عبيدة ، أن المراد .. ان كنت في شك من غيرك فيما
أنزلنا .

فان قيل فما معنى قوله « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد
كذبوا » على قراءة التحفيف ؟ قلنا : المعنى في ذلك ما قالته السيدة عائشة
رضي الله عنها : معاذ الله أن تظن ذلك الرسل بربها ، وانما معنى ذلك ان

الرسول لما استيأسوا ظنوا أن من وعدهم النصر من أتباعهم كذبوهم ، وعلى هذا أكثر المفسرين •

وقيل : ان ضمير ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسول ، وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء •
وبهذا المعنى قرأ مجاهد « كذبوا » فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه ، مما لا يليق بمنصب العلماء ، فكيف بالانبياء •

ومن ذلك قوله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين » فان بعضهم فسرها بأن معناها لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى •
وهذا أمر باطل فان أقل الناس ايمانا لا يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى ، فكيف بسيد أهل الايمان ، اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى ، وذلك لا يجوز على الانبياء •

ونقول ان المقصود هو وعظه صلى الله عليه وسلم أن لا يتشبه في أموره بسماة الجاهلين •

وقيل انه خطاب للامة المحمدية ، والمعنى : فلا تكونوا من الجاهلين •
ومن ذلك قوله تعالى « لئن أشركت ليحبطن عملك » الآية ، وقوله تعالى : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك » الآية ، وقوله تعالى : « اذا لاذقناك ضعف الحياة •• » الآية ، وقوله تعالى : « لاخذنا منه باليمين » وقوله « وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله »

وقوله : « وان يشأ الله يختم على قلبك » ، وقوله : « فان لم تفعل فما بلغت رسالته » وقوله : « اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » •

فاعلم وفقنا الله واياك أنه صلى الله عليه وسلم لا يصح ولا يجوز عليه أن لا يبلغ ولا ان يخالف امر ربه ولا أن يشرك به ، ولا يتقول على الله ما لا يحب ، او يفترى عليه ، أو يضل أو يختم على قلبه ، أو يطيع الكافرين ، لكن يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين ، وان ابلاغه ان لم يكن بهذه يسر امره المكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين ، وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ ، وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله : « والله يعصمك من الناس » •

وأما قوله تعالى : « ولو تقول علينا بعض الاقاويل » الآية ، وقوله : « اذا لأذقناك ضعف الحياة » فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا ، وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله •

وكذلك قوله : « وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله » فالمراد غيره ، كما قال : « ان تطيعوا الذين كفروا » الآية ، وقوله : « فان يشأ الله يختم على قلبك » وقوله : « لئن أشركت ليحبطن عملك » وما أشبهه فالمراد غيره ، وأن هذه حال من أشرك ، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا •

وقوله : « اتق الله ولا تطع الكافرين » فليس فيه أنه أطاعهم ، والله ينهاه عما يشاء ، ويأمره بما يشاء كما قال : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم » وما كان طردهم صلى الله عليه وسلم ولا كان من الظالمين •

حول قصة زيد بن حارثه

ومن ذلك قوله تعالى : في قصة زيد بن حارثه ، واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا » •

فقد أخطأ بعض المفسرين في تفسيرها وقال ان معناها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى زينب أعجبه ، وتمنى أن يطلقها زيد ، وأخفى في نفسه هذه الامنية ، وأنه كان يأمر زيدا بامساكها مجاملة •

ولو كان هذا صحيحا لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا ••• ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ، ولا يتسم به الاتقياء ، فكيف سيد الانبياء •

قال القشيري : وهذا اقدم عظيم من قائله ، وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله ، وكيف يقال : رآها فأعجبه ، وهي بنت عمته ، ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد ، فلو أرادها صلى الله عليه وسلم لاصطفاها لنفسه قبل زيد ولفرحت بذلك بما لا مزيد عليه خصوصا وانها ما تزوجت بزيد الا طاعة لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم •

والحق الذي ندين الله عليه هو ان الله تعالى كان قد أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من ازواجه بعد زيد لحكمة تشريعية أشارت اليها الآية في آخرها ، وكان زيد يشكو كثيرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عدم استقراره وارتياحه للزواج بها ، وذلك لوجود فوارق عديدة بينهما تجعل الائتلاف والانسجام بعيدا ، فكان كلما شكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : امسك عليك زوجك واتق الله ، وأخفى منه في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبدية ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها .

فهذا منه صلى الله عليه وسلم تمام الادب والذوق ، وكمال الاحساس في مراعاة شعور الآخرين ، مع أنه لو قال له ان الله اخبرني بأن زينب ستكون زوجة لي بعدك لما كان عليه في ذلك حرج ولذا فان الله هنا يستدح فيه هذه المنقبة ويثني عليه موقعه هذا .

وهذا معنى قوله تعالى : « وتخفى في نفسك ما الله مبديه » .

ويؤيد هذا ما جاء عن الزهري قال : « نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش ، فذلك الذي أخفى في نفسه » .

ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا « وكان أمر الله مفعولا » أي لا بد لك ان تتزوجها . ويوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها ، فدل أنه الذي أخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان أعلمه به تعالى .

والحكمة في زواجه بها ، لا زالة حرمة التبني ، وابطال سنته ، لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد تبني زيدا حتى صار يدعى يزيد بن محمد ، وقد أبطل الله تعالى هذه العادة بقوله : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم » وأبطلها عمليا بأمره صلى الله عليه وسلم بالتزوج بها .

والى هذا أشار سبحانه وتعالى في آخر الآية بقوله : « لكى لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم » .

فان قيل : فما الفائدة في أمره صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها ؟ فالجواب : أنه وان كان الله تعالى قد أعلم نبيه بأنها ستكون زوجته الا أن الله تعالى لم يأذن بطلاقها في ذلك الوقت ، فلذلك كان يأمره بامساكها حتى يأتى الوقت الذى قدر الله فيه الطلاق .

وان قيل : فما معنى قوله تعالى : وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فالجواب : ان الخشية هنا - معناها الاستحياء وليس الخوف ، أي يستحي منهم أن يقولوا : تزوج زوجة ابنه ، وان خشيته صلى الله عليه وسلم من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود ، وتشغيبيهم على المسلمين بقولهم : تزوج زوجة ابنه بعد نهي عن نكاح حلائل الابناء كما كان ، فعاتبه الله على هذا ونزاهه عن الالتفات اليهم فيما أحله له ، كما عاتبه الله على مراعاة رضي أزواجه في سورة التحريم بقوله : « لم تحرم ما أحل الله لك . . . » الآية كذلك قوله له ها هنا : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » .

وقد روى عن الحسن وعائشة : لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكنتم هذه الآية لما فيها من عتبه وابداء ما أخفاه .

ووجدك ضالا فهدى ورفع شبه أخرى

ومن ذلك قوله تعالى : « ووجدك ضالا فهدى » ، قيل : ضالا عن النبوة فهذاك اليها ، وقيل : وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك ، وهذاك للإيمان والى ارشادهم ، وقيل : ضالا عن شريعتك ، أي لا تعرفها فهذاك اليها ، والضلال ههنا التحير ، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام ، وقيل : لا تعرف الحق فهذاك اليه وهذا مثل قوله تعالى : وعلمك ما لم تكن تعلم •

وعن جعفر بن محمد : ووجدك ضالا عن محبتى لك في الازل أي لا تعرفها ، فمنت عليك بمعرفتى •

وقرأ الحسن بن علي : ووجدك ضالا فهدى (١) • أي اهتدى بك ، وهى قراءة شاذة •

والاظهر عندى أن معناه : ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل اليك ، وفي كيفية ارشاد الناس وتبليغهم ، فهذاك لذلك ، لقوله تعالى : وأنزلنا اليك الذكرى لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون •

(١) أي على أن « ضال » فاعل وجدك •

ومن ذلك قوله تعالى : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان »
والصحيح أن معناه : ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرأ القرآن ولا كيف
تدعو الخلق الى الايمان •

وقال بعضهم : ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام ، فكان قبل
مؤمننا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدرىها قبل فزاد بالتكليف
ايمانا ، وهو أحسن وجوهه •

ومن ذلك قوله تعالى : « وان كنت من قبله لمن الغافلين » •
وقال ابن عطاء : ووجدك ضالا ، أي مجبا لمعرفتي • • والضال : المحب
كما قال : انك لفي ضلالك القديم ، أي محبتك القديمة ، ولم يريدوا ههنا
في الدين ، اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا •

ومثله هذا قوله : « انا لنها في ضلال مبين » أي محبة بينة •
وقال الجنيد : ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل اليك فهداك لبيانه ،
لقوله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر » الآية • وقيل : ووجدك لم يعرفك
أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء •

وقال الازهرى : معناه الناسين (١) : كما قال تعالى : « أن تضل احدهما »
فاعلم : أنه ليس بمعنى قوله : « والذين هم عن آياتنا غافلون » •
بل حكى أبو عبدالله الهروي أن معناه : لمن الغافلين عن قصة يوسف
اذ لم تعلمها الا بوحينا •

(١) مقصودة أن معنى قوله لمن الغافلين أي من الناسين •

حول نسبة الذنوب الى مقامه الشريف

صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك قوله تعالى : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر »
فان ظاهر الآية يفيد جواز صدور الذنب من النبي صلى الله عليه وسلم
اعتمادا على أن المغفرة انما تكون بعد الذنب ، وقد قال بهذا بعض العلماء
وأيدوه فقالوا بجواز صدور الصغائر منه صلى الله عليه وسلم محتجين
بآيات وأحاديث ، يفيد ظاهرها هذا المعنى .

منها - قوله : « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » وقوله :
« ووضعا عنك وزرك الذي أنقض نهرك » وقوله : « عفا
الله عنك لما أذنت لهم » ، وقوله : « لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » ، وقوله : « عبس وتولى أن جاءه
الاعشى » الآية وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه : « اللهم اغفر لي
ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت . . » ونحوه من أدعيته صلى
الله عليه وسلم ، وقوله : « انه ليغان على قلبي فأستغفر الله » : وفي حديث
أبي هريرة : « انى لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » .
وقد أجاب الشيخ الامام القاضي عياض رحمه الله تعالى عن قوله تعالى :
« ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » بأجوبة عديدة . منها : ان

المراد بذلك أمته صلى الله عليه وسلم ، ومنها أن المراد بذلك ما كان عن سهو وغفلة وتأويل ، ومنها أن المغفرة هنا تبرئته من العيوب ، ومنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول : « وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الي وما أنا الا نذير مبين » الاحقاف آية ٩ ، سر بذلك الكفار فأنزل الله تعالى : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » الآية •

فمقصد الآية أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان •

وأجاب الامام العارف بالله عبدالعزيز الدباغ : بجواب نفيس ، خلاصته : أن المراد بالفتح في قوله تعالى « انا فتحنا » المشاهدة ، أي مشاهدته تعالى ، فمن رحمة الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم أنه أزال عنه الحجاب ، واکرمه بمشاهدته تعالى فلا يرى الا ما هو حق من الحق والى الحق ، فهذا هو المشار اليه بالفتح المبين ، وقد وقع له صلى الله عليه وسلم من صغره لانه لم يحجب عنه تعالى ، وهذا الفتح ثابت لكل نبي ، بل ولكل عارف ، والخصوصية فيه للنبي صلى الله عليه وسلم من حيث كمال قوته وطاقته وأهلية عقله وروحه ونفسه وذاته وسره مما لم يثبت لغيره •

والمراد بالذنب في قوله : « ما تقدم من ذنبك وما تأخر » سببه ، وهو الغفلة وظلام الحجاب الذي في أصل النشأة الترايبية ، والمراد : بما تقدم وما تأخر ، الكناية عن زواله والمراد بالغفران الازالة •

فكان يقول : انا فتحنا لك فتحا مبينا ليزول عنك الحجاب بالكلية ولتتم النعمة منا عليك ولتهدى وتنصر فانه لا نعمة فوق نعمة زوال الحجاب ، ولا

هداية فوق هداية المعارف ، ولا نصرة أبلغ من نصرة من كانت هذه حالته ،
هذا مستفاد من كلام الشيخ الدباغ بتصريف •

قلت : أما أمر الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار وكونه
صلى الله عليه وسلم يصرح بذلك ، ويدعو به ويسأله من الله فهذا من كمال
تواضعه صلى الله عليه وسلم ، ومن كمال اقراره بالعبودية الكاملة ، وبحاجته
الى ربه ، وافتقاره اليه ، وعدم استغناءه عن فضله ، وعدم اغتراره بما أعطاه
مولاه ، وكأن لسان حاله يقول : انى مع ما من الله علي من فضل وثواب
ودرجات عالية ومقامات سامية ، فانى لا أزال أرغب في فضله وأسارع الى
رحابه ، وأقف على أبوابه ، وأنفس في الخيرات ، وابدأ الى المبرات وقد
صرح بذلك فقال : « أنا أخشاكم لله وأتقاكم وأعلمكم به » وفي هذا أيضا
تعليم للامة ، ليقتدوا به ويتبعونه ، وفي هذا أيضا تمام الشكر لله بادامة
العمل له ، كيف لا ؟ وهو القائل : « أفلا أكون عبدا شكورا » •

وقد قال الامام الشاذلي رحمه الله : سمعت الحديث الوارد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم : انه ليغان على قلبى فأستغفر الله في اليوم سبعين
مرة ، فأشكلى على معناه ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول
لي : يا مبارك ذاك غين الانوار لا غين الاغيار •

ووضعنا عنك وزرك

- وأما قوله تعالى : « ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك » فقيل :
- معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ، ولولا ذلك لاثقلت ظهره .
 - وقيل : المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى بلغها .
 - وقيل : ثقل شغل شرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك .
 - وقيل : معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استخففت وحفظ عليك .
 - وقيل : حططنا عنك ثقل الجاهلية .
- ومعنى « أنقض ظهرك » أي كاد ينقضه ، أو يكون الوضع عصمة الله وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره أو يكون من ثقل الرسالة ، أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية ، واعلام الله تعالى له بحفظ ما استخففته من وحيه .

عفا الله عنك

- وأما قوله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » فأمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك .
- والصواب : أنه صلى الله عليه وسلم كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي ، فكيف

وقد قال الله تعالى : « فأذن لمن شئت منهم » فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل وليس « عفا » هنا بسعنى غفر ، بل قال النبي صلى الله عليه وسلم « عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق » ولم تجب عليهم قط أي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري ، قال : وإنما يقول « العفو » لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال : ومعنى « عفا الله عنك » لم يلزمك ذنب . قال الداودي : « روى أنها كانت تكرمة » . قال مكى : « هو استفتاح كلام مثل - أصلحك الله ، وأعزك » .

وحكى السمرقندى : ان معناه - عفاك الله .

عبس وتولى

وأما قوله : « عبس وتولى ... » الآيات ، فليس فيه اثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم ، بل اعلام الله لنا ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى ، فالخطاب لنا .

وأن الصواب والاولى كان - لو كشف لك حال الرجلين - الاقبال على

الاعمى .

وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل ، وتصديه لذاك الكافر ، كان

طاعة لله ، وتبليغا عنه ، واستئلافا له ، كما شرعه الله له ، لا معصية ومخالفة

له .

وما قضه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين - وتوهين امر الكافر عنده ، والاشارة الى الاعراض عنه بقوله : « وما عليك الا يزكى » .

قلت ويحتمل أنه عتاب من الحق سبحانه على ما فعله صلى الله عليه وسلم مما ظهر له صلاحه وترجح عنده نجاحه ، وكان الواقع الذي قدر الله جل وعلا بخلاف ذلك . والعتاب لا يقتضي ولا يلزم منه ان يكون بعد ذنب أو مخالفة كما هو الجارى بين الناس في معاملتهم فقد يعاتب الاخ أخاه والحبيب حبيه على ترك الاولى بل على ترك الاكمل . وقد يعاتب الوالد ولده على التقصير وفعل المذموم ، فالعتاب أوسع من أن يكون في جهة واحدة .

وقيل أراد « بعبس وتولى » الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله أبو تمام .

لقد خشيت على نفسي

ومن ذلك ما ورد في حديث السيرة ومبدأ الوحي من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة : « لقد خشيت على نفسي » ليس معناه الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ، ولكن لعله خشى أن لا تحتمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي فينخلع قلبه أو تزهد نفسه .

هذا على ما ورد في الصحيح أنه قاله الملك أو يكون ذلك قبل لقاءه ، واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب ، وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير .

كما روى في بعض طرق هذا الحديث ، ان ذلك كان أولاً في المنام ،
ثم أرى في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه السلام ، لئلا يفجأه الامر مشاهدة
ومشاهدة ، فلا يحمله لأول حالة بنية البشرية •

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها : أول ما بدىء به رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت : ثم حجب اليه الخلاء ،
وقالت : الى أن جاءه الحق وهو في غار حراء •

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : مكث النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ، ولا يرى
شيئا ، وثمانى سنين يوحى اليه •

وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
وذكر جواره بغار حراء - قال : فجاءنى وأنا نائم فقال اقرأ : فقلت ما أقرأ ••
وذكر نحو حديث عائشة في غظه له واقراءه له « اقرأ باسم ربك » السورة ،
قال : فانصرف عنى ، وهببت من نومى كأنما صورت في قلبى ، ولم يكن
أبغض الي من شاعر أو مجنون ، قلت : لاتحدث عنى قريش بهذا ابدا ،
لاعمدن الى حالق من الجبل فلا طرحن نفسى منه فلاقتلنها ، فبينما أنا عامد
لذلك اذ سمعت مناديا ينادى من السماء : يا محمد •• أنت رسول الله وأنا
جبريل ، فرفعت رأسى فاذا جبريل على صورة رجل ، وذكر الحديث •

فقد بين في هذا أن قوله لما قال ، وقصده لما قصد انما كان قبل لقاء
جبريل عليهما السلام ، وقبل اعلام الله تعالى له بالنبوة •

انه ليغان على قلبى

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : انه ليغان على قلبى فاستغفر
الله كل يوم مائة مرة - وفي طريق - في اليوم أكثر من سبعين مرة •
قال القاضي عياض : فاحذر أن يقع ببالك أن يكون هذا الغين وسوسة
أو ريبا وقع في قلبه صلى الله عليه وسلم ، بل أصل الغين في هذا ما يتغشى
القلب ويغطيه ، قاله أبو عبيد : وأصله من غين السماء ، وهو اطباق الغيم
عليها •

وقال غيره : والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق
الذى يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس •
والمراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه ، وفترات نفسه وسهوها عن
مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من
مقاساة البشر وسياسة الامة ، ومعاناة الاهل ، ومقاومة الولي والعدو ومصالحة
النفس وما كلفه من أعباء أداء الرسالة وحمل الامانة ، وهو في كل هذا في
طاعة ربه ، وعبادة خالقه •• ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم أرفع الخلق
عند الله مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه
وخلو همه وتفرد به واقباله بكليته ، ومقامه هناك أرفع حاله ، رأى صلى
الله عليه وسلم حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من على حاله ، وخفضا
من رفيع مقامه ، فاستغفر الله من ذلك ، هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها •
والى معنى ما أشرنا به مال كثير من الناس ، وحام حوله وهو مبنى على
جواز الفترات والفضلات والسهو في غير طريق البلاغ •

وذهب طائفة من أرباب القلوب ومشايخ المتصوفة ممن قال بتزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة وأجله أن يجوز عليه في حال سهو
أو فترة الى أن معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من أمر أمته صلى
الله عليه وسلم لاهتمامه بهم وكثرة شفقتهم عليهم فيستغفر لهم •

قالوا : وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة تتغشاها لقوله تعالى :
« فأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم عندها
أظهارا للعبودية والافتقار •

قال ابن عطاء : استغفاره وفعله هذا ، تعريف للامة يحملهم على
الاستغفار ، قال غيره : ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن •
وقد يحتمل أن تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه ،
فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة « أفلا
أكون عبدا شكورا » •

وقد تقدم كلام الامام أبي الحسن الشاذلي في هذا الحديث ، وانه رأى
النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، وقال له : هو غين أنوار لا غين أغيار •

سهوه صلى الله عليه وسلم وانه لا ينافي كماله صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك حديث السهو : وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة العصر فسلم في ركعتين ، فقام ذو اليمين فقال : يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل ذلك لم يكن . وفي الرواية الاخرى : « ما قصرت الصلاة وما نسيت » الحديث بقصته ، فظاهر هذا الحديث يفيد أنه صلى الله عليه وسلم نفي الحالتين ، وأنه لم يحصل قصر ولا نسيان ، مع انه قد حصل أحد ذلك ، كما قال ذو اليمين « قد كان بعض ذلك يا رسول الله » .

وقد أجاب العلماء عن هذا بأجوبة كثيرة ، منها : ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن اعتقاده وضميره ، أما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا ، وأما النسيان فأخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده ، وأنه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به ، وهذا صدق ايضا . والذى يظهر لي أن قوله صلى الله عليه وسلم : « لم أنس » إنما هو انكار للفظ فقط ، وأراد صلى الله عليه وسلم أن يشير الى أنه نسي (بضم النون وتشديد السين) ولم ينس

وشبيه بهذا انكاره صلى الله عليه وسلم على من يقول : نسيت آية كذا وكذا بقوله في الحديث بئسما لاحدكم ان يقول نسيت « بفتح النون وكسر السين المخففة » ولكنه نسي « بضم النون وتشديد السين المكسورة » •• فلما قال له السائل : أقصرت الصلاة أم نسيت ، أنكر قصرها كما كان وأنكر نسيانه هو من قبل نفسه ، وأنه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره ، فتحقق أنه نسي وأجرى عليه ذلك ليسن •

فقوله على هذا (لم أنس) (ولم أقصر) (وكل ذلك لم يكن) صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ، ولكنه نسي •
ويؤيد هذا ما جاء في الحديث : « انى لانسى أو أنسى لاسن » رواه مالك في الموطأ •

وفي رواية : انى لا أنسى ولكن أنسى •
وهذا لا يعارضه حديث : « انما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون » رواه الشيخان ، لان هذا الحديث فيه اثبات النسيان ، والحديث الذى قبله : فيه نفي لفظ النسيان وكراهة لقبه ، وليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة فلا تعارض •

هذا ما يتعلق بقوله صلى الله عليه وسلم : « ما قصرت ولا نسيت » وبقي بعد ذلك قضية نسبة النسيان اليه وحكمه •

الاحاديث المذكور فيها السهو منه

اعلم أن الاحاديث الصحيحة المذكور فيها السهو من النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة .

• أولها : حديث ذو اليدين في السلام من اثنين .

• الثاني : حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين .

• الثالث : حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه

وسلم صلى الظهر خمسا ، وهذا هو الثابت في الصحيح .

وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل ، وحكمة الله فيه ليستن

به ، اذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول ، وأرفع للاحتمال ، وشرطه أنه لا

يقر على السهو ، بل يشعر به ليرتفع الالتباس ، وتظهر فائدة الحكمة .

وان النسيان والسهو في الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد

للمعجزة ولا قادح في التصديق .

وهذا بناء على التفريق بين الافعال البلاغية ، وبين الاقوال البلاغية ،

فالسهو والنسيان قد يقع في الافعال والاحكام منه صلى الله عليه وسلم ،

وهو جائز عليه ، كما ثبت من أحاديث السهو في الصلاة .

أما الاقوال البلاغية فلا يجوز وقوع النسيان والسهو فيها لقيام المعجزة

على الصدق في القول ، والنسيان يناقض ذلك ، أما النسيان في الافعال فغير

ناقض لها ولا قادح في النبوة ، بل غلطات الفعل من سمات البشر ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « انما أنا بشر أنسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكروني » وحالة النسيان والسهو هنا في حقه صلى الله عليه وسلم سبب افادة علم ، وتقدير شرع ، كما قال صلى الله عليه وسلم « انى لانسى أو أنسى لاسن » بل قد روى : « لست أنسى ولكن أنسى لاسن » •

وهذه الحالة زيادة له في التبليغ ، وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص ، واغراض الطعن •

أما ما ليس طريقه البلاغ ، ولا بيان الاحكام من أفعاله صلى الله عليه وسلم ، وما يختص به من أمور دينية ، وأذكار قلبية ، مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ، وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق ، وسياسات الامة ، ومعاناة الاهل ، وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال ، بل على سبيل الدور وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم جملة ، وهو مذهب جماعة من العارفين من أهل القلوب والمقامات ، رضي الله عنهم •

موقفه في أسرى بدر

ومما يستدل به من يقول بجواز الخطأ عليه صلى الله عليه وسلم دون أن يقر عليه ، قصة أسرى بدر •
وهي : كما في المسند عن أنس رضي الله عنه أنه قال : استشار النبي

صلى الله عليه وسلم الناس في الاسرى يوم بدر فقال : ان الله تعالى قد
 أمكنكم منهم .. فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله اضرب أعناقهم ،
 فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عاد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال : يا أيها الناس ان الله قد أمكنكم منهم ، وانما هم اخوانكم
 بالامس ، فقام عمر فقال : يا رسول الله اضرب أعناقهم ، فأعرض عنه النبي
 صلى الله عليه وسلم ، فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق رضي الله
 عنه فقال : يا رسول الله نرى أن تغفو عنهم وان تقبل منهم الفداء ، قال :
 فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم ، فغفا
 عنهم وقبل منهم الفداء .

قال : وأنزل الله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم
 عذاب عظيم » ، ومن تأمل ما جاء في روايات هذه القصة يظهر له جليا انه صلى
 الله عليه وسلم كان مصيبا فيما فعله ، وذلك من وجوه متعددة .

الوجه الاول : أن النبي صلى الله عليه وسلم عمل بذلك بمقتضى
 المشاورة التي أمره الله تعالى بها في قوله : « وشاورهم في الامر فاذا عزمت
 فتوكل على الله » .

الوجه الثاني : انه صلى الله عليه وسلم جنح الى رأي من قال بالفداء
 وهويه - أي أحبه - لما فيه من الرحمة والعطف واللين ، بمقتضى المقام الذي
 أقامه تعالى فيه ، وهو قوله تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

الوجه الثالث : ان فعله صلى الله عليه وسلم كان موافقا ، لما سبق في
 الكتاب الاول الذي قضى الله تعالى فيه حل الغنائم له صلى الله عليه وسلم

خاصة ، ولم تجل لاحد قبله ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق » يعنى في أم الكتاب الاول ، ان المغانم والاسارى حلال لكم •• لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم •

الوجه الرابع : وكما أن قبوله صلى الله عليه وسلم الفداء ، وافق قضاء الله تعالى السابق في الكتاب الاول ، فانه وافق أيضا الشرع اللاحق النازل في الكتاب الحكيم ، وهو قوله تعالى ، « فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا » الآية ، فكيف يقال في أمر وافق الكتاب الاول ووافق الشرع النازل بعد ، كيف يقال : انه خطأ •

الوجه الخامس : أن نزول التشريع باحلال الغنائم ، وهو قوله تعالى : « فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا » هو اقرار لما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتصويب لما رآه ، اذ لو كان فعله خطأ كيف يقره الله تعالى عليه ويجعله شرعا باقيا ؟ حتى على قول من جوز الخطأ عليه صلى الله عليه وسلم دون أن يقره الله عليه ، لا يقال : انه صلى الله عليه وسلم اخطأ في قضية أسرى بدر لان الله تعالى أقره على ذلك فمن أين يأتي الخطأ •

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : وقد استمر الحكم في الاسرى عند جمهور العلماء ان الامام مخير فيهم ، ان شاء قتل ، كما فعل بنى قريظة وان شاء فادى بمال ، كما فعل بأسرى بدر ، أو فادى بمن أسر من المسلمين ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الجارية وابنتها اللتين كاتتا في سبي سلمة بن الاكوع ، حيث ردهما وأخذ في مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين ، وان شاء استرق من أسر ، هذا مذهب الامام الشافعى

وطائفة من العلماء ، وفي المسألة خلاف بين الائمة مقرر في موضعه من كتب
الفقه ، اهـ كلام ابن كثير •

الوجه السادس : لو كان موقفه صلى الله عليه وسلم مع أسرى بدر
خطأ لامره الله تعالى أن يرد الفداء ، وان يستغفر الله تعالى من الخطأ الذي
وقع فيه ، مع أنه سبحانه وتعالى أقره على ذلك وشرع له ذلك فقال « فكلوا
مما غنمتم حلالاً طيباً » الآية ، فلو كان خطأ لما أقره الله تعالى عليه ، ولما
شرع له ذلك •

الوجه السابع : كيف يحكم بأنه صلى الله عليه وسلم أخطأ في اسرى
بدر مع أنه صلى الله عليه وسلم أمر أن يخير أصحابه في ذلك ، ثم عمل
بسقتضى ذلك فقد روى الترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم باسناد صحيح
عن علي كرم الله وجهه قال : جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم بدر ، فقال له : خير أصحابك في الاسارى ان شاؤوا
القتل وان شاؤوا الفداء على ان يقتل منهم - أي الصحابة - في العام المقبل
مثلهم ، فقالوا : نختار الفداء ، ويقتل منا أي يقتل منهم سبعون رغبة في
الشهادة في سبيل الله تعالى •

وعند ابن سعد من مرسل قتادة ، فقالوا : بل تفاديهم فنقوى بهم عليهم
ويدخل العام القابل منا الجنة سبعون ففادوهم •

قال الحافظ القسطلانى: وهذا دليل على أنهم لم يفعلوا الا ما أذن لهم فيه •
أما قوله تعالى : ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض

تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة •• الآية ليس فيها معاتبه للنبي صلى الله عليه وسلم أصلاً ، وإنما فيها العتاب لمن أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بالفداء بغية عرض الدنيا وهو المال المفدى به حين استشار عامة الناس قبل أن يستشير خاصتهم : أبابكر وعمر وعلياً رضي الله عنهم كما تقدم •

فأراد بقوله سبحانه وتعالى : « تريدون عرض الدنيا » أولئك النفر

الذين أرادوا المال •

أما سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقصد بقبول الفداء عرض الدنيا ، وحاشاه من ذلك ، فإن الدنيا كلها ما لها قيمة عنده وقد قال صلى الله عليه وسلم : مالي وللدنيا ، ما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ، وقد عرضت عليه جبال تهامة أن تكون له ذهباً فأبى ، فأين هو من عرض الدنيا •

كما أن قوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ، فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً » فإن هذا اعلان منه سبحانه وتعالى بنعمته ومنته على هذه الامة بفضل نبيها صلى الله عليه وسلم واعلام بأنه سبق منه القضاء في الكتاب السابق ، بحل الغنائم لهذه الامة دون غيرها فضلاً منه ونعمة بفضل نبيها وكرامته على الله تعالى •

ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يشيد بهذه النعمة في جملة من المناقب التي خصه الله تعالى بها فيقول : أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى الاحمر والاسود ، وأحلت لي الغنائم ولم تكن تحل لاحد قبلي

توضیح اشکالہ

أما ما جاء في الحديث من قول عمر رضي الله عنه : فلما كان من الغد جئت ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يكيان قلت : يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكى للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة « شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم » وأنزل الله عز وجل « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض - الى قوله - فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا » فأحل الله الغنيمة لهم .

أقول : الصواب ان هذا الذي عرض عليه صلى الله عليه وسلم من عذابهم كان قبل نزول الآيات المقررة « بكسر الراء الاولى المشددة » • تصحيح عمله وتأيد موقفه وتثبيته فيما انشرح اليه صدره من رأي أبي بكر رضي الله عنه ، وفائدة هذا العرض زيادة المنة من الله تعالى بتعظيم النعمة عليهم فيما أباحه لهم مما كان محرما على من قبلهم ، وذلك بيان ما يستحق هؤلاء الأسرى من الجزاء والعقاب لو جرى الامر على ما كان مما هو مشروع من قبل ، فعذابهم هذا الذي رآه صلى الله عليه وسلم هو الذي

يستحقونه لو لم يكن ما شرعه الله مما هدى اليه رسوله الصادق الامين من قبوله الفداء وأخذ الغنائم ، ثم بعد اظهار ذلك لحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بكى ، لانه ظن أن هذا هو حكم الله فيهم وظن انه اخطأ فيما جنح اليه ورآه ، ثم أعلمه الله جل شأنه بصحة ذلك وانه هو الحق بما أنزل عليه من الآيات البيّنات التي صوبت (١) عمله وأيدت قوله وفعله وجعلت ما ذهب اليه شريعة متبعة وسمة قائمة ونظاما من أصول الانظمة الحربية في شأن الاسرى الى قيام الساعة .

وأما قوله تعالى : (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) الآية ، فالصواب ان الآية هذه اخبار من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن حكم هذه القضية في الشرائع السابقة ، وهي تقول له : يا محمد ما كان لنبي من سبقتك من الانبياء أن يكون له أسرى حتى يكثر (٢) القتل والقهر في العدو ، هذا حكم من سبق ، أما أنت فقد ابحننا ذلك وأحللناه لك مزية ومنقبة وخصوصية تتميز بها عنهم .

فالآية اشتملت على تقرير تمام النعمة على محمد صلى الله عليه وسلم ببيان ما فضله به مولاه واختصه به الله مما كان محرما على من سبقه . فتدبر ، وليس فيها عتاب او خصام فالحمد لله على ذلك هذا ما عندي ونسأله سبحانه وتعالى ان يرزقنا الفهم في كتابه العزيز .

(١) بتشديد الواو .

(٢) يكثر بضم الياء واسكان الكاف .

موقفه صلى الله عليه وسلم في قضية تآير النخل

ومما يستدل به من يقول بجواز الخطأ عليه صلى الله عليه وسلم دون أن يقر عليه ، قضية تآير النخل ، وهى :

أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلحقون النخل فقال : لو لم تفعلوا لصلح ، قال : فخرج شيصا فمر بهم صلى الله عليه وسلم فقال : ما لنخلكم ؟ قالوا : « قلت كذا وكذا قال : أتم أعلم بأمر دنياكم » (١) فمن هذا الحديث فهم بعض الناس ان النبى صلى الله عليه وسلم قد يخطىء في أمور الدنيا وراح يقول : أخطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في كذا وأخطأ في كذا .

ولكن الحق أحق ان يتبع ، وذلك أن أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله يفسر بعضها بعضا ، ويشبه بعضها بعضا ، وان الله تعالى حفظه عن الخطأ كما حفظه من الخطيئة ، فنقول وبالله التوفيق .

أولا : انه صلى الله عليه وسلم قد نشأ في تلك الاراضي المباركة التى هى منابت النخيل وتربى بين قوم يعلمون فنون زرع النخيل ، وما يتطلبه من عنايات ولقاحات ، وكيف يتصور في حقه صلى الله عليه وسلم ان تخفى عليه تلك العادة المطردة في انتاج النخيل ولزوم التلقيح له بموجب الاصول

(١) رواه مسلم في الصحيح .

الزراعية ؟ في حين أن ذلك ليس من خفايا معلومات الزراعة لشجر النخيل
ولا من غوامضها ، اذا لا بد وأنه يعلم ذلك كما يعلمون ، ولكن أراد ان
يظهر لهم أمرا لا يستطيعون نيله بأنفسهم •

ثانيا : ان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي نال من العلوم
ما نال ، وأفاض الله تعالى عليه ما أفاض ، حتى انه ذكر الصحابة وبحث لهم
في كل شيء ، كما روى الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال : تركنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقرب جناحيه في الهواء الا وهو ذكر لنا
منه علما •• فكيف يتصور انه يخفى عليه صلى الله عليه وسلم أن النخيل لا
يحتاج الى تلقيح بسقتى العادة في علم الزراعة ، ولكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أراد أمرا آخر •

ثالثا : ان الذى يدلنا على ذلك الامر الذى أراده صلى الله عليه وسلم
هو النظر في أشباه هذه الواقعة الصادرة منه صلى الله عليه وسلم ومن ذلك
حديث : « ناولنى الذراع » •

ففى المسند عن أبى رافع القبطى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مصلية ، فأتى بها ، فقال :
« يا أبا رافع ناولنى الذراع » فناولته ثم قال : « ناولنى الذراع » فناولته
ثم قال : « ناولنى الذراع » فقلت : يا رسول الله هل للشاة الا ذراعان •
فقال صلى الله عليه وسلم : « لو سكت لناولتنى منها ذراعا ما دعوت به »
قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الذراع •

قال في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني من طرق ، وقال في بعضها : « أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أصلي له شاة فصليتها » ورواه في الاوسط باختصار ، وأحد اسنادي أحمد حسن اه .

وعن أبي عبيد أنه طبخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدرا فيها لحم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ناولني ذراعها » فناولته ، فقال : « ناولني ذراعها » فناولته ، فقال : « ناولني ذراعها » فقلت : يا نبى الله كم للشاة من ذراع ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لو سكت لاعطيت ذراعا ما دعوت به » وهذه القصة غير التي تقدمت كما نبه عليه الحافظ الزرقاني وغيره .

وفي مجمع الزوائد عن ابن اسحاق قال : حدثني رجل من بنى غفار في مجلس سالم بن عبدالله قال : حدثني فلان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بطعام : خبز ولحم ، فقال : « ناولني الذراع » فنوول ذراعا فأكله ، ثم قال : « ناولني الذراع » فنوول ذراعا فأكله ، ثم قال : « ناولني الذراع » فقال : يا رسول الله انما هما ذراعان ، فقال : « وأبيك لو سكت ما زلت أناول منها ذراعا ما دعوت به » قال : ورواه أحمد وفيه راو لم يسم .

فقوله صلى الله عليه وسلم : « ناولني الذراع » في المرة الثالثة - مع العلم أن الشاة لها ذراعان انما أراد أن يظهر أمرا معجزا فيه الاكرام ، وفيه البرهان وفيه الاشهاد بالعيان ولكن لما لم يجد محلا قابلا لم تظهر تلك المعجزة ولذلك قال الحافظ الزرقاني عند قوله صلى الله عليه وسلم : « أما انك لو

سكت لناولتني ذراعا فذراعا ما سكت « أي مدة سكوتك ، لانه سبحانه
يخلق ذراعا فذراعا معجزة له صلى الله عليه وسلم فحملت المناول عجلته
المركبة في الانسان على قوله : انما للشاة ذراعان فانقطع المدد ، لانه انما كان
من مدد الكريم سبحانه ، اكراما لخالصة خلقه صلى الله عليه وسلم ، فلو
تلقاه المناول بالادب ساكتا مصغيا الى ذلك العجب لكان شكرا منه مقتضيا
لتشريفه باجراء هذا المدد على يديه ، ولكنه تلقاه بصورة الانكار فرجع الكرم
موليا ، لما لم يجد قابلا ، اذ لا تليق مشاهدته هذه المعجزة العظيمة - التي في
شهودها نوع تشريف للمطلع عليها - الا لمن كمل تسليمه ولم يبق فيه أدنى
حظ ولا ارادة اه •

وهكذا في حادثة تأبير النخل ، لما مر صلى الله عليه وسلم بقوم يؤبرون
النخل ، أراد أن يكرمهم ويتحفهم وأن يظهر لهم معجزة خارقة للعادة المطردة
في اصلاح النخيل بالتأبير ، فيكرمهم خاصة بصلاحة دون تأبير ، اذ هو صلى
الله عليه وسلم ممن يعلم بموجب العادة حاجة النخيل الى تأبير كما يعلمون ،
لانه صلى الله عليه وسلم بينهم مطلع على أمورهم •

ولكن لما لم تقبل قلوب بعض أولئك النفر ، ولم تستسلم كل الاستسلام
الى قوله صلى الله عليه وسلم « لو لم تفعلوا - أي التأبير - لصلح » بل
وقفوا عند معلوماتهم الدنيوية المطردة من فن زراعة النخيل ، وأن صلاحه
موقوف على التأبير ، فلم يلق الكرم محلا قابلا فرجع •

ولذلك ردهم صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الى الاسباب - المعتادة

لديهم ، المعلومة عندهم التي وقفوا عندها ولم يجاوزوها فقال لهم : « أتم أعلم بأمور دنياكم » أي : فارجعوا الى العمل بموجب علمكم بأمور دنياكم . ويشهد لصحة ما قلناه ، وصواب ما فهمناه من أنه صلى الله عليه وسلم لم يخطيء في ذلك - قول الشيخ العارف بالله تعالى ، صاحب الابرين تفننا الله تعالى بمعارفه ، حين سئل عن حديث تأبير النخل ؟ فقال رضي الله عنه : قوله صلى الله عليه وسلم : « لو لم تفعلوا لصلحت » كلام حق وقول صدق وقد خرج منه هذا الكلام على ما عنده من الجزم واليقين بأنه تعالى هو الفاعل بالاطلاق ، وذلك الجزم مبني على مشاهدة سريان فعله تعالى في سائر الممكنات ، مباشرة بلا واسطة ولا سبب ، بحيث انه لا تسكن ذرة ولا تتحرك شعرة ، ولا يخفق قلب ، ولا يضرب عرق ، ولا تطرف عين ، ولا يومئ حاجب الا وهو تعالى فاعله مباشرة من غير واسطة وهذا أمر يشاهده النبي صلى الله عليه وسلم كما يشاهد غيره من سائر المحسوسات ولا يغيب ذلك عن نظره لا الا وهو تعالى فاعله مباشرة من غير واسطة وهذا أمر يشاهده النبي صلى الله عليه وسلم كما يشاهد غيره سائر المحسوسات ولا يغيب ذلك عن نظره لا في اليقظة ولا في المنام ، لانه صلى الله عليه وسلم لا ينام قلبه الذي فيه هذه المشاهدة ، ولا شك أن صاحب هذه المشاهدة تطيح الاسباب من نظره ، ويترقى عن الايمان بالغيب الى الشهود والعيان ، فعنده من قوله تعالى « والله خلقكم وما تعملون » مشاهدة دائمة لا تغيب ويقين يناسب هذه المشاهدة ، وهو أن يجزم بمعنى الآية جزماً لا يخطر معه بالبال نسبة الفعل الى غيره تعالى ، ولو كان هذا الخاطر قدر رأس النملة .

قال ولا شك أن هذا الجزم الذي يكون على هذه الصفة تخرق به العوائد ، وتنفع به الأشياء ، وهو سر الله تعالى الذي لا يبقى معه سبب ولا واسطة •

فصاحب هذا المقام إذا أشار إلى سقوط الأسباب ، ونسبة الفعل إلى رب الأرباب كان قوله حقا ، وكلامه صدقا •

قال : وأما صاحب الإيمان بالغيب فليس عنده في قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » مشاهدة ، بل إنما يشاهد نسبة الأفعال إلى من ظهرت على يده ، ولا يجذبه إلى معنى الآية ونسبة الفعل إليه تعالى إلا الإيمان الذي وهبه الله تعالى ، فعنده جاذبان : أحدهما من ربه وهو الإيمان الذي يجذبه إلى الحق ، وثانيهما : من طبعه وهو مشاهدة الفعل من الغير الذي يجذبه إلى الباطل •

فهو بين هذين الأمرين دائما ، لكن تارة يقوى الجاذب الإيماني فتجده يستحضر معنى الآية السابقة ساعة وساعتين ، وتارة يقوى الجاذب الطبيعي فتجده يغفل عن معناها اليوم واليومين وفي أوقات الغفلة ينتفى اليقين الخارق للعادة •

فلهذا لم يقع ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم لأن أولئك نفر من الصحابة رضي الله عنهم فاتهم اليقين الخارق وقتئذ ، الذي اشتمل عليه باطنه صلى الله عليه وسلم ، وبحسبه خرج كلامه الحق ، وقوله الصدق صلى الله عليه وسلم •

ولما علم صلى الله عليه وسلم العلة في عدم وقوع ما ذكره لهم ، وعلم أن زوال تلك العلة ليس من طوقهم رضي الله عنهم وقتئذ أبقاهم على حالتهم وقال : « أأنتم أعلم بأأمور دنياكم » اهـ كلام الابريز (١) •

وعلى كل حال فانه لا يقال : أخطأ صلى الله عليه وسلم في قصة تأبير النخل ، كما لا يقال : انه صلى الله عليه وسلم أخطأ في قوله لابي عبيد « ناولنى الذراع » في المرة الثالثة ، فان ذلك ليس من باب الخطأ بل من باب الصواب ، واردة الاكرام والاتحاف لاولئك نفر بأمر فيه اليمن والبركة على وجه خارق للعادة ، ولكن تخلف ذلك لوجود المانع والعارض •

ونظير هذا : انقطاع مدد الاكرام والبركة من ظرف السمن الذى بارك فيه النبى صلى الله عليه وسلم لما عصرته أم مالك كما جاء في صحيح مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه : أن أم مالك الانصارية كانت تهدي النبى صلى الله عليه وسلم من عكة لها سمناً فيأتيها بنوها فيسألونها الادم - وفي رواية - فيسألون السمن وليس عندهم شيء ، فتعمد - أي تقصد - الى الظرف الذى كانت تهدي فيه ، فتجد فيه سمناً فما زال يقيم لها آدم بيتها حتى عصرته - أي عصرت الظرف فنفذ السمن - فأنت النبى صلى الله عليه وسلم - أي ذكرت له ذلك - فقال : عصرتها ؟ قالت : نعم ، فقال : لو تركتها ما زال - أي السمن - قائماً •

(١) انظر الابريز لسيدى عبدالعزيز الدباغ والشمائل لشيخنا الشيخ عبدالله سراج الدين •

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رجلا من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه ، فأطعمه شطر وسق من شعير ، فما زال يأكل منه وامرأته وضيئفهما - أي اضيئفهما الذين ينزلون عندهما - حتى كاله - أي فنقص - فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال له : لو لم تكله لاكلتم منه أي دائما حتى يكفيكم - وأقام لكم - أي مدة الحياة من غير نقص ، فالكيل العارض منع المدد الفائض •

وقد بين الامام النووي حكمة ذلك كله حيث قال : قال العلماء : الحكمة في ذلك أن عصرها وكيهه مضادة للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى ، ويتضمن التدبير والاخذ بالحوال والقوة ، وتكلف الاحاطة بأسرار حكم الله تعالى وفضله ، فعوقب فاعله بزواله اه •

قال الحافظ الزرقاني : ولا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم « كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه » لانه فيمن يخشى الخيانة ، أو كيلوا ما تخرجونه للنفقة لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل ، أو كيلوا عند الشراء أو عند ادخاله المنزل اه •

سحره صلى الله عليه وسلم لا ينافي كماله

ومن ذلك ما جاء في الاخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم سحر •
فمن عائشة رضي الله عنها قالت : « سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى أنه ليخيل اليه أنه فعل الشيء وما فعله » • وفي رواية اخرى : حتى كان
يخيل اليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن ، الحديث •

وقد اختلف الناس في هذا الحديث اختلافا كبيرا فمنهم من رده وطعن
فيه ، ومنهم من التبس عليه الامر فقدم في العصمة النبوية •

والحق أن حديث سحره صلى الله عليه وسلم صحيح متفق عليه وهو
لا يقدم في عصمته صلى الله عليه وسلم •

وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في أمره لبسا ، وانما السحر
مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الامراض مما لا
ينكر ولا يقدم في نبوته •

وأما ما ورد من أنه كان يخيل اليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في
هذا ما يدخل عليه داخله في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدم في صدقه
لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا • وانما هذا فيما يجوز طروقه
عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ، ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة

للآفات كسائر البشر ، فغير بعيد أن يخيل اليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم
ينجلي عنه كما كان •

وأقرب دليل عندي في تأكيد حفظ قلبه وعقله من السحر هو انضباط
أقواله في تلك الفترة وجريانها على نسقها الطبيعي بلا اختلال ولا تناقض ولا
اضطراب ولا فساد بل على الكمال والتمام والانسجام التام ، مع وجود
أعدائه وترقبهم لاحواله ، وحرصهم على حفظ أدنى كلمة او حرف يستنقصون
به حاله ، ويشفون به غيظهم ولو ظفروا بمثل ذلك لنفخوا فيها وطاروا بها
ولكنه لم يثبت شيء من هذا وحفظ الله نبيه صلى الله عليه وسلم ورد الله
الذين كفروا يغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال •

بل الامر عندي على العكس ، وهو أن سحره صلى الله عليه وسلم
وتأثر بعض ظاهره بذلك وسلامة قلبه وعقله واعتقاده وأقواله ، أكبر دليل
على كمال عصمة الله له ، وان نبوته محفوظة لا تتأثر بالعوارض البشرية
مهما بلغت قوتها وأنه بالرغم من تأثر بشريته بذلك الا أن نبوته محفوظة مع
ان النفس التي تحمل البشرية والنبوة واحدة وهى نفس محمد صلى الله
عليه وسلم •

ومثال هذا مثال سارق دخل الى دار مملوءة بالدرر والجواهر وأتقى
الذخائر ، فاستطاع بحيلته أن يدخل الى الدار ، ولكنه لم يستطع ان يتناول
شيئا مما فيها من الكنوز بقوة قاهرة وسطوة ظاهرة ، من غير حجاب ولا باب

ولا حارس أو بواب ، فخرج كما دخل خائبا خاسرا ، فالسحر أثر على شيء
من بشريته صلى الله عليه وسلم ولم يؤثر على قلبه أو عقله •

وفي هذا إشارة الى أنه محفوظ بحفظ خاص ، مرعي برعاية خاصة ،
ليس لاحد عليه سلطان ، بل هو لله الواحد الديان ، عرش حقائق ، ومحل
دقائق ومهبط أنوار وتنزل أسرار •

هل يلعن صلى الله عليه وسلم أحدا

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر ، وإنى قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه ، فأيا مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة »

وفي رواية : « فأيا أحد دعوت عليه دعوة » •

وفي رواية : « ليس لها بأهل » •

وفي رواية « فأيا رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها

له زكاة وصلاة » •

فقد يقول قائل : كيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ، ويسب من لا يستحق السب ، ويجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله ؟

فاعلم شرح الله صدرك أن قوله صلى الله عليه وسلم اولا : « ليس لها بأهل » أي عندك يا رب في باطن أمره فان حكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر ، كما قال •

وللحكمة التي ذكرناها فحكم صلى الله عليه وسلم بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ، ثم دعا له صلى الله عليه وسلم

لشفقته على أمته ورأفته ، ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها ، وحذره أن يتقبل الله فيمن دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه وفعله له رحمة ، وهو معنى قوله : « ليس لها بأهل » لا أنه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم .

وهذا معنى صحيح ، ولا يفهم من قوله : « أغضب كما يغضب البشر » أن الغضب حمله على ما لا يجب ، بل يجوز ان يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه أو سبه وأنه مما كان يحتمل ، ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة فيه والعتو عنه .

وقد يحمل على أنه خرج مخرج الاشفاق وتعليم أمته الخوف والحذر من تعدى حدود الله .

وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ، ومن دعواته على غير واحد في غير موطن ، على غير العزم والقصد ، بل بما جرت به عادة العرب في محاوراتهم يدعون على مخاطبتهم بنحو (قاتله الله) (وويل أمه) (ولا أب له) لمن قصد مدحه وتحسين فعله وهو مشهور في غير لسان العرب أيضا .
وليس المراد بها الاجابة .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « تربت يمينك » رواه الشيخان .

وقوله : « لا أشبع الله بطنك » قاله صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه فيما رواه مسلم عن ابن عباس ، ولفظه : « كنت مع الصبيان فجاء

رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف الباب ، فقال : اذهب فادع لي معاوية ، قال : فجئته وقلت هو يأكل ، فقال ثانيا : اذهب فادعه فجئته وقلت هو يأكل ، فأمرني فجئته وقلت هو يأكل ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا أشبع الله بطنه » ، وقوله : « عقرى حلقى » وقد قاله صلى الله عليه وسلم لصفية بنت حيي أم المؤمنين رضي الله عنها في حجة الوداع وهو في البخارى بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للحج ، فلما كانت ليلة النفر حاضت صفية فقال صلى الله عليه وسلم ما أراها الا حابستكم الخ •

وعقرى : دعاء عليها من العقر وهو عرقبة الدواب ، وألفه للتأنيث كسكرى ، أو من العقرة ، وهو رفع الصوت • وحلقى : دعاء عليها وهو وجع في حلقها •

وقدر ورد في صفته في غير حديث : « أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا » وقال أنس : « لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا » وكان يقول لاحدنا عند المعتبة « ماله ترب جبينه » •

فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم أشفق صلى الله عليه وسلم من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه - كما قال في الحديث - ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة •

وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه ، وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط •

وقد يكون ذلك سؤالاً منه لربه لمن جلده أو سبه على حق وبوجه
صحيح أن يجعل ذلك كفارة لما أصابه وتمحية لما اجترم ، وأن تكون عقوبته
له في الدنيا سبب العفو والغفران ، كما جاء في الحديث الآخر : « ومن أصاب
من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة » •

الحاصل

والحاصل أنه ينبغي للمسلم أن لا يسارع الى القول بجواز وقوع الذنب منه صلى الله عليه وسلم ، لمجرد رؤيته لبعض النصوص التي فيها الاقرار منه صلى الله عليه وسلم بالتوبة والاستغفار والرجوع الى الله تعالى والخوف منه ، فيقع في سوء الاعتقاد وفساد الرأي ، وهو مرض خبيث « والعياذ بالله » •

وعليه أن يعلم أن درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده ، وعظم سلطانه وقوة بطشه ، مما يحملهم على الخوف منه جل وعلا والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم ، وانهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ، ولا أمروا بها ، ثم أوخذوا عليها ، وعوتبوا بسببها ، وحذروا من المؤاخذة ، وأتوها على وجه التأويل أو السهو ، أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ، ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم •

لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب مأخوذ من الشي الدنيء الرذل •

ومنه « ذنب كل شيء » أي آخره ، وأذئاب الناس أرذالهم ، فكان هذه أذنى أفعالهم وأسوأ ما يجرى من أحوالهم لتطهيرها وتنزيههم وعمارة بواطنهم

وظواهرهم بالعمل الصالح ، والكلم الطيب ، والذكر الظاهر والخفي ،
والخشية لله واعظامه في السر والعلانية •

وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبايح والفواحش ما تكون بالاضافة الى
هذه الهنات في حقه كالحسنات وقال بعضهم : « يؤاخذ الانبياء بمثاقيل
الذر » لمكائنتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقله مبالاته بهم في أضعاف ما
أتوا به من سوء الادب •

وهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ، ويتلون
بذلك ليكون استشعارهم له سببا لزيادة رتبتهم ، كما قال : « ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى » •

وقال لداود : « فغفرنا له ذلك .. » الآية ، وقال بعد قول موسى :
« تبت اليك » « انى اصطفيتك على الناس ... » وقال بعد ذكر فتنة سليمان
وانابته : « فسخرنا له الريح » الى قوله تعالى « وحسن مآب » •

وقال بعض المتكلمين : « زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة
كرامات وقرب » •

وأياها فلينبه غيرهم من البشر منهم ، أو ممن ليس من درجاتهم بمؤاخذتهم
بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ،
ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم
فكيف بمن سواهم •

وقد وقع في نفسي فيما يتعلق بالآيات القرآنية التي تتضمن العتاب
والزجر والتهديد في خطابه صلى الله عليه وسلم أو استفاد منها ما ينافي

العصمة النبوية بأن هذا كله لا يحتاج الى جواب ولا اشكال فيه ، وذلك لانه خطاب من الله الى الانبياء وهو مولاهم وسيدهم يخاطبهم بما شاء وبالاسلوب الذى يريد فيعاتبهم ويهددهم ويخطئهم ويؤدبهم ويحذرهم . وهذا لا يبيح لغيرهم ان يخاطبهم بمثله أو أن يستفيد منه ما يبيح له نسبة مفهومه أو مدلوله لهم فيستفيد مثلاً من العتاب جواز صدور المخالفة منهم ويستفيد من قوله عفا الله عنك جواز صدور الخطأ ، بل هذه جراءة ووقاحة وتطفل من هذا الدعى لان الاب قد يضرب ابنه أو يعاتبه أو يسبه ويشتمه ، ولكنه لا يرضى من غيره ان يضربه ، أو يفعل معه كما فعل محتجاً بأن أباه فعل معه كذلك ، فهذا ما لا يرضاه الاب ، والله سبحانه وتعالى يعامل انبيائه بما يشاء ويخاطبه بما يشاء ولكنه لا يرضى ان يعاملهم نحن بما عاملهم به فلينتبه لهذه المسألة .

وانك لعلى خلق عظيم

كمال أخلاقه العظيمة وشمائله الكريمة

كمال رحمته صلى الله عليه وسلم

رحمته صلى الله عليه وسلم للعالم

قال تعالى : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » فهو صلى الله عليه وسلم رسول الرحمة الذي ارسله الله تعالى رحمة لجميع العالمين رحمة للمؤمنين ورحمة للكافرين ورحمة للمنافقين ورحمة لجميع بنى الانسان الرجال والنساء والصبيان ورحمة للطير والحيوان فهو رحمة عامة لجميع خلق الله تعالى واما الشفقة والرافة والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه : « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » قال بعضهم من فضله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أعطاه اسمين من اسائه فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم •

وقد روى ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال أحسنت اليك قال الاعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل اليه صلى الله عليه وسلم شيئا ثم قال أحسنت اليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي في ذلك شيء فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال

ما قال فزدناه فزعم أنه رضي كذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا تقورا فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتى فانى أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار ، رواه أحمد .

وروى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من اصحابى شيئا فانى أحب ان أخرج اليكم وانا سليم الصدر ، رواه ابو داود في الادب .

ومن شفقتة على امته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله عليه الصلاة والسلام لولا ان أشق على أمتى لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا تتعنت امته ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته (١) .

ومن شفقتة صلى الله عليه وسلم ان دعا ربهم وعاهده فقال ايما رجل سبته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال

(١) وكل هذا ثابت في الصحيح .

لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال لوسلم عليه وقال مرني بما شئت ان
شئت أن اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان
يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا .

وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى أمر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال أوخر عن
امتي لعل الله ان يتوب عليهم فقالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما قال ابن مسعود رضي الله
عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعة مخافة السامة
علينا .

وعن عائشة انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق (١) .

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم العامة رحمته للمنافقين بالامان من
القتل والسبى نظرا لظاهر اسلامهم في الدنيا .

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم العامة رحمته للكفار برفع عذاب
الاستئصال عنهم في الدنيا وذلك ان الامم السابقة كانت اذا ارسل الله تعالى
فيهم رسولا فكذبوه وكفروا به جاءهم العذاب فعمهم ، كما قص الله تعالى
من اخبار قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم كيف احاط بهم العذاب
وحاق بهم ما كانوا يستهزئون .

(١) رواه مسلم في الصحيح .

واما كفار هذه الامة المحمدية فقد رفع الله عنهم العذاب العام الذى
يستأصلهم كما استأصل وعم الكفار من الامم السابقة وذلك تكربة لهذا
الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذى ارسله الله تعالى رحمة للعالمين •

رحمته صلى الله عليه وسلم

بالاهل والعيال

روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن سعيد عن أنس رضي الله عنه قال :
ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
كان ابراهيم مسترضعا له في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل
البيت وانه ليدخن - أي يعلو منه الدخان - وكان ظئره قينا ، فيأخذه - أي
فيأخذ النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم المسترضع - فيقبله ثم يرجع
قال عمرو : فلما توفى ابراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان
ابراهيم ابني وانه مات في الثدي - أي في سن رضاع الثدي - وان له
لظئرين - أي مرضعتين - تكملان رضاعه في الجنة » أي تتمان له رضاع
سنتين فانه توفى وله ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا اهـ من شرح النووي
وفسر القين في النهاية بانه الحداد والصائغ .

ومن رحمته بأهله صلى الله عليه وسلم : انه كان يعاونهم في الامور

البيئية .

فقد جاء ان الاسود قال سألت عائشة رضي الله عنها : ما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يصنع في أهله ؟ فقالت : كان في مهنة أهله فاذا حضرت
الصلاة قام الى الصلاة ، فما كان صلى الله عليه وسلم من جبايرة الرجال ،

بل كثيرا ما كان يخدم نفسه بنفسه صلى الله عليه وسلم ففي مسند أحمد
وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم
يخيط ثوبه ، ويخسف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم •

رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان واليتيم والارملة والمريض وغيرهم

روى الشيخان وغيرهما عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انى لادخل فى الصلاة اريد اطالتها ، فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى مما أعلم من شدة وجد أمه » •

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان : انه كان يمسح رؤوسهم ويقبلهم كما جاء فى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين ابنى على وعنده الاقرع بن حابس التميمى فقال الاقرع : ان لى عشرة ما قبلت منهم احدا قط ! فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « من لا يرحم لا يرحم » •

وفى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انكم تقبلون الصبيان وما تقبلهم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟! يعنى ان من كان فى قلبه رحمة للصبيان حملته على ان يقبلهم ، ومن نزع الرحمة من قلبه أمسك عن تقبلهم •

وروى الشيخان والترمذى عن البراء رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه يقول صلى الله عليه وسلم « اللهم انى أحبه فأحبه » •

وروى الترمذى عن أنس رضي الله عنه قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : « الحسن والحسين » وكان يقول لفاطمة عليها السلام « ادعى لى ابني » ويضمهما إليه رضي الله عنهما .
 ومن رحمته بالصبيان وحبه لادخال السرور عليهم : انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى بأول ما يدرك من الفاكهة يعطيه لمن يكون في المجلس من الصبيان كما روى الطبرانى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى بياكورة الثمرة - أي اولها - وضعها على عينيه ثم على شفثيه وقال : « اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره » ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان ، رواه ابن السنى عن أبى هريرة وقال الحافظ الهيثمى :
 رواه الطبرانى في الكبير والصغير ورجال الصغير رجال الصحيح اه .

ومن رحمته دمع عينيه صلى الله عليه وسلم لفراق ولده ابراهيم رضي الله عنه فعن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ابنه ابراهيم رضي الله عنه وهو يجود بنفسه - أي من حالة الاحتضار - فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان - تدمعان - فقال له عبدالرحمن بن عوف : وانت يا رسول الله ! فقال : « يا ابن عوف انها رحمة » ثم اتبعها بأخرى فقال : « ان العين تدمع ، والقلب يحزن » ولا نقول الا ما يرضي ربنا وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون - رواه البخارى وروى بعضه مسلم .

وعن اسامة بن زيد رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع إليه ابن ابنته وهو في الموت ، ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله ! قال : هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء - متفق عليه •

ومن رحمته انه كان صلى الله عليه وسلم لا يأنف ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي لهما الحاجة (١) • وكان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم (٢) وكان يحسن الى اليتامى ويبرهم ويوصي بكفالتهم والاحسان اليهم ويبين الفضائل المترتبة على ذلك بقوله أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما (٣) وان خير بيت في المسلمين البيت الذي فيه يتيم يحسن اليه (٤) •

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم انه كان اذا رأى أحد أصحابه في حالة شدة وبأس يحزن لاجل ذلك حزنا شديدا ويرق قلبه ويبكى متأثرا من ذلك الموقف فلقد زار سعد بن عبادة ومعه عبدالرحمن بن عوف وغيره فلما رآه بكى فبكى من معه (٥) وقبل عثمان بن مظعون وهو ميت وهو صلى الله عليه وسلم يبكى حتى قالت عائشة فرأيت دموع النبي صلى الله عليه وسلم تسيل على خد عثمان (٦) وفي رواية نأه قبل بين عينيه ثم بكى طويلا (٧) •

-
- (١) رواه النسائي
(٢) رواه ابو يعلى والطبراني
(٣) رواه البخاري
(٤) رواه ابن ماجه
(٥) رواه الشيخان
(٦) رواه الترمذي
(٧) رواه ابن الجوزي

رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوان

كان صلى الله عليه وسلم يوصي بالرحمة بالحيوان وينهى صاحبه ان يجيعه أو يدببه ويتعبه بادامة الحمل عليه أو اثقاله أو يحسه بما فيه نوع من التعذيب له •

وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعير قد لحق ظهره بيطنه - أي ضمير من شدة الجوع - فقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله في هذه البهائم فاركبوها صالحة وكلوها صالحة (١) » •

ودخل يوما بستانا لرجل من الانصار فاذا فيه جمل فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن - الجمل - وذرفت عيناه فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه - موضع الاذنين من مؤخرة الرأس - فسكت الجمل فقال صلى الله عليه وسلم : « من رب - أي صاحب - هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ » فجاء فتى من الانصار فقال له صلى الله عليه وسلم : « افلا تتقى الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها ؟ ! فانه شكا الى انك تجيعه وتدببه » أي تتعبه من كثرة العمل عليه واستعماله فوق طاقته (٢) • وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن ارهاق الحيوان بايقافه واطالة

(١) رواه ابو داود وابن خزيمة في صحيحه

(٢) رواه الامام أحمد و ابو داود والحاكم في المستدرک

الجلوس عليه من غير ضرورة الى ذلك وقد دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل ، فقال : « اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي لاحاديثكم في الطرق والاسواق فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله منه » (١) •

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال : « نقيقتها تسبيح » (٢) •

وقال صلى الله عليه وسلم : « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض » (٣) •
ونهى عن التحريش بين البهائم وذلك بتسليط بعضها على بعض بالاذى وتهيجها بالافساد » (٤) •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر من ان يفجع الانسان الطيور بأولادها ، ولما أخذ بعضهم فرخى حمرة وهى طائر صغير وجاءت منزعة قال : « من فجع هذه بولديها ؟ ردوا ولديها اليها » ورأى قرية نحل - أي مجتمع نحل - قد حرقها بعضهم فقال : « من حرق هذه ؟ قالوا : نحن ، قال : انه لا ينبغي ان يعذب بالنار الا رب النار » (٥) •

كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم حذر من قتل الطير عبثا لا لمنفعة

(١) رواه الامام أحمد وابو يعلى والطبرانى .

(٢) رواه النسائي .

(٣) رواه البخارى وغيره .

(٥) رواه ابو داود والترمذى .

(٥) رواه ابو داود .

أكل ونحوه بقوله : « من قتل عصفورا عجز الى الله يوم القيامة يقول : يا رب

ان فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة (١) » .

كما ورد أنه أوصى بالرفق في ذبح الحيوان والاحسان اليه في ذلك وقال

لمن اضجع شاة وهو يحد شفرته « أتريد أن تميتها موتتين ؟ هلا حددت شفرتك

قبل ان تضجعها ! » (٢) .

كما وأنه صلى الله عليه وسلم حذر من اتخاذ الحيوان وكل ذى روح

غرضا أي هدفا للرمى » (٣) .

(١) رواه النسائي .

(٢) رواه الطبراني .

(٣) كما رواه الشيخان .

كمال حياته صلى الله عليه وسلم

الحياء خلق يبعث على اجتناب القبح ، ويسنع من التقصير في حق ذي الحق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « استحيوا من الله حق الحياء » فقالوا : انا لنستحي من الله والحمد لله ، قال : « ليس ذلك ، ولكن الحياء من الله هو ان تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى » الى تمام الحديث وفيه بيان ان الحياء يحمل صاحبه على فعل الكمال ، ويسنعه من النقصان ، وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء لا يأتي الا بخير » وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس حياء ، لانه اعظمهم ايمانا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « الحياء من الايمان » وفي الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها » •

وفي رواية البخارى « واذا كره شيئا عرف في وجهه صلى الله عليه وسلم » ومن المعلوم ان المرأة العذراء وهى البكر المستترة في جذرها اي في ناحية بيتها او خيمتها تكون شديدة الحياء • فلقد كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اشد حياء منها ، وقد بلغ من حياءه صلى الله عليه واله وسلم انه لم يواجه احدا بما يكره ، بل يعرض بذلك ، او بأمر بعض الصحابة من يصارح بذلك الرجل المقصر •

روى ابو داود والترمذى وغيرهما عن أنس رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يواجه احدا بوجهه بشيء يكرهه ، فدخل عليه يوما رجل وعليه أثر صفرة ، فلما قام قال لاصحابه : « ولو امرتم هذا ان يغسل هذه الصفرة » •

وروى ابو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت :: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل ما بال فلان ، ولكن يقول ما بال اقوام يقولون كذا وكذا » •

ومن ذلك حياؤه صلى الله عليه وسلم من القوم الذين اطالوا الجلوس عنده بعد الاكل ، فاستحيا ان يقول لهم انصرفوا حتى نزلت الآية في ذلك ، كما في صحيح البخارى عن أنس رضي الله عنه انه قال : « كان رسول الله عليه واله وسلم عروسا بزینب فقالت لى أم سليم : لو اهدينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية ، قال انس فقلت لها افعلی ، فعمدت الى تمر وسمن واقط فاتخذت حيسة في برمة فارسلت بها معی ، فانطلقت بها اليه فقال : « ضعها » ثم امرنى فقال لى : « ادع رجلا سماهم وادع لى من لقيت » ففعلت الذى امرنى ، فرجعت فاذا البيت غاص بأهله ، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده في تلك الحيسة ، وتكلم ما شاء الله ، ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم « اذكروا اسم الله ، وليأكل كل رجل مما يليه » حتى تصدعوا كلهم •

وفي رواية مسلم وكان النبي صلى الله عليه واله وسلم شديد الحياء أي استحيا ان يقول لهم انصرفوا ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم نحو

الحجرات ، وخرجت من اثره ، فقلت : انهم قد ذهبوا فرجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل البيت وارخى الستر وانى لفى الحجرة وهو يقول : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتم فانتشروا ، ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبي ، فيستحي منكم ، والله لا يستحي من الحق » الآية •

والمراد انه صلى الله عليه وآله وسلم يستحي حياء كرم ان يقول لهم انصرفوا وهم جلوس عنده والله لا يستحي من بيان الحق الواجب اتباعه . وهذا لا ينافى انه سبحانه متصف بحياء الكرم اللائق بسقام ربوبيته تعالى • كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ان ربكم حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا » أي خاليتين - رواه الترمذى وغيره •

فباعتبار ان اطالة الجلوس كانت عنده صلى الله عليه وآله وسلم في بيته استحيا منهم ان يصارحهم في الامر كرما منه ولكن الموقف يتطلب بيان الحق في ذلك لا محالة فجاء القرآن بالبيان من الملك الديان جل وعلا •

ومن حياؤه صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا اراد الحاجة ابعده اي قصد مكانا بعيدا منعزلا - رواه ابن ماجه عن بلالا بن حريث ورمز في الجامع الصغير لصحته •

ومن حياؤه صلى الله عليه وآله وسلم ايضا انه كان اذا اراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض رواه الترمذى وابو داود •

ومن حيائه صلى الله عليه واله وسلم انه كان اذا اراد ان يدخل المرفق
« الكنيف » لبس حذاءه وغطى رأسه رواه ابن سعد •

ومن حيائه صلى الله عليه واله وسلم ما رواه الامام الترمذى في الشمائل
عن عائشة انها قالت ما نظرت الى فرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
او قالت ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، وذلك لشدة
حيائه وكمال وقاره وتستره كل التستر وفي شرح الشمائل للشيخ القارى
والشيخ محمد بن قاسم جسوس روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال قالت عائشة رضي الله عنها ما أتى رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم احدا من نساءه الا مقنعا يرخى الثوب على رأسه وما رأيت منه ولا
رأى منى (١) •

واخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يغتسل من وراء الحجرات وما رأى احد عورته قط ، قال
القارى في شرح الشمائل اسناده حسن •

(١) قال شيخنا عبدالله سراج الدين اورده ابن الجوزى في الوفا

كمال جوده

الكرم والجود والسخاء هو الاتفاق عن رضا فيما يعظم نفعه وخطره
او بذل المال في سبيل من سبل الخير والبر .

وقد كان الكرم من سجايا النبي عليه الصلاة والسلام فطرة وتربية
الهية وتوجيها من القرآن فكان يحض على الكرم ويشجع ويقول : « السخي
قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد
من الناس بعيد من الجنة قريب من النار » (١) ويقول : « ما من يوم يصبح
العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما ، اللهم اعط منفقنا خلفا ، ويقول
الآخر : اللهم اعط مسكنا تلقا » (٢) ويقول : « اياكم والشح فانه اهلك
من كان قبلكم » (٣) .

ولم يكن جوده لكسب محمدا او اتقاء منقصة ولم يكن للمباهاة او
الاستغلال او لاجتذاب المادحين بل كان في سبيل الله وابتغاء مرضاة الله .
كان في حماية الدين وفي موازنة الدعوة وفي محاربة الذين يصدون
عن سبيل الله .

(١) رواه الترمذى عن ابي هريرة .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه ابو داود والحاكم .

وكان في الاتفاق على الفقراء من المسلمين الذين فقدوا اموالهم في سبيل
الله او عجزوا عن الكسب •

وكان في رعاية اليتامى والايامى وكان في تحرير الارقاء الذين كاتبوا
ملاكهم على مال وكان في اجتذاب من يرى تألف قلوبهم من غير المسلمين
ليتقوى باجتذابهم الاسلام •

وكان كرم النبي صلى الله عليه وسلم ايثارا على نفسه واهله فهو
يعطى احوج ما يكون الى ما يعطيه ويبدل الكثير وهو محتاج الى القليل •
وكان ينفق في سبيل الله ما استطاع ان ينفق وهو يستقل ما اتفق وكان
يعطى العطاء الجزل فلا يستكثر ما أعطى وما سئل عن شيء قط على الاسلام
الا أعطاه ، وما سئل شيئاً قط فقال لا •

وبلغ به الكرم انه كان يستحيى ان يرد سائله خالى اليدين معتذرا
بالفاقه جاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع على فاذا جاءنا شيء
قضيته (١) فقال عمر يا رسول الله قد أعطيته فما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره
صلى الله عليه وسلم قول عمر فقال رجل من الانصار : يا رسول الله اتفق
ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف
في وجهه البشر بقول الانصارى ثم قال صلى الله عليه وسلم : بهذا امرت
رواه الترمذى •

(١) يعنى اشتر على حسابى بالدين •

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً الا أعطاه فجاء رجل - وهو صفوان بن أمية - فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قومي أسلموا فان محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وفي رواية من لا يخشى الفقر ، وأعطى يوم حنين صلى الله عليه وسلم أناساً من الطلقاء يتألف قلوبهم على الإسلام أعطاهم مائة مائة من الابل وكان من جملة من أعطى مالك بن عوف فامتدحه بقصيدة .

وروى الترمذي عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية انه قال : لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وانه لا بغض الناس الى فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الى .

وفي مغازي الواقدي ان صفوان طاف معه صلى الله عليه وسلم يتصفح الغنائم يوم حنين اذ مر بشعب مملوء ابلًا وغنماً فأعجبه فجعل ينظر اليه فقال صلى الله عليه وسلم : أعجبتك هذا الشعب يا أبا وهب ؟ قال : نعم فقال هو لك بما فيه فقال صفوان : اشهد أنك رسول الله ما طابت بهذا نفس أحد قط الا نفس نبي .

روى الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم حمل اليه تسعون الف درهم ووضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلاً حتى فرغ منها . وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال : سأل ناس من الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ما سألوه ثم سألوه فأعطاهم ما سألوه ثم سألوه فأعطاهم ما سألوه حتى اذا نفذ ما عنده قال : ما يكون عندي فلن ادخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن

يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد أعطاه هو خير له وأوسع من الصبر - رواه
الستة •

روى ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكل صدقته الى غير نفسه حتى يكون هو الذي يضعها في
يد السائل •

وروى ابن سعد عن زياد مولى عياش عن أبي ربيعة قال : خصلتان
كان لا يكلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد : الوضوء من الليل
حين يقوم ، والسائل يقوم صلى الله عليه وسلم فيعطيه بنفسه •

وفي سنن ابى داود والبيهقى عن عبدالله الهوزنى قال : لقيت بلالا
فقلت يا بلال حدثنى كيف كانت نفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قال : ما كان له شيء ، وكنت أنا الذى ألي ذلك منه - أي انا المتولى امر ماله
صلى الله عليه وسلم - منذ بعثه الله تعالى حتى توفى وكان عليه السلام
اذا أتاه الانسان مسلما فرآه عاريا يأمرنى فانطلق أستفرض فأشترى له
البردة فأكسوه وأطعمه وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في
رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم
أجود الناس بالخير من الريح المرسلة •

كمال وفائه صلى الله عليه وسلم

الوفاء خلق رفيع لا يتخلق به الا من حسنت سيرته وصلحت سريرته
وقد دعا اليه وحض عليه صلى الله عليه وسلم •

ولعل من أروع مظاهر الوفاء بالعهد ما حدث في صلح الحديبية فقد
صالح النبي صلى الله عليه وسلم المشركين يوم الحديبية على أشياء منها : أن
من أتاه من المشركين رده اليهم ، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وفي أثناء
كتابة المعاهدة جاء أبو جندل يحجل في قيوده فردده اليهم وفاء بالعهد الذي
لم يتم توقيعه وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أأرد
الى المشركين يفتنونى في دينى ؟ فزاد ذلك الناس الى ما بهم ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل
لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا (١) » •

ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من
قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا
فدفعه الى الرجلين فخرجا حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تسر لهم
فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله انى لارى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله
الآخر ، فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت ثم جربت فقال أبو بصير ارنى

(١) انظر البخارى باب الصلح وسيرة ابن هشام

أنظر اليه فأمكنه منه فضربه حتى يرد وفر الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم قال : قتل والله صاحبي واني لمقتول ، فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم ثم انجاني منهم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ويل امه مسعر حرب لو كان له أحد ، فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر ، ثم انقلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم الا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش الى النبي تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل اليهم (١) .

لقد حافظ النبي صلى الله عليه وسلم على عهده ووفى بشرطه وظهر فضل النبي صلى الله عليه وسلم وبعد نظره .

عن عبدالله بن ابي الحمساء قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعده ان آتية بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال : يا فتى لقد شقت على أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك (٢) .

وجاءت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها : من أنت ؟ قالت :

(١) رواه ابو داود

(٢) رواه ابن الجوزى في الوفا .

انا جثامة المزينة ، قال : بل انت حسانة المزينة ، كيف كنتم بعدنا ؟ قالت :
بخير بأبى انت وأمى يا رسول الله فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على
هذه العجوز هذا الاقبال ؟ قال انها كانت تأتينا ايام خديجه وان حسن العهد
من الايمان (١)

وكان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد
عليه ثم أقبلت امه فوضع لها نصف ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم
أقبل أخوه من الرضاعة فقام له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين
يديه (٢) ولا يخفى موقفه من هوازن وفيهم عماته وخالاته من الرضاعة
وحواضنه وقد قال له أحدهم لو انا أرضعنا للنعمان بن المنذر رجونا عطفه
وانت خير المكفولين فمن عليهم وجبر خاطرهم (٣) وهو أكبر شاهد على
وفائه ومروءته •

ولقد عرف النبي ما يجب للوالدين من بر وتكريم وايثار مهتديا بسا
أمر به القرآن الكريم وبما توحى به المشاعر الظاهرة والخلق الكريم والوفاء
بالجميل •

قالت اسماء بنت ابن بكر : قدمت على أمى وهى مشركة حينما عاهد
رسول الله قريشا عهد الحديبية - وكان أبوبكر قد طلقها في الجاهلية ومعها

(١) انظر في الاستيعاب

(٢) رواه ابو داود

(٣) انظر سيرة ابن هشام

هدية لى فبعثت الى رسول الله أستفتيه ، فقلت : ان امى قدمت على وهى
راغبة افادخلها بيتى ؟ فأرسل الى يقول : نعم أدخلى امك وصليةا (١) .

وجاء رجل الى النبى يستأذن فى الجهاد فسأله رسول الله أحي والداك ؟
قال : نعم ، قال : فارجع فاستأذنها ، فان أذنا لك فجاهد والا فبرهما (٢) ،
وأمر بأن يود الابن من كان أبوه صديقا له لان هذا ضرب من الوفاء للاب .
وجاء رجل الى النبى فقال يا رسول الله ان لى مالا وولدا وان أبى
يحتاج مالى فقال انت ومالك لايبك ان اولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من
كسب اولادكم (٣) .

ومن وفائه صلى الله عليه وسلم وفاؤه لزوجته خديجة التى كان يذكرها
بالتقدير على مسع من السيدة عائشة فتغار منها حتى لقد قالت له مرة : هل
كانت الا عجوز أبدلك الله خير منها ؟ فغضب ، وقال : لا والله ما أبدلنى الله
خيرا منها آمنت بى اذ كفر الناس وصدقتنى اذ كذبنى الناس وواستنى بمالها
اذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء (٤) .

وكان اذا أتى بهدية قال : اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة
لخديجة انها كانت تحب خديجة . وكان يذبح الشاة فيهديها الى خلائل
خديجه واستأذنت عليه اخت خديجة فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش

(١) رواه البخارى

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه ابن ماجه والطبرانى .

(٤) أصل الحديث فى الصحيحين وله روايات كثيرة وهو فى مناقبها .

لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال : انها كانت تأتينا ايام خديجة وان
كرم العهد من الدين ومن وفائه صلى الله عليه وسلم انه قدمت حليلة
السعدية عليه بعد زواجه من السيدة خديجة فاستعانت به على اعباء الدهر
فكلم السيدة خديجة فمنحتها بعيرا وأربعين شاة ثم وفدت عليه بعد غزوة
حنين فلما رآها قال مرحبا بأمي وبسط لها رداءه وأجلسها عليه •
وكانت له مرضعة اخرى اسمها ثوية كانت أرضعته أياما قبل ان يصير
الى حليلة فلما كبر وعلم ذلك حفظ لها جميلها فجعل النبي يواليتها بسعروفه
مدة اقامته بمكة ، ولما هاجر الى المدينة لم يغفل عن صلتها وكسوتها ، ولما
جىء باخته من الرضاع - الشيماء - في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها
رداءه وقال : ان أحببت أقمت عندي مكرمة محببة وها هو ذا يأمر بالوفاء
للحيوان لقاء ما عمل وخدم فقد اقبلت ليلي امرأة ابى ذر على ناقة من ابل
رسول الله بعد غزوة ذي قرد فقالت : يا رسول الله انى قد نذرت لله أن
أنحرها ان نجانى الله عليها فأكل من كبدها وسنامها فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال : بئس ما جزيتها ان حملك الله عليها ونجاك بها
ثم تنحرينها انه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تسلكين انسا هي ناقة من ابلى
فارجعى الى اهلك على بركة الله •

كمال صبره صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : « فاصبر كما صبر او لو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » الآية •

كان صبره صلى الله عليه وسلم في سبيل الله تعالى يفوق صبر الصابرين وتحمله لانواع اذى المعاندين له يعلو تحمل العالمين ، فكم لقي من سفهاء قريش واشدائهم من الغلظة والسفاهة والجفاء والشدة؟!

ولا ريب ان الكلام البذيء المسيء له كلام في اصحاب النفوس الالوية والاخلاق الرضية ، ويتأثرون به اضعاف ما يتأثر به غيرهم ، وان الافعال المؤذية لتعمل في نفوسهم اضعاف ما تعمل في غيرهم من اخلاق له ولا خلق فما ظنك بنفسية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي مجمع الكمال والافضال ومصدرها؟! ومع ذلك كان يتقبل ذلك بصدر رحب •

وما ظنك بتأثره من الكلام المؤذي ، والفعل المسيء اليه روى الامام احمد والترمذي عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اخفت في الله وما يخاف احد ولقد اوذيت في الله وما يؤذي احد ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شيء يواريه ابط بلال •

وكان المشركون يتصدون له بالعداوة ويقابلونه بأنواع الاذى بجموعهم

وجماهيرهم وبأفرادهم ونسائهم وصبيانهم ، روى الامام الطبرانى عن الحارث قال قلت لابي : ما هذه الجماعة ؟ قال هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابىء لهم ، قال فنزلنا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى توحيد الله عز وجل والايان وهم يردون عليه ويؤذونه حتى اتتصف النهار وانصدع الناس عنه فأقبلت امرأة قد بدا بـ أي ظهر - نحرها - أي صدرها وهى تحمل قدحا ومنديلا فتناوله صلى الله عليه وسلم منها فشرب وتوضأ ثم رفع رأسه فقال يا بنية خمرى عليك - أي غطى - نحرک ولا تخافى على أبيك : قلنا ، من هذه ؟ قالوا هذه زينب بنته رضي الله عنها .

وعن عروة ابن الزبير عن عبدالله ابن عمرو قال : قلت له ما اكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ؟ قال : حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم في الحجر فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفه احلامنا وشتتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب ألهتنا ! لقد صبرنا منه على امر عظيم .

فبينما هم في ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا وثبة رجل واحد فأطافوا به يقولون : انت الذى تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب ألهتهم ودينهم ، قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انا الذى أقول ذلك ، قال فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بسجسج ردائه صلى الله عليه وسلم وقام ابوبكر دونه يقول : أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ؟ ثم انصرفوا عنه قال فان ذلك لاشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط وروى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى

الله عليه وسلم يصلى عند البيت وابو جهل واصحابه جلوس وقد نحرت
جزور - أي بعير - بالامس فقال ابو جهل ايكم يقوم الى سلا - أي كرش
جزور بن فلان فيضعه بين كتفي محمد اذا سجد؟ فانبعث اشقى القوم
عقبة بن ابي معيط فأخذه فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على
كتفه فاستضحكوا وجعل بعضهم يسيل على بعض .

قال ابن مسعود ، وانا قائم انظر لو كانت لي منعة - أو قوة أو جماعة
طرحته عن ظهره صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما
يرفع حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة رضي الله عنها فجاءت وهي جويرية
فطرحته عنه صلى الله عليه وسلم ثم اقبلت عليهم تشتمهم ،
ولما مات عمه صلى الله عليه وسلم ابو طالب اشتد ابداء
المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم وقابلوه بأنواع العداوة
والشدائد فتوجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف لعل ثقيفا بكونون
له ردا وعونا وانصارا على قومه في مكة فاذا بهم يقابلونه اسوأ مقابلة
ويردون عليه اقبح رد وانما قصدهم - كما قال المقرئزي - لانهم كانوا
أخواله ولم يكن بينه وبينهم عداوة .

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله
هل أتى عليك يوم كان أشد من يو أحد؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت
وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبدياليل بن
عبد كلال فلم يجيني الى ما أردت فانطلقت وانا مهسوم على وجهي فلم
أستفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد اظلمتني فنظرت

فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال : ان الله تعالى قد سمع قول قومك
 لك وما ردوه عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني
 ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد ان الله تعالى قد سمع قول قومك
 لك وانا ملك الجبال قد بعثني اليك لتأمرني بأمرك ، زاد الطبراني فما شئت ؟
 ان شئت اطبقت عليهم الاخشيين ، فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجوه
 ان يخرج من اصلاّبهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا ، وروى ابو نعيم في
 الدلائل عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال : ومات ابو طالب وازداد من
 البلاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة فعهد الى ثقيف يرجو ان
 يؤووه وينصروه فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم اخوة ، عبدياليل بن
 عمرو وخبيب بن عمرو ومسعود بن عمرو فعرض عليهم نفسه صلى الله عليه
 وسلم وشكا اليهم البلاء وما انتهك قومه منه فقال احدهم . انا أسرق ثياب
 الكعبة ان كان الله بعثك بشيء قط . وقال الآخر . والله لا أكلسك بعد
 مجلسك هذا كلمة واحدة ابدا لئن كنت رسولا لانت اعظم شرفا وحقا من ان
 أكلسك ، وقال الآخر أيعجز الله ان يرسل غيرك ؟ وأفضوا ذلك في ثقيف -
 الذي قال لهم : واجتمعوا يستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم
 وقعدوا له على صفيين على طريقه فأخذوا بأيديهم الحجارة فجعل لا يرفع رجلاه
 ولا يضعها الا رضخوها بالحجارة وهم في ذلك يستهزئون ويسخرون فلما
 خلص من صفيهم وقدماه تسيلان الدماء عمد صلى الله عليه وسلم الى حائط
 من كرومهم فأتى ظل حبله من الكرم فجلس في أصلها مكروبا موجعا تسيل
 قدماه الدماء .

وذكر ابن اسحاق - ورواه الطبراني أيضا - عن عبدالله بن جعفر
 رضي الله عنهما : لما توفي ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا
 الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فأتى ظل شجرة - أي من عنب
 - فصلى ركعتين ثم قال : اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني
 على الناس يا ارحم الراحمين أنت ارحم الراحمين وانت رب
 المستضعفين الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني أم الى قريب
 ملكته أمرى ؟ ان لم تكن غضبانا - وفي رواية : ان لم تكن
 ساخطا - وفي رواية : ان لم يكن بك سخط - وفي رواية : ان
 لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير ان عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك
 الكريم الذي أضاءت له السموات والارض واشرقت له الظلمات وصلاح
 عليه أمر الدنيا والآخرة ان ينزل بي غضبك او يحل بي سخطك - وفي رواية
 ان يحل علي غضبك او ينزل علي سخطك ولك العتبي حتى ترضى ولا حول
 ولا قوة الا بك .

كمال زهده

كان صلى الله عليه وسلم ازهد الناس ويكفيك في تعريف ذلك ان فقره كان فقر اختيار لا فقر اضطرار لانه صلى الله عليه وسلم فتح عليه الفتوح وجلبت اليه الاموال وهو معرض عن الدنيا كل الاعراض ينام على الحصير حتى يرى أثره في جنبه الشريف فاذا قيل له الا نبسط تحتك ألين منه يقول ما لي وللدنيا انما مثلى ومثل الدنيا مثل راكب سار في يوم صائف فقال تحت شجرة ثم راح وتركها (١) •

وقد عرض الله عليه بطحاء مكة ذهباً فقال لا يا رب ولكن اجوع يوماً وأشبع يوماً فاذا شبعت حمدتك وشكرتك واذا جعت تضرعت اليك ودعوتك • وكان صلى الله عليه وسلم يقنع باليسير من الدنيا ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً (٢) •

تقول السيدة عائشة ما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قط عشاء الغداء ولا غداء العشاء - ولا اتخذ من شيء زوجين ولا قسيسين ولا رداًين ولا ازارين ولا من النعال •

وكان صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لنفسه وما جاء انه ادخر

(١) قال أي استراح وقت الظهر من القيلولة

(٢) أخرجه الشيخان •

فهو انما كان لاهله وما شبع صلى الله عليه وسلم واهله ثلاثة ايام تباعا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا - (أحمد ومسلم) •

• وما أكل خبزا منخولا منذ بعثة الله الى ان قبض •

وكان يسر به الشهر والشهران وما يوقد في بيته نار ، انما هو التمر والماء وجاءته فاطمة بكسرة خبز فقال ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ قالت قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة فقال أما انه اول طعام دخل فم أيبك منذ ثلاثة ايام •

وقد قبض صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند رجل يهودى على ثلاثين صاعا من شعير أخذها رزقا لعياله •

يقول جابر مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم يحفرون الخندق ثلاثا لم يذوقوا طعاما قالوا يا رسول الله ان ههنا كديه من الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رشوها بالماء وفي الحديث قال جابر فحانت منى التفاتة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه حجرا (١) •

وتقول السيدة عائشة : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلأ بطنه في يوم من طعامين كان اذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير واذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر (٢) •

ويقول عتبة بن غزوان لقد رأيتنى وانى لسابع سبعة مع رسول الله

(١) أخرجه الشيخان والكديه صخرة كبيرة •

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات

- صلی اللہ علیہ وسلم ما لنا طعام الا ورق السمر حتی تقرحت اشداقنا (۱) •
وتقول السيدة عائشة : لقد مات رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم وما
شبع من خبز وزیت فی یوم واحد مرتین (۲) •
ویقول أنس : ما اعلم أن رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم رأى رغيفا
مرفقا حتى لحق بالله عز وجل ولا رأى شاة سميطة بعينه حتى لحق بالله عز
وجل (۳) والرغيف المرفق الملين ، والسميط هو الذي ازيل شعره بالماء الساخن
وشوى بجلده •

(۱) السمر هو شجر عظیم له شوك والحديث رواه مسلم .
(۲) رواه مسلم .
(۳) رواه البخارى .

كمال عفوه صلى الله عليه وسلم

العفو عند المقدرة مرآة تتجلى فيها أحسن صور النفس وسمو المقصد وقد أدب القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق الكريم من قوله سبحانه : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فتحقق صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق في اقواله وافعاله ودعا اليه وحث عليه بقوله ولا يخفى معاملته لاهل مكة والطائف ورؤساء الفتنة وزعماء الشر لما دخل مكة المكرمة فاتحا مظفرا منصورا فشمّل عفوه البلاد والسادة والزعماء الذين عتوا في الارض واسرفوا في ايذائه واضطهاده .

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ولكن عكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية وسهيل بن عمرو ومن جمعوا من الناس ابوا الا قتالا فهزموا وفروا ثم استأمنوا فأمنوا بل عفى عنهم بل اعطوا من غنائم هوازن تأليفا لقلوبهم .

وهذا صفوان بن امية العدو بن العدو يفر الى جدة ليبحر الى اليمن فيأتى عسير بن وهب لرسول الله فيقول : يا نبي الله ان صفوان بن أمية سيد قومه قد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر فأمنه قال : هو آمن قال يا رسول الله فأعطني آية يعرف بلبا أمنك ، فأعطاه الرسول عمامته التي دخل فيها مكة فخرج بها عسير حتى ادركه وهو يريد ان يركب البحر فقال

يا صفوان فداك أبى وأمى ! الله الله في نفسك ان تهلكها ! فهذا أمان رسول
الله قد جئتك به ، قال انى أخافه على نفسي ، قال : هو أحلم من ذلك واكرم
فرجع معه حتى قدم به على رسول الله فقال صفوان ان هذا يزعم انك قد
أمنتني ؟ قال صدق ، قال : فاجعلني فيه بالخيار شهرين ، قال : انت بالخيار
اربعة أشهر •

وهذا رجل آخر جاءه قبيل الفتح ، وكان عاقا مسرفا في هجوه وايدائه
لرسول وهو أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وطلب الاذن عليه فقال .
لا حاجة لي به وقد هتك عرضي ! وكان مع ابى سفيان بني له ، فقال : والله
ليأذنن لى اولاخذن بيد بني هذا لنذهبن في الارض حتى نسوت عطشا وجوعا
فلما بلغ ذلك رسول الله رق له فدخل عليه وعفا عنه فقال :

لعبرك انى يوم أحمل راية
لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليلة
فهذا أوانى حين اهدى واهتدى

وفي مكة وهو طائف بالبيت اراد فضالة بن عمير أن يقتله
فلما دنا منه قال : أفضالة ؟ قال نعم فضالة يا رسول الله ، قال ما
كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت اذكر الله عز وجل فضحك
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : استغفر الله ! ثم وضع يده على صدره ،
فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول ، والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من
خلق الله شيء أحب الي منه ولما اطمأن الناس بعد الفتح قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم على باب الكعبة فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك

له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، الاكل مآثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج ، يا معشر قريش ، ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ثم قال : يا معشر قريش : ما تظنون انى فاعل فيكم ؟ قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم طلقاء وها هي ذى ثقيف كلها بين يديه ووفدها في المدينة وقد اكلتها العرب ، وهانت على الناس ، فماذا فعل بها وفي وفدها رجل مثل ياليل بن عمرو بن عمير الذى طرده من الطائف ؟ أما مالك بن عوف فذلك من سبق اليه عفوه ، فرد اليه ماله وأولاده •

فرد الرسول سبيها واشتراه دينا عليه لاصحابه ، ليعطيه أعداءه الذين كادوا يقضون على الاسلام يوم حنين •

ومن حلمه صلى الله عليه وسلم أن حبرا من اجبار اليهود وهو زيد بن سعة درس صفات النبوة وعرف علاماتها في رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت علامتان يريدان يخبرهما الاولى ان يسبق حلمه غضبه ، والثانية انه لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما ، فكان زيد ينطلق ويخالط رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يختبره ، وفي ذات يوم جاء أعرابي يشكو لرسول الله صلى الله عليه وسلم شدة العيش في احدى القرى ، وزيد يسمع فقال زيد لرسول الله صلى الله عليه

وسلم أنا أشتري منك كذا وكذا وسقا بكذا وكذا ، واخرج المال وأعطى
ثمانين دينارا فدفعتها الى الرجل ، واتفقا على موعد معلوم يقضيه فيه حقه
ولكنه جاء قبل الموعد ، يقول زيد : فدنوت من النبي صلى الله عليه وسلم
وجذبت برديه جذبة شديدة حتى سقط عن عاتقه ثم أقبلت بوجه غليظ فقلت
الا تقضيني يا محمد فوالله انكبي يا بني عبدالمطلب ولقد كان لي بمخالطتكم
علم فغضب عمر وقال أي عدو الله أتقول هذا لرسول الله ؟ فوالذي بعثه
بالحق لولا ما أخاف فوته لسبقني رأسك ورسول الله ينظر الى عمر ويبسم
لقوله ، ثم قال : لانا وهو احوج الى غير هذا أن تأمرني بحسن الاداء ،
وتأمره بحسن التقاضي ، اذهب به يا عمر فاقض حقه وزده عشرين صاعا من
تمر مكان ما رعته (١) .

وهنا سكنت نفس زيد واطمأنت حيث وجد العلامات التي كان يبحث
عنها فذهب به عمر فقضاه دينه وزاده صواعا من تمر ، قال زيد : اتعرفني
يا عمر ؟ قال : لا ، فمن أنت ؟ قال : انا زيد بن سعة ، قال : الحبر
قلت : الحبر ، قال : فما دعائك الى ان تفعل برسول الله صلى الله عليه وسلم
ما فعلت وتقول له ما قلت ؟

ومن كمال عفوه صلى الله عليه وسلم ما رواه أنس رضي الله تعالى
عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه
أعرابي بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه الشريف

(١) اي في مقابلة تخويفك له .

صلى الله عليه وسلم ، ثم قال الاعرابي : يا محمد احمل لي على بعيري هذين
من مال الله الذي عندك ، فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك !
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : المال مال الله وأنا عبده ،
ثم قال : ويقاد (١) منك يا اعرابي ما فعلت بي ، قال : لا ، فسأله النبي صلى
الله عليه وسلم ، ولم ؟ قال : لانك لا تكافى بالسيئة السيئة فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم ثم أمر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر نمر .
وفي غزوة بدر فقد صفوان بن أمية أباه وأخاه وأسر وهب ولد عمير ابن
وهب فاتفق صفوان مع ابن عمه عمير ابن وهب في الحجر من البيت الحرام على
اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرط ان يقضي صفوان ديون عمير
وان يتولى شأن أولاده من بعده وطلب عمير من صفوان أن يكتب ما دار
بينهما لئلا يفسخ الخبر ويصل الى المدينة وأعد صفوان سيفا وامر بصقله
وسقاه سما ناقعا واعطاه لعمير ورحل هذا لمهمته وصل عمير المدينة فنزل بباب
المسجد وعقل راحلته وأخذ السيف فعمد الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
له : ما أقدمك يا عمير ؟ قال قدمت على أسيري عندكم (١) ،
قال صلى الله عليه وسلم ، أصدقني ما أقدمك ؟ قال : ما قدمت الا في
أسيري ، قال صلى الله عليه وسلم : فماذا شرطت لصفوان بن أمية في الحجر؟
ففرع عمير وقال : ماذا شرطت له ؟ قال صلى الله عليه وسلم : تحملت له

(١) ويقتص .

(١) أي : قدمت لافتداء أسيري وهب .

بقتلي على أن يعول بيتك والله حائل بينك وبين ذلك ، قال عمير : أشهد أنك رسول الله ان هذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر لم يطلع عليه احد غيري وغيره فأخبرك الله به أمنت بالله ورسوله ، وهذا من كمال عفوه صلى الله عليه وسلم عن يريده قتله .

ولما خرج صلى الله عليه وسلم الى حنين خرج ضمن الناس شيبة بن عثمان بن طلحة وكان قد قتل ابوه وعمه في غزوة أحد ، قال شيبة : قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا ان أصيب من محمد غرة فأكون انا الذي قمت بثأر قريش كلها !

وكان يقول : لو لم يبق من العرب والعجم احد الا أتبع محمدا ما أتبعته ابدا ، قال شيبة : فكنت مترصد لما خرجت له لا يزداد الامر في نفسي الا قوة ووجد الفرصة سانحة حين تفرق المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فأصلت السيف ودنوت أريد ما أريد منه ورفعت سيفي حتى كدت أسوره فرفع لي شواظ من نار كالبرق كاد يحشني فوضعت يدي على بصرى خوفا عليه .

وفي رواية ابن اسحق قال : فاردت برسول الله لاقتله فأقبل شيء حتى تعشى فؤادى فلم أطق ذلك .

قال : فناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا شيبة ادن مني ، فدنوت ، فمسح صدرى ثم قال : اللهم اعذه من الشيطان وقال : فوالله

لهو كان ساعتئذ أحب الي من سمعى وبصرى ونفسى وأذهب الله ما كان
بى ، ثم قال صلى الله عليه وسلم أذن فقاتل ، قال : فتقدمت امامه أضرب
بسيفى الله يعلم انى أحب ان أقيه بنفسى كل شي ولو لقيت تلك الساعة
أبى لو كان حيا لا وقعت به السيف •

كمال عدله صلى الله عليه وسلم

المراد بالعدل اعطاء كل ذي حق حقه بغير تفرقة بين المستحقين ومؤخدة
المسئء او المقصر على قدر اساءته وتقصيره بدون اعنات او محاباة •

وقد استقى النبي صلى الله عليه وسلم العدل من التربية الالهية
والاخلاق القرآنية وكانت فطرته السليمة مهياة للعدل منذ شبابه فقد اشترك
في حلف تعاهدت فيه قريش على مقاومة الظلم وانصاف المظلومين وهو
المسمى بحلف الفضول ، قال لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا
ما أحب ان لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاحببت ، لقد كان
صلى الله عليه وسلم يتحرى العدل ويطبقه على أهله دون نظر الى جاه او قرابة
ولما اراد رجال من الانصار ان يتنازلوا عن ما يخصهم من فداء العباس عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرض صلى الله عليه وسلم وقال لا
تدعون منها درهما (١) أما عفوه عن زوج زينب ابنته فما ذاك الا لما تجلى
من فقره فتدبر هذا ، بخلاف العباس فانه علم يساره فلم يطلق سراحه حتى
أخذ فديته وفدية الاسرى من اقربائه ، واذا كان عفوه قد عم البرية وشمل
العباد فأقل ما في الامر ان يكون زوج ابنته داخلا في هذا العسوم كغيره من
الناس •

(١) رواه البخارى

ومن كمال عدله صلى الله عليه وسلم عتابه للانصارى صاحب الجمل بقوله اتق الله في هذه البهيمة فانه شكى الى أنك تجيعه وتدئبه (١) وأمره برد فرخى الطائر الذى جاء منزعجا (٢) وفي هذا تتجلى روح النبى صلى الله عليه وسلم في محاربة الظلم ولو وقع على كاهل طائر او حيوان •

ومن كمال عدله صلى الله عليه وسلم ان قريشا أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ومن يجترىء عليه الا اسامة ابن زيد رضي الله عنهما حب رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فكلمه اسامة رضي الله عنه فقال : اتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟ ثم قام فاختطب ثم قال : انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها (٣) •

ومن عدله صلى الله عليه وسلم انه بينما يقسم قسما أقبل رجل فأكب عليه فطعنه صلى الله عليه وسلم بعرجون كان معه فجرح وجهه ثم قال له : تعال فاستقد قال : بل عفوت عنك يا رسول الله (٤) •

ومن عدله صلى الله عليه وسلم ما جاء عن رجل من العرب قال : مشيت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفي رجلى نعل

(١-٢) كما ثبت ذلك في ابى داود

(٣) أخرجه الخمسة

(٤) أخرجه ابو داود والنسائي

كثيفة فوطئت بها على رجله فنفحني نفحة بسوط في يده وقال : باسم الله
 أوجعتني ، فبت لنفسي لائما أقول ، أوجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فبت ليلة كما يعلم الله فلما أصبحنا اذا رجل يقول : اين فلان ؟ فقلت هذا
 الذي والله كان مسني بالامس فانطلقت وأنا متخوف ، فقال لي صلى الله
 عليه وسلم انك وطئت رجلي بالامس فأوجعتني فنفحتك بسوط فهذه ثمانون
 نعجة فخذها (١) •

ومن عدله صلى الله عليه وسلم انه صعد المنبر في مرض وفاته فقال : أيها
 الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه ومن كنت أخذت له
 مالا فهذا مالي فليستقد منه ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد
 منه لا يقولن رجل اني أخشى الشحاء من قبل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الا وان الشحاء ليست من طبيعتي ولا من شأنى الا وان احبكم الي
 من اخذ حقا كان له أو حللني (٢) فذتيت الله وانا طيب النفس فقام اليه رجل فقال
 يا رسول الله ان لي عندك ثلاثة دراهم قال : أما انا لا نكذب احد او لا
 نستحلفه فيم صارت لك عندي ؟ قال تذكر يوم مر بك مسكين فأمرتنى ان
 ادفعها اليه قال ادفعها اليه يا فضل يعنى ابن عسه العباس (٣) •

(١) اخرجہ ابن اسحاق .

(٢) أي جعلني في حل وسامحني .

(٣) اخرجہ ابو يعلى والطبرانی .

كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم

التواضع لغة التذلل والخضوع ، وعرفا : خروج الانسان عن مقتضى جاهه وعظمته وتنزله من مرتبة أمثاله ، وعند المحققين ان لا يرى العبد لنفسه قدرا ولا قيمة ولا مزية ، وان يرى الحالة التي هو فيها أعظم من ان يستحقها قال أبو زيد رضي الله عنه : ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر ، فقيل له : فمتى يكون متواضعا ؟ قال : اذا لم ير لنفسه مقالا ولا حالا ، وقال في الحكم : ليس المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع ، ولكن المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه دون ما صنع • والتواضع تارة يكون عن شهود عظمة ربه ، وهذا هو التواضع الحقيقي الذي لا يمكن ارتفاعه ، وتارة يكون لرؤية العبد نقص نفسه •

والتواضع الاول هو الذي يخمد النفس ويذبيها ويبطل انانيتها وتنقلع به شجرة الرياسة والكبر من النفس ، فلا يأخذه الزهو والغرور ، والثاني يؤدي الى ترقى العبد الى مدارج الفضيلة ونبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو سيد المتواضعين وله في ذلك المثل الكامل والحظ الوافر • فمن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله • رواه البخارى •

فقوله « لا تطروني » اي لا تبالغوا في مدحي بالكذب كما بالغت
النصارى في مدح سيدنا عيسى فجعلوه الها وابن اله ، فان هؤلاء انما عسيت
ابصارهم عن دلائل الحدوث وشواهد وقوله : انما انا عبد فقولوا عبدالله
ورسوله - وفي نسخة - انما انا عبدالله : معناه انما انا عبد ورسول بدليل
قوله فقولوا عبدالله ورسوله ، وفي هذا القول اشارة الى قوله تعالى « قل
انما انا بشر مثلكم يوحى الي » ثم لا يلزم من كونه عبدالله ورسوله مساواة
غيره له صلى الله عليه وسلم في العبودية لله تعالى التي هي شهود الربوبية
وعدم الغفلة عنها لانه صلى الله عليه وسلم اكمل الخلق في هذا الوصف الذي
هو عين الكمال الانساني .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله
عنه : ان امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له : ان لي اليك
حاجة فقال اجلسي في أي طريق المدينة شئت اجلس اليك : رواه الترمذي .
وفي رواية مسلم زاد فخلا معها في بعض الطريق حتى فرغت من حاجتها ، وزاد
أنس انه خلا بها بحيث غاب عن ابصار الناس من كان معه ، والغرض من
البعد ان لا يسمع شكواها أحد من حضر معها او من كانوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكر البخاري ان الأمة كانت تأخذ بيده صلى
الله عليه وسلم فتنتلق في حاجتها ، وفي هذا من كمال تواضعه ما لا يخفى
وعند النساءى كان صلى الله عليه وسلم لا يأنف ان يشي مع الارملة والمسكين
فيقضى له الحاجة .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خيره بين أن يكون

نبيا عبدا أو نبيا ملكا فاختار العبدية تواضعا لله تعالى ، وهذا ثابت من حديث
 ابي هريرة ولفظه جلس جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى
 السماء فاذا ملك ينزل فقال له جبريل هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل
 الساعة فلما نزل قال يا محمد أرسلني اليك ربك املكك أم عبدا رسولا
 فقال له جبريل : تواضع لربك يا محمد ، فقال صلى الله عليه وسلم لا بل
 عبدا رسولا ، كذا في الترغيب وقال رواه ابن حبان في صحيحه .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما رواه أنس بن مالك رضي الله
 عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المرضى ويشهد الجنائز
 ويركب الحمار ويحلب دعوة العبد ، وكان يوم بنى قريظة على حمار مخطوم
 بحبل من ليف وعليه اكاف من ليف ، رواه الترمذي . فقوله يركب
 الحمار أي مع قدرته على ما فوقه من المراكب وقوله على
 (حمار مخطوم) أي ذى خطام من حبل من ليف ، والخطام
 بكسر الخاء هو الزمام الذي يوضع في فم الحيوان لقيادته وقوله « بحبل
 من ليف » والليف هو نسيج النخل الذي يكون في أصل الجريد ومنه تصنع
 الحبال والفرش الخشنة ، قوله « وعليه اكاف من ليف » واكاف بكسر
 الهمزة أي برذعة والبرذعة لذوات الحافر بمنزلة السرج للفرس ، وفي هذا
 غاية التواضع .

وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ويسأله
 عن حاله ويقول : كيف تجدك او كيف أصبحت او كيف أمسيت ويقول : لا

بأس عليك طهور باذن الله ، وقد يضع يده على المكان الذي يألم منه المريض
ويقول باسم الله من كل داء يؤذيك الله يشفيك و

وفي « مختصر السيرة » للطبرى انه صلى الله عليه واله وسلم ركب
حمارا عريا الى قباء ومعه أبو هريرة فقال احملك فقال ما شئت يا رسول الله
فقال اركب فلم يقدر فأمسكه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فوقعا
جميعا ثم ركب ، وقال له مثل ذلك ، ففعل فوقعا ثم ركب وقال له مثل ذلك
فقال « أي ابو هريرة » والذي بعثك بالحق ما رميتك ثالثا .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما رواه انس بن مالك رضي الله
عنه أيضا قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة
السنخة فيجيب ، رواه الترمذى ، والاهالة بكسر الهـزة هي
كل دهن يؤتدم به أو يختص بدهن الشحم والالية او هي الدسم الجامد .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما رواه أنس بن مالك رضي الله
عنه أيضا قال : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل رث وعليه
قطيفة لا تساوى أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سعة .
رواه الترمذى في الشمائل والرجل بفتح الراء وسكون الحاء ما يوضع على
ظهر البعير للركوب عليه وهو القتب وهو للبعير كالسرج للفرس والبرذعة
للحمار وقوله رث أي بال بمعنى خلق أى قديم ، قوله « وعليه قطيفة لا
تساوى أربعة درهم ، أي على الرجل كساء له لا يساوى أربعة درهم »
وبذلك يكون الراكب عليه في أعظم حالات التواضع ليناسب الحج لان الحج

حالة تجرد واقلع، قوله « فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة ،
 بأن يكون خالصا لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته لا ليراه الناس او يسمعوا
 به ويكرمونه باحسان او مدح او يعظم جاهه في قلوبهم وهو دعاء والدعاء
 من عظيم تواضعه صلى الله عليه وسلم وعده نفسه كواحد من الناس ، اذ
 السمعة والرياء لا تتطرقان الى المعصومين بل تتطرقان لمن حج على المراكب
 النفيسة ولبس الملابس الفاخرة .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما رواه أنس بن مالك رضي الله
 عنه ايضا قال : لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك ، أي لم
 يقوموا له لما يعلمون من انه يكره ذلك ، وذلك لكسال تواضعه وحسن
 معاشرته لهم فأثروا ارادته على ارادتهم وتعليل كراهته لقيامهم له هو حبه
 للتواضع واعترافا بجميل الربوبية وان القيام لا يكون الا لرب العالمين ،
 وهذا لا ينافي القيام لاهل الفضل من الصالحين ، فقد ورد ايضا أنهم قاموا
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال في توجيه الحديث : انهم اذ رأوه
 من بعد غير قاصد لهم لم يقوموا او انه اذا تكرر قيامه وعوده اليهم لم
 يقوموا فلا ينافي انهم اذا قدم عليهم اولا قاموا واذا انصرف عنهم قاموا .
 ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما جاء عن أنس بن مالك قال : قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو اهدى الي كراع لقبلت (١) ولو دعيت

(١) رواه أحمد والترمذى وابن حبان وهو صحيح .

عليه لاجبت ، والكراع بضم الكاف هو ما دون الركبة او دون الكعب من الدواب وقيل مستدق الساق من الغنم والبقر •

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان صلى الله عليه وسلم بشرا من البشر يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه ، وفي رواية : يخيط ثوبه ويخسف نعله ، وفي رواية اخرى يرقع ثوبه ، ويعسل ما يعمل الرجال في بيوتهم ، وفي رواية اخرى ايضا : يعسل عمل البيت واكثر ما يعسل الخياطة أي كان يعمل في بيته ما يعمله عامة البشر (١) أي تواضعا وارشادا الى التواضع ولا يترفع عن الاعمال العادية تكبرا كعادة الملوك ودفعت بذلك ما رآته من اعتقاد الكفار انه لا يليق بمنصبه ان يفعل ما يفعله غيره من العامة ، وقد عدت عائشة بعض الاعمال التي كان يعسلها فقالت :

« كان يفلى ثوبه » أي يفتش ثوبه ليلتقط منه نحو الشوك او يرفع ثوبه من نحو خرق ، وليس المراد بأنه كان يفتش ثوبه ليلتقط منه نحو قمل كما وهم بعضهم ، لان اجساد الانبياء لا تغشاها الحشرات ، وقالت « كان يحلب شاته » بضم اللام ويجوز كسرهما أي يأخذ منها اللبن ، « وكان يخدم نفسه » أي يحضر الوضوء ويوضئ نفسه ونحو ذلك مما يلزم له ، « وفي رواية يخيط ثوبه » أي يرقعه كما مر ، « وكان يخسف نعله » أي يخيط ويرتق ما به من فتق •

(١) اكثر هذه الاحاديث رواها الترمذى في الشمائل .

وفي مختصر السيرة للطبري انه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فأمر أصحابه باصلاح شاة ذبحت فقال رجل : على سلخها ، وقال آخر علي طبخها ، فقال صلى الله عليه وسلم علي جمع الحطب ، فقالوا : يا رسول الله نكفيك العمل ، قال : قد علمت انكم تكفونني ولكني اكره ان أتميز عليكم وان الله يكره من عبده أن يراه متميزا عن أصحابه •

وهذه الاحاديث ظاهرة الدلالة على غاية تواضعه صلى الله عليه وسلم ورغبته دائما في المبالغة في التواضع والخضوع وفي التقليل من زخرف الدنيا ونعيمها واظهار انها حقيرة وان ما عند الله خير وابقى فانه صلى الله عليه وسلم ما كان يحب أن يسجده أصحابه او يطروه كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فجعلوه الها او ابن اله فزاغوا وضلوا وكان يعنى بذوى الحاجات ويستسع اليهم ويعمل على قضاء حاجاتهم ولو كان صاحب الحاجة عبدا أو امرأة وكان أمينا على أسرار ذوى الحاجات فلا يذيعها ولا ينشرها وينأى عن مواطن سمع الغير لها •

وكان يكتم حاله عن أصحابه ولا يشكو حتى أنه رهن درعه عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير أخذها لأهله الى غير ذلك مما تقدم تفصيله •

كمال آدابه العامة وسمته

كان صلى الله عليه وسلم يستعمل يده اليمنى في طعامه وطهوره وأخذه وعطائه ويستعمل يده اليسرى لخلائه وما به من أذى وكان إذا عطس خمر وجهه وأخفى عطسته وتلقاها بثوبه وكان إذا جلس قد يحتبى بيديه والاحتباء أن يجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها وقد يتكىء على يساره . وكان أحيانا يستلقى في المسجد واضعا إحدى رجليه على أخرى ، وكان إذا مشى كأنه ينحط من صلب - أي يمشي بهمة وقوة ، يقول أبو هريرة : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فكنت إذا مشيت سبقتني وإذا هرولت سبقتني ، ويقول ما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الأرض تطوى له أنا لنجهد أنفسنا وأنه غير مكترث . وكان صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل الحسن من القول وكان يعجبه إذا خرج لحاجته أن يسمع يا راشد يا نجيح وسمع كلمة فأعجبه فقال للقائل أخذنا فألك من فيك (١) وكان إذا سره أمر استنار وجهه كأنه قطعة قمر ، وإذا غضب احمر وجهه وإذا كره شيئا عرف ذلك في وجهه . وإذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته ، وكان يكره الأسماء القبيحة ويغيرها وقد جاءته امرأة اسمها عاصية فقال : أنت جميلة وغير كثيرا من أسماء الصحابة من العاصي إلى عبدالله .

(١) رواه أبو داود وقد رمز السيوطي لحسنه وهو له شواهد .

وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ومقلب القلوب »
 وكان يقول ايضا « والذي نفسي بيده » وتارة يقول « لا واستغفر الله » .
 وكان اذا جلس مع اصحابه ثم اراد ان ينهض قال سبحانك اللهم
 وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك ، ويقول : هذا
 كفارة ما يكون في المجلس .

وقد لبس الصوف واحتذى المخصوف ولبس خشنا وأكل شبعاً يقول
 أنس فسألنا الحسن ما الشبع ؟ قال غليظ الشعير ما كان يسيغه الا بجرعة ماء .
 وكان اذا اراد لبس ثوب جديد لبسه يوم الجمعة ويقول عند لبسه
 اللهم لك الحمد كما كسوتنيه اسألك خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من
 شره وشر ما صنع له .

وكان له صلى الله عليه وسلم خاتم من فضة نقشت فيه (محمد رسول
 الله) (محمد) في سطر (رسول) في سطر (ولفظ الجلالة) في سطر .
 وكان في يده ثم كان في يد ابي بكر من بعده ثم كان في يد عمر ثم كان
 في يد عثمان حتى وقع منه بعد في بئر أريس (١) واختلفت الرواية هل كان
 يلبسه في يمينه او في يساره .

وكان صلى الله عليه وسلم يخضب احيانا بالحناء ، وكان صلى الله
 عليه وسلم يكثر تسريح لحيته ورأسه بالماء .

(١) هو البئر الذي كان امام مسجد قباء وخبره في الصحيح وقد ردم الآن .

يقول أنس كان صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل وضع له سواكه وطهوره ومشطه فاذا أهبه الله من الليل استاك وامتشط وكان يكثر دهن رأسه وينظر في المرآة ويقول الحمد لله الذي حسن خلقى وخلقى وزان منى ما شان من غيرى ، الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين •

وكان يأخذ من طول لحيته وعرضها ويجز شاربته ، وكان يحب الطيب ويقول حب الي النساء والطيب وجعلت قره عيني في الصلاة (١) وكان يتعطر بالمسك والعنبر ولكن كان العود كما تقول السيدة عائشة هو أحب الطيب اليه •

(١) رواه أحمد وهو حديث حسن .

آدابه في طعامه

وكان من احب الطعام اليه الدباء والثريد والحلواء والعسل ومن اللحم الذراع ولحم الظهر والكتف والبقل واكل الخبز اليابس بالخل وأكل القثاء بالرطب والبطيخ بالرطب والقثاء بالملح ، ومن انواع الطعام التي اكل منها صلى الله عليه وسلم الحيس والسمن والاقط والقديد والشواء ولحم الدجاج ولحم الجبارى وجمار النخل والتمر والرطب والعنب والخبيص وهو خليط من السمن والعسل والدقيق يطبخ على النار وكان يجتنب ما يؤذى ريحه كالثوم ونحوه او ما تعافه نفسه كالضب ولا يذم طعاما او يعيبه ان اشتهاه اكله والا تركه ولا يأكل الصدقة ولا يأكل متكئا •

وكان يأكل مما يليه ويجلس على الارض ويأكل على الارض واذا فرغ من طعامه ورفعت مائدته قال : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا ، ويقول ايضا الحمد لله الذى يطعم ولا يطعم من علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا الحمد لله الذى أطعم من الطعام وسقى من الشراب وكسى من العرى وهدى من الضلالة وبصر من العسى •

وكان يحمل اليه الماء العذب من اطراف المدينة المنورة •
وكان يختار الماء البائت لبرودته ، وكان يبرد له الماء في القرب الجلدية القديمة لانها تساعد على التبريد •

وكان يشرب في قدح له من خشب غليظ مضرب بحديد وقدح آخر
من زجاج وقد يتوضأ منه .

• وكان يشرب فيه اللبن والسويق والعسل والنبيد .

وكان أحب الشراب اليه اللبن ويقول اذا شربه اللهم بارك لنا فيه وزدنا
منه وفي غيره اللهم بارك لنا فيه وابدلنا به ما هو خير منه (١) وكان احياناً يخلط
اللبن بالماء ، وكان اذا شرب تنفس ثلاثاً يحمد الله بعد فراغ شربه ، وحياناً
يحمد الله على كل نفس ويشكره عند آخرهن ، وكان يشرب قاعدا وهو
اكثر حاله وقد يشرب قائماً وكان يسقى اصحابه بنفسه ثم يشرب بعدهم
ويقول ساقى القوم آخرهم شرباً (٢) ، وكان اذا شرب يناول من عن يمينه وقد
جلس يوماً عن يمينه غلام صغير وعن يساره كبار اصحابه فأتى بشراب فشرب
منه وقال للغلام اتأذن في ان اعطى هؤلاء فقال لا اوثر بنصيبى منك أحدا .
وكان صلى الله عليه وسلم يسمر مع نسائه يحدثهن ويستمع الى حديثهن قبل
نومه ، وكان قبل نومه يتوضأ ويكتحل في كل عين ثلاثة اميال وينام على
شقه الايمن ثم يقول اللهم انى اسلمت نفسي اليك ووجهت وجهى اليك
وألجأت ظهري اليك ورغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك آمنت
بكتابك الذى انزلت ونيك الذى ارسلت ويقول ان من قالهن ثم مات من
ليلته مات على الفطرة (٣) فاذا استيقظ في نصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل

(١) رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه والبيهقى في الشعب .

(٢) رواه أبو داود في الاشرية .

(٣) رواه البخارى .

مسح وجهه بيده ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم توضأ
وقام يصلى .

وكان صلى الله عليه وسلم اذا نام انما تنام عيناه ولا ينام قلبه الشريف .

وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم وينصح بالحجامة ويقول ان افضل

ما تداويتم به الحجامة (١) .

وكان يتداوى بالحناء فاذا أصابته قرحة او نكبه امر أن يوضع عليها من

الحناء ، وكان يحب السفر في يوم الخميس والاثنين ، واذا خرج يقول اللهم

انت صاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم انى اعوذ بك من الفتنة

في السفن والكتابة في المنقلب اللهم اقبض لنا الارض وهون علينا السفر (٢) .

واذا ركب قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (٣) واذا ودع

مسافرا قال له استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك زودك الله التقوى

وغفر ذنبك ولقاك الخير حيث توجهت (٤) واذا نزل في الطريق ليلا قال مخاطبا

تلك الارض : ربى وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب

عليك اعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد

ومن شر والد وما ولد (٥) .

(١) أخرجه الشيخان .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) أخرجه مسلم .

(٤) أخرجه الترمذى وهو صحيح .

(٥) أخرجه ابو داود والترمذى .

وكان يصلى على راحلته في السفر ولكن صلاة النافلة لا الفريضة
وكان اذا قدم من السفر قال آيبون تائبون لربنا حامدون (٦) فاذا دخل على اهله
قال أوبا أوبا لربنا توبا لا يغادر علينا حوبا (٧) .
وكان لا يقدم من سفر الا نهارا في الضحى فاذا قدم بدأ بالمسجد فصلى
فيه ركعتين ثم جلس يستقبل اصحابه للسلام عليه .
وكان لا يطرق أهله ليلا الا اذا كان عندهم علم او خبر عن قدومه .
وكان ينهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

(١) اخرجه الشيخان .

(٢) رواه البزار وابو يعلى .

ولسوف يعطيك ربك فترضى

كمال مناقبه الحميدة وخصائصه الفريدة

كمال خصائصه الظاهرة وكراماته الباهرة

اختص الله سبحانه وتعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأنواع من الفضائل والكرامات ، وسنذكر أشهرها واصحها باختصار ، وقد ذكرنا بعضها مفصلا في مواضع متفرقة من كتابنا هذا لكننا احببنا هنا اعادة ذكرها لتكون مجتمعة في موضع واحد .

• فمنها انه اول النبيين خلقا وانه كان نبيا وادم بين الروح والجسد (١) .
وان الله اخذ الميثاق على النبيين آدم فسن بعده ان يؤمنوا به وينصروه قال الله تعالى : واذا اخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه « وانه وقع التبشير به في الكتب السالفة وانه لم يقع في نسبه من لدن آدم سفاح (٢) .

وانه رأت امه عند ولادته نورا خرج منها اضاء له قصور الشام (٣) وانه ظللته الغمامة في الحر (٤) وانه مال اليه فيء الشجرة اذ سبق اليه (٥) وانه شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم (٦) وانه غطه جبريل عند ابتداء الوحي ثلاث غطات وان الله تعالى ذكره في القرآن عضوا عضوا فذكر قلبه بقوله

-
- (١) رواه الترمذى
 - (٢) رواه البيهقى وغيره .
 - (٣) رواه الامام أحمد .
 - (٤) رواه أبو نعيم وغيره .
 - (٥) رواه البيهقى .
 - (٦) رواه مسلم وغيره .

« ما كذب الفؤاد ما رأى » وقوله « نزل به الروح الامين على قلبك »
 ولسانه بقوله « وما ينطق عن الهوى » وبقوله « فانما يسرناه بلسانك » وبصره
 بقوله « ما زاغ البصر وما طغى » ووجهه بقوله « قد نرى تقلب وجهك في
 السماء » ويده وعنقه بقوله « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك » وظهره
 وصدره بقوله « الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض
 ظهرك » وانه اشتق اسمه من اسم الله المحمود وقال حسان :

وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

وانه سمي أحمد ولم يسم به احد قبله (١) •

وانه صلى الله عليه واله وسلم كان يبيت جائعا ويصبح طاعما يطعمه
 ربه ويستقيه ، وانه كان يرى من خلفه كما يرى من امامه (٢) ، وانه كان يرى
 في الليل في الظلمة كما يرى بالنور والضوء (٣) ، وان ريقه كان يعذب الماء
 المالح (٤) ، وانه عليه الصلاة والسلام كان يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغ
 صوت غيره ولا سمعه ، وأنه كان تنام عينه ولا ينام قلبه (٥) ، وانه ما تشاءب
 قط (٦) ، وانه صلى الله عليه واله وسلم ما احتلم قط وكذلك الانبياء (٧) ،
 وان عرقه صلى الله عليه واله وسلم كان اطيب من المسك (٨) ، وانه اذا مشى

(١) رواه مسلم

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه البيهقى

(٤) رواه ابو نعيم

(٥) رواه البخارى

(٦) رواه ابن ابى شيبه وغيره واخرج الخطابى ما تشاءب نبى قط

(٧) رواه الطبرانى

(٨) رواه ابو نعيم وغير

• مع الطويل طاله (١) •

وان الكهنة انقطعوا عند مبعثه صلى الله عليه واله وسلم كما انقطع

• استراق السمع •

وانه صلى الله عليه واله وسلم اتى بالبراق ليلة الاسراء مسرجا

ملجما قيل وكانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام تركبه عريانا وانه

اسرى به صلى الله عليه واله وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى

وعرج به الى المحل الاعلى ، وأراه الله تعالى من آياته الكبرى وحفظ في

المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى واحضر الانبياء له عليهم الصلاة والسلام

وصلى بهم وبالملائكة اماما واطلعه على الجنة والنار وانه رأى الله تعالى

وجمع له بين الكلام والرؤية وكلمه تعالى في الرفيق الاعلى وكلم موسى

بالجبل وان الملائكة تسير معه حيث سار يمشون خلف ظهره وقاتلت معه

• في غزوة بدر وحنين •

وانه يجب علينا ان نصلى ونسلم عليه صلى الله عليه واله

وسلم الآية « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا

• صلوا عليه وسلموا تسليما » •

وانه أوتى الكتاب العزيز وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل

• بمدارسة •

وان الله تعالى حفظ كتابه المنزل عليه وهو القرآن من

(١) رواه البيهقي •

التبديل والتحريف قال تعالى : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وقال تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » أي من التحريف والزيادة والنقصان فلو حاول احد ان يغيره بحرف او نقطة لقال له أهل الدنيا هذا كذاب حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له تغيير في حرف منه لقال الصبيان كلهم أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا ولم يتفق ذلك لغيره من الكتب فانه لا كتاب الا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير سواء مع ان دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده وان كتابه يشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب ، وانه تعالى يسر حفظه على متعلميه قال تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر » فحفظه ميسر للعلمان في اقرب مدة وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف بالجهم الغفير ، وانه انزل على سبعة احرف تسهلا علينا وتيسيرا ، وانه آية باقية ما بقيت الدنيا وانه عليه الصلاة والسلام خص بآية الكرسي وبالمفصل وبالمثنى وبالسبع الطوال اما المفصل فآخره قل أعوذ برب الناس وفي اوله خلاف ورجح النووي انه سورة الحجرات والمثنى هي سورة الفاتحة (١) والسبع الطوال اولها البقرة وآخرها الانفال .

وانه صلى الله عليه واله وسلم اعطى مفاتيح الخزائن ، قال بعضهم وهي خزائن اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم فكل ما ظهر من رزق العالم فان الاسم الالهى لا يعطيه الا عن يد محمد صلى الله عليه واله

(١) رواه البخارى من حديث ابى هريرة

وسلم الذى بيده المفاتيح كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب فلا يعلمها الا هو
واعطى هذا السيد الكريم منزله الاختصاص باعطائه مفاتيح الخزائن ، وانه
صلى الله عليه واله وسلم اوتى جوامع الكلم •

وانه صلى الله عليه واله وسلم بعث الى الناس كافة •

فقد جاء في حديث جابر وغيره عنه صلى الله عليه واله وسلم انه قال
كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود • وفي رواية :
الى الناس كافة ، ونصره صلى الله عليه وسلم بالرعب مسيرة شهر ، واحلال
الغنائم ولم تحل لاحد قبله ، وجعل الارض له ولامته مسجد وطهورا •

وان معجزته صلى الله عليه وسلم مستترة الى يوم القيامة ومعجزات
سائر الانبياء انقرضت لوقتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العظيم لم تنزل
حجته قاهرة ومعارضته مستنعة •

وانه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين •

وانه صلى الله عليه وسلم أكثر الانبياء معجزة ، وان شرعه مؤيد الى
يوم الدين وناسخ لجميع شرائع النبيين ، وانه صلى الله عليه واله
وسلم أكثر الانبياء تابعا يوم القيامة ، وانه صلى الله عليه واله وسلم
لو ادركه الانبياء لوجب عليهم اتباعه ، وانه صلى الله عليه واله وسلم ارسل
الى الجن اتفاقا ، وانه صلى الله عليه واله وسلم ارسل الى الملائكة في احدى

القوا بين ورجحه السبكي ، وانه صلى الله عليه واله وسلم ارسل رحمة
للعالمين •

وان الله تعالى خاطب جميع الانبياء بأسماءهم في القرآن فقال
يا آدم • يا نوح • يا ابراهيم • يا داود • يا زكريا • يا يحيى • يا عيسى •
ولم يخاطبه هو فيه الا بيا أيها الرسول ويا أيها النبي ويا أيها المزمّل ويا أيها
المدثر ، وانه صلى الله عليه واله وسلم حرم على امته نداؤه باسمه قال الله
تعالى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » - أي لا تجعلوا
نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به ولكن قولوا :
يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت ، وانه صلى
الله عليه واله وسلم يحرم الجهر له بالقول قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ان تحبط أعمالكم واتم لا تشعرون » وانه صلى الله عليه واله وسلم
يحرم نداؤه من وراء الحجرات قال الله تعالى : « ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات اكثرهم لا يعقلون، ولو انهم صبرو حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم »
وانه صلى الله عليه واله وسلم حبيب الله تعالى وجمع له بين المحبة والخلة
وانه تعالى اقسم على رسالته وبحياته وببلده وعصره • وانه صلى الله عليه
واله وسلم كلم بجميع اصناف الوحي •

وانه صلى الله عليه واله وسلم هبط عليه اسرافيل ولم
يهبط على نبي قبله اخرجه الطبراني من حديث ابن عمر

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط علي نبي قبلي ولا يهبط علي أحد بعدى وهو اسرافيل فقال أنا رسول ربك اليك امرنى ان أخيرك ان شئت نبياً عبداً وان شئت نبياً ملكاً فنظرت الى جبريل فأومأ الي ان تواضع فلو أنى قلت نبياً ملكاً لصارت الجبال معى ذهباً •

وانه صلى الله عليه وآله وسلم سيد ولد آدم ، رواه مسلم من حديث ابى هريرة بلفظ انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ويبدى لواء الحمد ولا فخر ، وانه صلى الله عليه وآله وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال تعالى « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » قال البيضاوى أي جميع ما فرط منك مما يصح ان تعاتب عليه وانه صلى الله عليه وآله وسلم اكرم الخلق على الله فهو أفضل من كل المرسلين وجميع الملائكة المقربين •

وانه صلى الله عليه وآله وسلم اسلم قرينه (١) وان الميت يسأل عنه صلى الله عليه وآله وسلم في قبره •

وانه صلى الله عليه وآله وسلم حرم نكاح ازواجه من بعده قال تعالى : « وازواجه امهاتهم » أي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة وخصوصية وان اولاد بناته صلى الله

(١) رواه مسلم

عليه واله وسلم ينسبون اليه قال عليه الصلاة والسلام في الحسن ان
ابنى هذا سيد وان كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة الا نسبه وسببه ،
قال عليه الصلاة والسلام : كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببى
ونسبى والنسب وبالولادة والسبب بالزواج •

وانه لا يجوز التزوج على بناته لان ذلك يؤذيه واذينه
صلى الله عليه واله وسلم حرام بالاتفاق ، فعن المسور ابن مخرمة
ان علي ابن ابي طالب خطب بنت ابي جهل وعنده فاطمة بنت النبي
صلى الله عليه وسلم فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح ابنة ابي
جهل قال المسور ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسعته حين تشهد قال :
أما بعد فاني انكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني وان فاطمة بنت
محمد بضعة مني وانما أكره ان يفتنوها وانه : والله لا تجتمع بنت رسول
الله وبنت عدو الله عند رجل واحد ابدا ، قال : فترك علي الخطبة (١) ، وفي
رواية للشيخين عن المسور أيضا فان ابنتى بضعة مني يربني ما رابها ويؤذيني
ما آذاها •

وانه صلى الله عليه وسلم لا يجتهد احد في محرابه صلى الله
عليه واله وسلم يمته ولا يسرة •
وانه صلى الله عليه وسلم من رآه بالمنام فقد رآه حقا فان

(١) اخرجه الشيخان

الشیطان لا یتمثل به ، وفي رواية مسلم : من رأى فی المنام فسیرانی فی الیقظة ، وليس لاحد ان یتکنى بکنیة ابی القاسم سواء كان اسمه محمد أم لا عند الشافعی وجوزہ مالک •

ومن خصائصه علیه الصلاة والسلام انه ثبت الصحبة لمن اجتمع به لحظة بخلاف التابعی مع الصحابی فلا تثبت الا بطول الاجتماع معه علی الصحيح عند اهل الاصول ، والفرق عظم منصب النبوة ونورها فبمجرد ما يقع بصره علی الاعرابی الجلف ینطق بالحكمة وان اصحابه کلهم عدول قال الله تعالی خطابا للموجودین حينئذ « وكذلك جعلناکم امة وسطا » أي عدولا وقال علیه الصلاة والسلام لا تسبوا اصحابی فوالذي نفسي بيده لو اتفق احدکم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه ، وقال علیه الصلاة والسلام خير الناس قرنی ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم •

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم ان المصلى يخاطبه بقوله السلام عليك ايها النبي ولا يخاطب غيره ، وانه كان يجب على من دعاه وهو في الصلاة ان يجيبه ، وان الكذب عليه ليس كالكذب على غيره فسن كذب عليه لم تقبل روايته ابدا وان تاب على المشهور عند اهل الاصول وانه صلى الله عليه واله وسلم معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها عمدتها وسهوها وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وانه لا يجوز علیه الجنون ولا الاغساء الطويل الزمن ولا العسى لانه نقص وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان من سبه او انتقصه

قتل (١) •

ومن خصائصه صلى الله عليه واله وسلم انه كان يخص من شاء بما شاء من الاحكام كجعله شهادة خزيمة شهادة رجلين فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى من اعرابي فرسا فجحده الاعرابي فجاء خزيمة فقال يا اعرابي انا اشهد عليك انك بعته فقال الاعرابي ان شهد علي خزيمة فأعطني الثمن ، فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يا خزيمة انك لم تشهد فكيف تشهد قال انا أصدقك على خبر السماء الا اصدقك على خبر هذا الاعرابي فجعل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم شهادته بشهادة رجلين فلم يكن في الاسلام من تعدل شهادته شهادة رجلين الا خزيمة •

ومن ذلك ترخيصه في النياحة لام عطية ، روى مسلم عنها قالت لما نزلته هذه الآية « يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا الى قوله ولا يعصيك في معروف » قالت كان منه النياحة فقلت يا رسول الله الا آل فلان فانهم كانوا أسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من أن أسعدهم فقال الا آل فلان •
ومن ذلك ترك الا حداد لاسماء بنت عميس أخرج ابن سعد عن اسماء بنت عميس قالت لما أصيب جعفر ابن ابي طالب قال لي رسول الله صلى الله

(١) ذكره القاضي عياض في الشفاء وغيره واستدلوا له بالكتاب والسنة والاجماع . وقال الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما ومذهب المالكية يقتل حدا لا ردة ولا تقبل توبته ولا عذره ان ادعى سهوا او غلطا ومذهب الشافعية ان ذلك ردة تخرج من الاسلام الى الكفر فهو مرتد كافر قطعاً .

عليه وسلم تسليبي ثلاثا ثم اصنعى ما شئت (١) •
ومن ذلك الاضحية بالعناق لابي بردة بن نيار (٢) وفي اعتبار ذلك
خصوصية خلاف •

ومن ذلك انكاح ذلك الرجل بما معه من القرآن فقد زوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرأة على سورة من القرآن - وفي اعتبار ذلك خصوصية
خلاف - وقال لا تكون لاحد بعدك مهرا •

وانه صلى الله عليه وسلم كان يوعك كما يوعك رجلان لمضاعفة الثواب
والوعك : أذى الحمى ووجعها في البدن •

وانه صلى الله عليه وسلم صلى عليه الناس افواجا افواجا بغير امام
وبغير دعاء الجنازة المعروف (٣) وترك بلا دفن ثلاثة أيام وفرش له في لحده
قطيفة والامران مكروهان في حقنا •

وأنه لا يبلى جسده الشريف صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبياء
عليهم الصلاة والسلام (٤) •

وانه صلى الله عليه وسلم لا يورث وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام
لا يورثون قال صلى الله عليه وسلم : انا معاشر الانبياء لا نورث (٥) •

-
- (١) وقوله تسليبي أي البسي ثوب الحداد وهو السلاب وتسلبت المرأة اذا لبسته وهو نوب
اسود تغطى به المجد رأسها .
(٢) العناق الانثى من ولد المعز قبل استكمالها الحول .
(٣) ذكره البيهقي وغيره .
(٤) رواه ابو داود وغيره .
(٥) رواه النسائي من حديث الزبير مرفوعا وأصله في الصحيح .

وانه وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملك يبلغه صلاة المصلين عليه (١)
 وصححه الحاكم بلفظ : ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغونني عن امتي
 السلا . وعند الاصبهاني عن عمار : ان لله ملكا اعطاه سمع العباد كلهم فما
 من أحد يصلى علي الا أبلغنيها ، وانه تعرض اعمال امته صلى الله عليه وسلم
 عليه ويستغفر لهم .

فقد ثبت انه ليس من يوم الا وتعرض على النبي صلى الله عليه وسلم
 اعمال امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم (٢) وان منبره صلى الله
 عليه وسلم على حوضه كما في الحديث ، وفي رواية : ومنبري على ترعة من
 ترع الجنة (٣) ولم يختلف احد من العلماء انه على ظاهره ، وانه حق محسوس
 موجود فان القدرة سالحة لا عجز فيها وكل ما اخبر به الصادق صلى الله
 عليه وسلم من أمور الغيب فالايان به واجب ، وان ما بين منبره وقبره صلى
 الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة (٤) .

وانه صلى الله عليه وسلم أول من ينشق عنه القبر قال صلى الله عليه
 وسلم : أنا أول من تنشق عنه الارض (٥) .

وانه صلى الله عليه وسلم يحشر في سبعين الفا من الملائكة
 وما من فجر يطلع الا نزل سبعون الف ملك يحفون بقبره

-
- (١) رواه الامام أحمد وغيره .
 (٢) رواه ابن المبارك عن سعيد بن المسيب .
 (٣) واصل الترعة الروضة على المكان المرتفع خاصة فان كانت في المظنن فهي روضة .
 (٤) رواه البخاري بلفظ ما بين بيتي ومنبري .
 (٥) رواه مسلم .

صلى الله عليه وسلم يضربون بأجنحتهم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط
سبعون الف ملك حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة
يوقرونه صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم اول من يجوز على
الصراط (١) وانه يحشر راكبا البراق (٢) •

وانه صلى الله عليه وسلم يكسي في الموقف اعظم الحلل من الجنة ، قال
صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وامتى على تل
ويكسونى ربي حلة خضراء (٣) •

وانه صلى الله عليه وسلم يقوم على يمين العرش مقاما لا يقومه غيره
يغبط فيه الاولون والآخرون (٤) •

وانه صلى الله عليه وسلم يعطى المقام المحمود •

-
- (١) رواه البخارى
(٢) رواه الحافظ السلفى
(٣) رواه كعب بن مالك
(٤) رواه ابن مسعود

افضليته على سائر الانبياء

أول ما يدل على ذلك اوليته صلى الله عليه وسلم ومعناها خلق نفسه قبل خلق نفوسهم ومما يدل على اوليته صلى الله عليه وسلم ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء •

ومن جملة ما كتب في الذكر وهو ام الكتاب - ان محمدا خاتم النبيين اخرجه مسلم - وفي رواية انى عند الله خاتم النبيين وان آدم مجندل في طينته رواه احمد والبيهقى والحاكم وقال صحيح الاسناد •

وفي رواية انه قيل له : متى وجبت لك النبوة ؟ فقال : وآدم بين الروح والجسد رواه الترمذى وحسنه •

وفي رواية كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث قال السخاوى ، رواه ابو نعيم في الدلائل وابن ابي حاتم في تفسيره وابن لال ومن طريقه عن ابي هريرة مرفوعا وله شاهد صححه الحاكم و آخر في صحيحى ابن حبان والحاكم وثالث عند الترمذى وقال عنه حسن صحيح •

٢ - ومن ذلك : انه أخذ له الميثاق على الانبياء فقال عز وجل :

« واذا اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » (١) •

فجعل الانبياء كاتباع له والهمهم الانقياد فلو ادركوه وجب عليهم اتباعه •

وقد قال عليه الصلاة والسلام « لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي » •

وقدم ذكره على الانبياء فقال عز وجل « انا اوحينا اليك كما اوحينا الى

نوح والنبيين من بعده » (٢) •

٣ - وخاطب كل نبي باسمه فقال تعالى « يا آدم اسكن (٣) ، يا نوح

اهبط (٤) ، يا ابراهيم اعرض (٥) ، يا موسى انى اصطفتك على الناس (٦) ،

يا داود انا جعلناك (٧) ، يا عيسى بن مريم (٨) ، يا زكريا انا نبشرك (٩) ، يا

يحيى خذ الكتاب (١٠) ، ولم يخاطب نبينا بالاسم تعظيما له بل قال : يا ايها

النبي (١١) ، يا ايها الرسول (١٢) ، فلما ذكر اسمه للتعريف قرنه بذكر الرسالة

قال تعالى « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل (١٣) وقال محمد

رسول الله (١٤) وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق (١٥) ولما ذكره مع

الخليل ذكر الخليل باسمه وذكره باللقب فقال تعالى ان اولى الناس بابراهيم

الذين اتبعوه وهذا النبي (١٦) •

(٢) سورة النساء ١٦٣

(٤) سورة هود ٤٨

(٦) سورة الاعراف ١٤٤

(٨) سورة المائدة ١١٠

(١٠) سورة مريم ١٣

(١٢) سورة المائدة ١٣

(١٤) سورة الفتح ٢٩

(١٦) آل عمران ٦٨

(١) سورة آل عمران ٨١

(٣) سورة البقرة ٢٥

(٥) سورة هود ٧٦

(٧) سورة ص ٢٦

(٩) سورة مريم ٧

(١١) سورة الحزب ١

(١٣) سورة آل عمران ١٤٤

(١٥) سورة محمد ٣

٤ - وأخبر الله تعالى ان الامم كانوا يخاطبون انبياءهم بأسمائهم
 كتولهم : يا هود ما جئنا بينة (١) ، يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا (٢)
 يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهه (٣) يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك (٤)
 ونهى امته ان يخاطبوه باسمه فقال تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
 كدعاء بعضكم بعضا » (٥) •

عن ابن عباس في قوله تعالى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
 بعضكم بعضا » قال : لا تقولوا يا محمد قولوا : يا رسول الله •

وقد كانت الانبياء يجادلون اممهم عن انفسهم يقول قوم نوح « انا
 لنراك في ضلال مبين (٦) فقال دافعا عن نفسه : ليس بي ضلالة ، وقال قوم
 هود : انا لنراك في سفاهة ، فقال : ليس بي سفاهة (٧) ، وقال فرعون لموسى :
 انى لاظنك يا موسى مسحورا (٨) ، فقال موسى : انى لاظنك يا فرعون
 مشبورا (٩) » •

ولكن الله تولى المجادلة عن نبيه صلى الله عليه وسلم فلما قالوا

-
- (١) سورة هود ٥٢
 (٢) سورة هود ٦٢
 (٣) سورة الاعراف ٢٨
 (٤) سورة المائدة ١١٢
 (٥) سورة النور ٦٣
 (٦) سورة الاعراف ٦٠
 (٧) سورة الاعراف ٦٧
 (٨) سورة الاسراء ١٠١
 (٩) سورة الاسراء ١٠٣

هو شاعر قال الله تعالى : وما علمناه الشعر (١) ، ولما قالوا : كاهن ، قال الله تعالى : ولا بقول كاهن (٢) ، ولما قالوا : ضال ، قال الله تعالى : ما ضل صاحبكم (٣) ، ولما قالوا : مجنون ، قال الله تعالى : ما انت بنعمة ربك بسجنون (٤) • ولما قالوا « انما أنت مفتر » قال في الرد عليهم « بل اكثرهم لا يعلسون قل نزله روح القدس » وقال « انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون » سورة النحل • ولما قالوا « انما يعلسه بشر » قال في الرد عليهم « لسان الذي يلحدون اليه أعجى وهذا لسان عربى مبین » سورة النحل •

٦ - واقسم الحق سبحانه وتعالى بحياته وانما يقع القسم بالمعظم - عن ابن عباس قال : ما خلق الله تعالى وما ذرأ نفسا هي اكرم من محمد صلى الله عليه وسلم وما سعت الله أقسم بحياة أحد غيره فقال : لعسرك انهم لفي سكرتهم يعمهون (٥) •

٧ - قال ابن عقيل : واعظم من قوله لموسى : واصطفتيتك لنفسى (٦) قوله : ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (٧) •

٨ - وقوله : لا أقسم بهذا البلد ، وانت حل بهذا البلد (٨) . المعنى : أقسم لا بالبلد فان اقسمت بالبلد فلأنك فيه « انتهى » •

أقول وظهر لى معنى آخر . وهو أن الحق تبارك وتعالى يتناول لا أقسم

(١)	سورة يس ٦٩
(٢)	سورة النجم ٢
(٥)	سورة الحجر ٧٢
(٧)	سورة الفتح ١٠
(٢)	سورة الحاقة ٤٢
(٤)	سورة ن ٢
(٦)	سورة طه ٤١
(٨)	سورة البلد ١ ، ٢

بهذا البلد ، أي ان هذا البلد ولو كان عظيما فلا أقسم به لانك حل به يا محمد
وانت أعظم منه فانا أقسم بك انت اذ كيف أقسم بالعظيم وفيه الاعظم
والاكرم .

٩ - وقد اشار الله تعالى الى احوال الانبياء ثم ذكر التوبة عليهم ، قال
الله تعالى : وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (١) وقال
في حق موسى : انى قتلت منهم نفسا (٢) ، ثم قال رب اغفر لى فغفر له -
وقال في حق داود : لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلق
ليبغى بعضهم على بعض (٣) ، ثم قال فغفرنا له ذلك ، وقال : ولقد فتننا
سليمان (٤) ، ثم قال : واناب وأخبر تعالى بغفران ذنب نبينا من غير ان يذكر
له ذنبا فقال : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (٥) .

١٠ . وقد كان الانبياء يطلبون تحقيق بعض المراتب والكمالات لانفسهم
بخلاف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فان الله من عليه بتلك المقامات
وتفضل بها عليه من غير طلب وهذا باب من العلم جليل القدر وفيه من الفضل
ما شرح الله تعالى به صدرى وسأورد ما ورد على قلبى من تلك الامثلة :
فان كان ابراهيم كسر الاصنام فقد رمى نبينا صلى الله عليه وسلم
هبل من أعلى الكعبة ثم أشار الى ثلاثمائة وستين صنما فوقت يوم الفتح
كما ثبت في الصحيح .

(٢) سورة القصص ٢٢

(٤) ص ٢٤

(١) سورة طه ١٢١ - ١٢٢

(٣) ص ٢٤

(٥) سورة الفتح ٢

وان كان هود نصر على قومه بالدبور فقد نصر نبينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالصبا فمزقت اعداءه يوم الخندق •

وان كان لصالح ناقة فقد سجدت الابل لنبينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما ثبت ذلك في السنة المطهرة •

وان اعطى يوسف نصف الحسن فقد اعطى صلى الله عليه
وسلم - الحسن كله - كما جاء في الحديث •

وان كان الحجر انفجر لموسى فقد نبع الماء من بين اصابع نبينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو أعجب لانه لا غرابة في خروج الماء من الحجارة
بل الشأن في خروج الماء من بين لحم ودم •

وان كان لموسى عليه السلام عصا فان خوار الجذع وحنينه اعجب من
ذلك وقصة حنين الجذع ثابتة في الصحيح وهو انه صلى الله عليه وسلم كان
يخطب عند جذع جعل له ، فلما بنى له المنبر ترك الجذع فحن الجذع اليه
حتى كان يسمع له انين كانهن الثكلى •

وان كانت الجبال سبحت مع داود فقد ثبت ان الحصا سبحت في كف
نبينا صلى الله عليه وسلم •

وان كان سليمان اعطى ملك الدنيا فقد جرى لنبينا صلى الله عليه وسلم
بمفاتيح خزائن الارض فأبأها •

وان كانت الريح سخرت لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر فنبينا
صلى الله عليه وسلم سار الى بيت المقدس مسيرة شهر في بعض ليلة وسار

الرعب بين يديه مسيرة شهر كما قال في الحديث الصحيح نصرت بالرعب
مسيرة شهر وعرج به مسيرة خمسين الف سنة الى العرش •

وان كان سليمان فهم كلام الطير فقد فهم نبينا صلى الله عليه وسلم
كلام البعير الذي جاء يشتكى صاحبه وفهم كلام الحجر لما سلم عليه وغير
ذلك •

وان كانت الجن سخرت لسليمان فقد جاءت الى نبينا صلى الله عليه
وسلم طائفة من الجن مؤمنة به كما ثبت ذلك في القرآن •

وقد كان سليمان يصفد من عصاه منهم فلما تفلت عفريت على نبينا
صلى الله عليه وسلم تمكن منه وأسره ثم أطلقه وقال لولا ان أخى سليمان
قال رب هب لى ملكا لا ينبغي لاحد من العالمين لربطته فى سارية من سواري
المسجد يلعب به الصبيان او كما قال وهو فى الصحيح •

وقد كانت الجن اعوانا لسليمان يخدمونه ونبينا صلى الله عليه وسلم
اعوانه الملائكة يقاتلون بين يديه ويدفعون اعداءه كما ثبت ذلك فى بدر وحنين
وان كان عيسى يخبر بالغيوب فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم كثير
من ذلك مع كثير من الناس •

كمال تفضيله في الآخرة بأوليات ليست لغيره

هو أول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع وأول من يؤذن له بالسجود وأول من ينظر الى رب العالمين والخلق محجوبون عن رؤيته اذ ذلك وأول الانبياء يقضى بين امته وأولهم اجازة على الصراط بأتمته وأول داخل الى الجنة وأتمته أول الامم دخولا اليها وزاده من لطائف التحف ونقائس الطرف ما لا يجد ولا يعد .

فمن ذلك انه يبعث راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود ولواء الحمد تحته آدم فمن دونه من الانبياء واختصاصه ايضا بالسجود لله تعالى أمام العرش وما يفتحه الله عليه في سجوده من التحسيد والثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبله ولا يفتحه على أحد بعده زيادة في كرامته وقربه وكلام الله له يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع ولا كرامة فوق هذا الا النظر اليه تعالى .

ومن ذلك تكراره الشفاعة وسجوده ثانية وثالثة وتجديد الثناء عليه سبحانه بما يفتح الله عليه من ذلك وكلام الله تعالى له في كل سجدة يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع .

ومن ذلك : قيامه عن يسين العرش ليس أحد من الخلائق

يقوم ذلك المقام غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون وشهادته
بين الانبياء وامسهم بأنهم بلغوهم وسؤالهم منه الشفاعة
ليريحهم من غمهم وعرقهم وطول وقوفهم وشفاعته في اقوام قد امر بهم الى
النار ، ومنها الحوض الذي ليس في الموقف اكثر او انى منه وان المؤمنين
كلهم لا يدخلون الجنة الا بشفاعته •

ومنها انه يشفع في رفع درجات اقوام لا تبلغها اعمالهم وهو صاحب
الوسيلة التي هي اعلى منزلة في الجنة الى غير ذلك مما يزيد الله تعالى به
جلالة وتعظيما وتبجيلا وتكريما على رءوس الاشهاد من الاولين والآخريين
والملائكة اجسعين ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم •

فاما تفضيله صلى الله عليه وسلم بأولية انشقاق القبر المقدس عنه
وغيرها مما تقدم ذكرها فاليك بعض نصوص الاحاديث الواردة في ذلك •
فروى مسلم من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وانا اول من ينشق عنه القبر واول شافع
واول مشفع •

وفي حديث ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد
ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ويدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ
آدم فمن سواه الا تحت لوائى وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر
رواه الترمذى وقال حسن صحيح •

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابوبكر ثم عمر ثم آتى اهل البقيع فيحشرون

معى ثم انتظر اهل مكة حتى نحشر بين الحرمين ، رواه ابو حاتم ، وقال
الترمذى حسن صحيح ومعنى نحشر نجتمع •

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس
خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم
اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا أيسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولواء
الحمد يومئذ وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف على (بتشديد الياء) ألف
خادم كأنهم بيض مكنون او لؤلؤ منشور رواه الدرামী والترمذى وقال غريب •
وفي حديث رواه صاحب كتاب حادى الارواح العلامة ابن القيم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادى
بالاذان •

واخرج الحاكم والطبرانى من حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال تبعث الانبياء على الدواب وابعث على البراق ويبعث
بلال على ناقه من نوق الجنة ينادى بالاذان محضا وبالشهادة حقا حتى اذا
قال أشهد ان محمدا رسول الله شهد له المؤمنون من الاولين والآخرين وفي
رواية فاذا سمعت الانبياء وامسها اشهد ان محمدا رسول الله قالوا نحن
نشهد على ذلك •

وعن كعب ابن الاحبار انه دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون
الفا من الملائكة حتى يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبى
صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك يحفون

بالقبر ويضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون
الفا بالليل وسبعون الفا بالنهار حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين
الفا من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم •

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا
اول من تنشق عنه الارض فاكسي حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين
العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري ، رواه الترمذي وقال
حسن صحيح ، وفي رواية كعب حلة خضراء •

وأخرج البيهقي أول من يكسي من الجنة ابراهيم يكسي حلة من الجنة
ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش ثم يؤتى بي فأكسي حلة من الجنة
لا يقوم لها البشر وفيه انه يجلس على الكرسي عن يمين العرش •

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عند الشيخين حوضي مسيرة
شهر مأوه أبيض من اللبن ورائحته أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء
من شرب منه شربة لا يظمأ أبدا •

وفي رواية مسلم وزواياها سواء طوله كعرضه وزاد في حديث امامة ولم
يسود وجهه أبدا وزاد في حديث أنس ومن لم يشرب منه لم يرو أبدا ،
رواه البزار والطبراني في الاوسط وفي حديث ثوبان عند الترمذي وصححه
الحاكم اكثر الناس عليه ورودا فقراء المهاجرين قال القرطبي في التذكرة
ذهب صاحب القوت وغيره الى أن الحوض يكون بعد الصراط وذهب
آخرون الى العكس •

وفي حديث ابي ذر ما رواه مسلم ان الحوض يشجب فيه ميزابان من

الجنة •

وعن أنس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفع لي
يوم القيامة فقال انا فاعل ان شاء الله قلت فأين اطلبك قال اول ما تطلبني
على الصراط قلت فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت
فان لم ألقك عند الميزان فاطلبني عند الحوض فاني لا اخطىء هذه الثلاثة
موطن ، رواه الترمذى وحسنه •

قال القرطبي في المفهم مما يجب على كل مكلف ان يعلمه ويصدق به
انه تعالى قد خص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه
وصفته وشرابه في الاحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم
القطعي اذ روى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف على ثلاثين
منهم في الصحيحين ما يزيد على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك كما صح نقله
واشتهرت رواياته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين امثالهم ومن
بعدهم اضعاف اضعافهم وهلم جرا واجتمع على اثباته السلف واهل السنة
من الخلف •

وفي رواية مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ترد على امتي الحوض وانا أذوذ الناس عنه كما يذود الرجل عن ابله
قالوا يا رسول الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون على
غرا محجلين من آثار الوضوء •

وفي حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال : لحوضي اربعة اركان

الاول بيد ابى بكر الصديق والثانى بيد عمر الفاروق والثالث بيد عثمان ذى النورين والرابع بيد على بن ابى طالب فمن كان محبا لابى بكر مبغضا لعمر لا يسقيه ابوبكر ومن كان محبا لعلي مبغضا لعثمان لا يسقيه على رواه ابو سعيد النيسابورى •

واما تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام المحمود فقد قال تعالى « عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا » •

واتفق المفسرون على ان كلمة (عسى) من الله واجب وقد اختلف في تفسير المقام المحمود على أقوال اولها ورجحه الفخر الرازى واجمع عليه المفسرون كما قاله الواحدى انه مقام الشفاعة ووردت الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في البخارى من حديث ابن عمر ، قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة وفيه ايضا عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الناس يصيرون يوم القيامة جثى اى جماعات كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الي فذلك المقام المحمود ومما يؤيد هذا الدعاء المشهور وابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون •

القول الثانى قال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير في يدك والشر ليس اليك والمهتدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك ولا ملجأ منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا هو المراد من

قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا رواه الطبراني قال ابن منده حديث
مجتمع على صحة اسناده وثقة رجاله •

القول الثالث : مقام تحمد عاقبته فان قلت اذا قلنا بالمشهور ان المراد
بالمقام المحمود الشفاعة فاي شفاعة هي فالجواب ان الشفاعة التي وردت في
الاحاديث في المقام المحمود نوعان :

النوع الاول العامة في فصل القضاء ، والثاني في الشفاعة في اخراج
المذنبين من النار لكن الذي يتجه رد هذه الاقوال كلها الى الشفاعة العامة
فان اعطاه لواء الحمد وثنائه على ربه وكلامه بين يديه هي صفات للمقام
المحمود الذي يشفع فيه ليقضي بين الخلق ، واما الشفاعة في اخراج المذنبين
من النار فمن توابع ذلك وقد جاءت الاحاديث التي بلغ مجموعها التواتر
بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبى المؤمنين فعن ام حبيبة رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتى من بعدى وسفك
بعضهم دماء بعض فأحزنتى وسبق لهم من الله ما سبق للامم فسألت الله
ان يوتينى فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل •

وفي حديث ابى هريرة لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها واريد ان
اختلفى دعوتى شفاعة لامتى في الآخرة وفي رواية أنس فجعلت دعوتى شفاعة
لامتى وهذا من مزيد شفقتة صلى الله عليه وسلم علينا وحسن تصرفه حيث
جعل دعوته المجابة في أهم اوقات حاجتنا جزاه الله عنا احسن الجزاء •
وقد قال النووى الشفاعات خمس :

الاولى : في الاراحة من هول الموقف •

الثانية في ادخال قوم الجنة بغير حساب •

الثالثة في ادخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ان لا يعذبوا •

الرابعة : في اخراج من ادخل النار من العصاة •

الخامسة : في رفع الدرجات في الجنة •

والمختص به صلى الله عليه وسلم الاولى والثانية •

واما تفضيله بانه اول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها ففي صحيح

مسلم في كتاب الايمان عن أنس قال قال صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس

تابعا يوم القيامة وأنا اول من يقرع باب الجنة •

وفي الصحيح ايضا يقول صلى الله عليه وسلم آتى باب الجنة يوم

القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فاقول محمد فيقول بك امرت لا

افتح لاحد قبلك •

وهذه الاولى تنالها الامة المحمدية ايضا اكراما لبيها محمد صلى الله

عليه وسلم فهم ايضا اول من يدخل الجنة من الامم كما جاء في صحيح مسلم

قال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول من

يدخل الجنة •

وعند الطبراني في الاوسط والدارقطني عن عمر بن الخطاب رضي الله

عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة حرمت على الانبياء

كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي •

واما تفضيله بالكوثر فهو ثابت في الصحيح قال صلى الله عليه وسلم

اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال انه نهر وعدنيه ربي وقد
سمى بالكوثر لكثرة مائه وعظم قدره وخيره ، قال الحافظ بن كثير - قد
تواتر يعنى حديث الكوثر من طرق تفيد القطع عن كثير من أئمة الحديث •
واما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة
والفضيلة فروى مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا
على فانه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله
لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن
أكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة •

والوسيلة درجة عند الله علم على اعلى منزلة في الجنة وهي منزلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهي اقرب امكنة الجنة
الى العرش •

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق عبودية لربه
واعلمهم به وأشدهم له خشية واعظمهم له محبة كانت منزلته اقرب المنازل
الى الله تعالى وهي اعلى درجة في الجنة وامر صلى الله عليه وسلم امته ان
يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى وزيادة الايمان •

كمال فضله الثابت بكتاب الله

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تتضمن عظم قدره ورفعته ذكره وجليل مرتبته وعلو درجته وتشريف منزلته صلى الله عليه وسلم فمن ذلك قوله تعالى : ان الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما •

وهذا الخبر بمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم في الملائكة الاعلى بأنه يثنى عليه عند الملائكة وان الملائكة تصلى عليه ثم امر العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه فيجتمع الثناء عليه من الله واهل العالمين العلوى والسفلى •
ومن ذلك قوله تعالى : انا اعطيناك الكوثر •

وفي هذه الآية منقبة ظاهرة له صلى الله عليه وسلم اذ عبرت عن ذلك بلفظ الماضي ولم يقل سنعطيك ليدل على أن هذا الاعطاء حصل في الزمان الماضي ، ولا شك ان من كان في الزمان الماضي عزيزا مرعى الجانب اشرف ممن سيصير كذلك كأنه سبحانه وتعالى يقول يا محمد قد هيأنا أسباب سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود فكيف امرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا يا أيها العبد الكريم ، انا لم نعطك هذا الفضل العظيم لاجل طاعتك وانما اخترناك بسجود فضلنا واحساننا من غير موجب •

(١) قد ورد كثير من مسائل هذا الفصل في مواطن متعددة من هذا الكتاب . ولكننا احببنا جمعها في موضع واحد خاص بها .

ومن ذلك انه تعالى أقسم على ما انعم به عليه واظهره من قدره العلى

بقوله : والضحى والليل اذا سجدى ما ودعك ربك وما قلى •

ومن ذلك قوله تعالى : الم نشرح لك صدرك •

ومن ذلك اخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة قبل ذكر العتاب في قوله

تعالى : عفا الله عنك لم اذنت لهم •

ومن ذلك اخباره تعالى بتمنى اهل النار طاعته صلى الله عليه وسلم في

قوله تعالى : يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا

الرسولا •

ومن ذلك ان الله سبحانه وتعالى وصفه بالشهادة وشهد له بالرسالة

في قوله جل وعلا حكاية عن ابراهيم واسماعيل عند بناء البيت : ربنا تقبل

منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة

لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا

منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز

الحكيم - فاستجاب الله دعاءهما وبعث في اهل مكة منهم رسولا بهذه الصفة

وقد اجمع المفسرون على انه صلى الله عليه وسلم هو المراد بهذه الآية

ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أنا دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى

قالوا واراد بالدعوة هذه الآية وبشارة عيسى هي ما ذكر في سورة الصف

« ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » •

ومن ذلك ان الله امتن على المؤمنين ببعث هذا النبي منهم فقال : « لقد

من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم

ويعلمهم الكتاب (الآية) « فليس لله منة على المؤمنق أعظم من ارساله محمدا صلى الله عليه وسلم يهدى الى الحق والى طريق مستقيم وانما كانت النعمة على هذه الامة بارساله أعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تست بها مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببها دين الله الذى رضيه لعباده .
 وفي قوله تعالى « انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

• وفي قوله جل ذكره « والله يشهد انك لرسوله » .

وفي قوله : « لكن الله يشهد بما أنزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا » .

ومن ذلك ان الله اخبر انه صلى الله عليه وسلم مبعوث لكافة الخلق بقوله :

« قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » وقوله : « وما ارسلناك الا كافة للناس » .

ومن ذلك ان الله تعالى أخبر أنه جعله كله رحمة فقال : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » وسماه باسمين من اسماءه فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » قال ابن عباس : فهو رحمة للبر والفاجر لان كل نبى اذا كذب أهلك الله من كذبه اما نبينا صلى الله عليه وسلم فهو رحمة للمؤمنين بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب ، قال الله تعالى : « وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم » .

ومن ذلك ان الله تعالى اخبر ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعده صلى الله عليه وسلم ولا نبي بقوله جل ذكره « ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » •

ومن ذلك ان الله تعالى اخبر ان الكتب السابقة كالتوراة والانجيل اشتملت على التنويه برسالته صلى الله عليه وسلم بقوله : « الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل » •
ومن ذلك ان الله تعالى وصفه في القرآن بانه بلغ اكمل درجات الاخلاق بقوله « وانك لعلى خلق عظيم » •

والى هذا اشارت عائشة رضي الله عنها بقولها : كان خلقه القرآن فكان كلامه مطابقة للقرآن تفصيلا وتبيينا وعلومه علوم القرآن وارادته واعماله ما اوجبه وندب اليه القرآن واعراضه وتركه لما منع منه القرآن ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبه لما احبه وسعيه في تنفيذ اوامره فترجمت رضي الله عنها لكسال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها : كان خلقه القرآن •

ومن ذلك انه سبحانه وتعالى اقسم بالضحى على ما انعم به عليه واطهره من قدره العلى لديه بقوله « والضحى والليل اذا سجى ما ودعك قلى » •

وكان هذا في مقابلة قول أعدائه « ودع محمدا ربه » وذلك لما انقطع الوحي عنه فترة فجاءت هذه الآيات متضمنة هذه الفضائل والمنح الربانية والتي نفى فيها سبحانه ان يكون ودع نبيه او قلاه فالتوديع الترك والقلى

البغض اي ما تركك منذ اعتنى بك ولا ابغضك منذ احبك » وللآخرة خير لك من الاولى « وهذا يعم احواله صلى الله عليه وسلم ويدل على ان كل حالة يرقه اليها هي خير له مما قبلها كما ان الدار الآخرة هي خير له مما قبلها ثم وعده صلى الله عليه وسلم بما تقربه عينه وينشرح به صدره وهو ان يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القرآن والهدى ونشر دعوته واعلاء كلمته على اعدائه في مدة حياته وايام خلفائه ومن بعدهم وما يعطيه في موقف القيامة من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه في الجنة من الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر بالجملة فقد دلت هذه الآية على انه تعالى يعطيه صلى الله عليه وسلم كل ما يرضيه . وقد جاء في الصحيح أن الله تعالى قال له انا لن نخزيك في امتك . وفي ذلك يقول بعضهم :

قرأنا في الضحى ولسوف يعطى فسر قلوبنا ذاك العطاء
وحاشا يا رسول الله ترضى وفينا من يعذب أو يساء

ثم ذكره سبحانه بنعمه عليه او امره ان يقابلها بما يليق بها من الشكر فقال تعالى : « الم يجدك يتيما فآوى » الى آخر السورة . ومن ذلك انه تعالى اقسم على تصديقه وتنزيهه عن الهوى في نطقه بقوله « والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى » فاقسم تعالى بالنجم على براءة رسوله مما نسبة اليه اعداؤه من الضلال والغى وتأمل قوله تعالى : « ما ضل صاحبكم » ولم يقل محمدا تأكيدا لاقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم وهم أعلم الخلق به وبحاله واقواله وأعماله

وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقسمون عليه امرا واحدا
وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل « ام لم يعرفوا رسولهم » ثم
نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم عن ان يصدر عن هوى فقا تعالى :
« وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » وذكر الاوزاعى عن حسان
بن عطية قال : كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة
كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها ثم اخبر تعالى عن وصف من علمه صلى الله
عليه وسلم الوحي والقرآن فقال : « علمه شديد القوى » وهو جبريل
ولا شك ان مدح المعلم مدح للتعلم وهذا نظير قوله تعالى : « ذى قوة
عند ذى العرش مكين » ثم قال تعالى : « فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب
الفؤاد ما رأى » فاخبر سبحانه عن تصديق فؤاده صلى الله عليه وسلم لما
رأته عيناه وان القلب صدق العين وليس كمن رأى شيئا على خلاف ما هو
به فكذب فؤاده بصره بل ما رآه يبصره صدقة الفؤاد .

ومن ذلك ان الله تعالى وصف حقيقة تلقى النبى صلى الله عليه وسلم
وكيفية اخذه له وبين سنده في ذلك قوله : « فلا اقسم بالخنس . الجوار
الكنس . والليل اذا عسعس . والصبح اذا تنفس . انه لقول رسول كريم
ذى قوة » كما قال في النجم علمه شديد القوى فيسنع بقوته الشياطين ان
يدنو منه وان يزيدوا فيه أو ينقصوا منه « عند ذى العرش مكين » أي متسكن
المنزلة وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف والتعظيم (مطاع) في ملائكة
الله تعالى المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه (ثم) هناك (أمين)
على وحى الله ورسالاته فقد عصمه الله من الخيانة والزلل فهذه خمس صفات

تتضمن تزكية سند القرآن وانه سماع محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السند علوا وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه ثم نزه رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وزكاه مما يقول فيه اعداؤه فقال : « وما صاحبكم بمجنون » وهذا امر يعلمونه ولا يشكون فيه وان قالوا بالسنتهم - خلافة فهم يعلمون انهم كاذبون ثم أخبر عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام بقوله : « ولقد رآه بالافق المبين » وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان ويدرك بالبصر « وما هو على الغيب بظنين » قال ابن عباس ليس بيخيل بما أنزل الله واجمع المفسرون على أن الغيب ههنا القرآن والوحي وقرىء « بظنين » ومعناه المنتهم والمعنى ما هذا الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن بمنتهم بل هو أمين فيه لا يزيد ولا ينقص منه .

ومن ذلك ان الله تعالى أقسم به فقال لعمر ك انهم لفي سكرتهم يعمهون واقسم ببلده فقال : لا أقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد - والبلد هي أم القرى واقسم بعصره فقال : والعصر ان الانسان لفي خسر .

ومن ذلك ان الله تعالى وصفه بالنور والسراج المنير صلى الله عليه وسلم فقال : قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وامر بطاعته واتباع سنته فقال يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله فجعل طاعته طاعة رسوله وقرن طاعته بطاعته وجعل بيعته بيعته فقال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله .

ومن ذلك ان الله تعالى في كتابه العزيز امر بالادب معه صلى الله عليه

وسلم فقال : يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله أي لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله تعالى على لسانه وانظر ادب الصديق رضي الله عنه معه عليه الصلاة والسلام في الصلاة لما تقدم بين يديه كيف تأخر فقال ، ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف اورثه الله مقامه والامامة بعده •

وقال الضحاك : لا تقضوا امرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره : لا تأمروا حتى يأمر ولا تنهوا حتى ينهى •
فمن الادب ان لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهى ولا اذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن كما أمر الله تعالى بذلك في هذه الآية وهذا باق الى يوم القيامة لم ينسخ ، فالتقدم بين يدي سنته وبعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته ولا فرق بينهما عند ذى عقل سليم •

ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع الاصوات فوق صوته كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » وافاد انه ينبغي ان لا يتكلم المؤمن عنده صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده اي بل يكون صوته دون صوته مع سيده واذا كان رفع الاصوات فوق صوته صلى الله عليه وسلم موجبا لحبوط الاعمال فما الظن برفع الآراء وتناجج الافكار على سنته وما جاء به صلى الله عليه وسلم ، وروى ان ابا بكر لما نزلت هذه الآية قال : والله يا رسول الله لا اكلمك الا كاخى السرارى - أي الكلام

الخفى الذى يراد كتمه - وان عمر رضى الله عنه كان اذا حدثه حدثه كأخى
السرارى ما كان يسمع النبى صلى الله عليه وسلم حديثه بعد هذه الآية حتى
يستفهمه •

وروى ان أبا جعفر أمير المؤمنين ناظر مالكا في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا
المسجد فان الله عز وجل أدب قوما فقال : لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت
النبى ، ومدح قوما فقال : ان الذين يعضون اصواتهم عند رسول الله ودم
قوما فقال : ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية - وان حرمة ميتا
كحرمة حيا - فاستكان لها ابو جعفر •

ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يجعل دعاؤه كدعاء بعضنا
بعضا قال تعالى : لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا - وفيه
قولان للمفسرين :

أحدهما : لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قولوا : يا
رسول الله - يا نبى الله مع التوقير والتواضع •

والثانى : ان المعنى لا تجلوا دعاءه لكم منزلة دعاء بعضكم بعضا ان
شاء المدعو أجاب وان شاء ترك بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابته
ولم يسعكم التخالف عنها البتة فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة
بغير اذنه محرمة •

ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم انهم اذا كانوا معه على امر
جامع من خطبة او جهاد او رباط لم يذهب احد مذهبها في حاجة له حتى

يستأذنه كما قال الله تعالى : انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه •

ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم انه لا يستشكل قوله بل تستشكل الآراء بقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسة وتلقى لنصوصه ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال مخالف تسميه اصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب معزول ولا يتوقف قبول ما جاء به على موافقة احد فكل هذا من قلة الادب معه وهو عين الجرأة عليه صلى الله عليه وسلم ، ورأس الادب معه صلى الله عليه وسلم كمال التسليم له والانقياد لامره وتلقى خبره بالقبول والتصديق دون ان يحمله معارضة خيال باطل على ان يقدم عليه اراء الرجال فيوحد التحكيم والتسليم والانقياد للرسول كما وحد المرسل بالعبادة فهما توحيدان لا نجاة الا بهما •

والقرآن مسلوء بالآيات المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم (١) لما قال المشركون : « يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون » اجاب تعالى عنه عدوه بنفسه من غير واسطة فقال : « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك مجنون » •

ولما قالوا : « افترى على الله كذبا » اجاب تعالى عنه فقال : « بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد » •
ولما قالوا : « لست مرسلا » اجاب الله تعالى عنه فقال : « يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين » •

(١) تقدم طرف من هذا البحث في فصل فضل النبي في القرآن وأعدناه بزيادة لمناسبة أخرى .

ولما قالوا : « انا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون » اجاب تعالى عنه
فقال : « بل جاء بالحق وصدق المرسلين » فصدقه ثم ذكر وعيد خصائه
فقال : « انكم لذائقوا العذاب الاليم » •

ولما قالوا : « أم يقولون شاعر تتربص به ريب المنون » اجاب الله تعالى
عنه فقال : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين » •
ولما حكى الله عنهم قولهم : « ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم
آخرون » اجاب الله تعالى عنه فقال : « فقد جاءوا ظلما وزورا » وقال
ردا لقولهم اساطير الاولين : « قل انزله الذى يعلم السر في السموات
والارض » •

ولما قالوا يلقيه اليه الشيطان قال تعالى : « وما تنزلت به الشياطين » •
ولما تلا عليهم نبأ الاولين قال النضر بن الحارث : « لو نشاء لقلنا مثل
هذا ان هذا الا أساطير الاولين » اجاب الله تعالى عنه فقال : « قل لئن
اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا » •

ولما قال الوليد بن المغيرة : « ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول
البشر » اجاب تعالى عنه فقال : « كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون » تسلياً له عليه الصلاة والسلام •

ولما قالوا : « محمد قلاه ربه » اجاب الله تعالى عنه فقال : « ما ودعك
ربك وما قلى » •

ولما قالوا : « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق » أجاب الله تعالى عنه فقال : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق » •

ولما حسدته اعداء الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات وقالوا : « ما همته الا النكاح » أجاب الله تعالى عنه فقال : « ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد اتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما » •

ولما استبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر بقولهم الذي حكاه الله تعالى عنهم « وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا » وجهلوا ان التجانس يورث التانس وان التخالف يورث التباين •

اجاب الله تعالى عنه فقال : « قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » أي لو كانوا ملائكة لوجب ان يكون رسولهم من الملائكة لكن لما كان اهل الارض من البشر ووجب ان يكون رسولهم من البشر •

كمال احواله في العبادة

كانت عبادات النبي صلى الله عليه وسلم دائمة مستمرة متواصلة في الليل والنهار سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها كيف كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل كان يخص شيئاً من الايام - أي ويترك العمل في ايام - فقالت: لا كان عمله ديمة واياكم يستطيع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع (١)؟! ولم يدع رسول الله صلى الله عليه وسلم نوافله وتطوعاته طيلة عمره كما جاء عن أم سلمة قالت: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان اكثر صلاته - أي التطوع - وهو جالس وكان أحب العمل اليه ما داوم عليه العبد وان كان شيئاً يسيراً (٢)، وكان له صلى الله عليه وسلم اكمل ذوق الحلاوة في العبادة والذراحة ونعيم بها •

وقد كان يقول صلى الله عليه وسلم: قم يا بلال ارحنا بالصلاة (٣) ويقول صلى الله عليه وسلم: وجعلت قرّة عيني في الصلاة (٤) وكان منهاجه صلى الله عليه وسلم في العبادة: انه اذا عمل عملاً أثبته وداوم عليه •

كما جاء عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

-
- (١) رواه ابو داود
(٢) رواه ابن حبان في صحيحه
(٣) رواه أحمد وغيره
(٤) رواه أحمد وغيره

قال : اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا ، وان احب العمل الى الله ادومه وان قل ، وكان صلى الله عليه وسلم اذا عمل عملاً أثبتته (١) •

وكان صلى الله عليه وسلم يواظب على قيام الليل ، وكان اغلب قيامه لصلاة الليل في اول النصف الثانى من الليل ، تقول السيدة عائشة ، كان ينام اول الليل ويحيى آخره (٢) •

وهذا القيام بعد هذا النوم حكم له النبي صلى الله عليه وسلم بانه احب القيام بقوله : واحب القيام الى الله قيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه (٣) وذلك ليستريح من نصب القيام فانه بعد القيام يريح البدن ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم بخلاف السهر الى الصباح • وفيه من الحكمة ايضا : استقبال صلاة الصبح واذكار النهار بنشاط واقبال ، وهذا بالنسبة للصلاة ايضا اقرب الى عدم الرياء لان من نام السدس الاخير اصبح ظاهر اللون سليم الصدر ، فهذا اقرب الى اخفاء عمله في الليل كما ذكر ذلك الحافظ في الفتح ، وبذلك يكون المتهجد قد نال فضائل تجليات الرب عز وجل في الثلث الثانى والثلث الاخير •

وكانت له اوراد وقراءات قبل ان ينام ، فقد جاء انه كان لا ينام حتى يقرأ بنى اسرائيل - أي سورة الاسراء - والزمر (٤) •

-
- (١) رواه ابو داود
(٢) رواه الشيخان
(٣) رواه الشيخان
(٤) رواه الترمذى وأحمد

وجاء انه كان لا ينام حتى يقرأ : الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك (١) ، وجاء انه كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد وقال فيهن آية افضل من الف آية (٢) •

وكان صلى الله عليه وسلم يواظب على صلاة الضحى وكان تارة يصلها ركعتين وهو أقلها وتارة اربعا وهو الاغلب وتارة ستا وتارة ثمانية وتارة اثني عشرة ركعة وذلك أفضلها واكثرها •

وكان اذا صلى الفجر تربع في مجلسه يذكر الله حتى تطلع الشمس (٣) وكانت له نوافل مطلقة بعد المغرب فتارة يصلى من بعد المغرب الى العشاء (٤) وتارة يصلى بعد المغرب ست ركعات ويقول : ان من واظب عليها غفرت له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر (٥) ويقول من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن بعبادة ثنتي عشرة سنة (٦) •

وكان يكثر من الدعاء ويحث عليه ، وكان اذا دعا يرفع يديه حذو منكبيه مشيرا بباطن كفيه نحو السماء تارة ان كان الدعاء بنحو تحصيل شيء وبظاهرهما الى السماء تارة ان دعا بنحو دفع بلاء (٧) ، وكان يبالي في رفع يديه في الاستسقاء وفي مواقف الاستغاثة بالله عز وجل والاستنصار على

-
- (١) رواه الترمذى والنسائي
(٢) رواه احمد واصحاب السنن
(٣) رواه مسلم
(٤) قال المنذر رواه النسائي باسناد جيد
(٥) رواه الطبرانى
(٦) رواه ابن ماجه والترمذى وقال غريب انظر الترغيب
(٧) رواه ابو داود

الاعداء ، وكان اذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه (١)
 وكان يستقبل القبلة في دعائه (٢) وكان يعجبه ان يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا (٣)
 وكان يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك (٤) والمراد بجوامع
 الدعاء ما جمع مع وجازته خيري الدنيا والآخرة فمن جوامع ادعيته اللهم
 ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (٥) •

ومن جوامع ادعيته اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة امرى واصلح
 لى دنياي التى فيها معاشى واصلح لى آخرتى التى فيها معادى واجعل الحياة
 زيادة لى من كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر •

ومنها انه كان يقول اللهم انى اعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء
 الاخلاق (٦) وقد ذكرت كتب السنن والاثار الكثير من ادعيته الجامعة
 والتى كان يقولها في المناسبات المختلفة والازمنة والاحوال •

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من التسبيح في الليل والنهار ، يقول
 ربيعة بن كعب كنت اخدمه نهاري فاذا كان الليل اويت الى باب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فبت عنده فلا ازال اسمعه يقول سبحان الله سبحان
 ربي حتى تغلبنى عيني فأنام (٧) •

-
- (١) رواه الترمذى والحاكم
 (٢) رواه الترمذى
 (٣) رواه ابو داود
 (٤) رواه ابو داود والحاكم
 (٥) رواه الشيخان
 (٦) رواه ابو داود
 (٧) رواه الطبرانى

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من الاستغفار في الليل والنهار في الصلوات ووراء الصلوات وفي سائر مجالسه واحواله ويقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة (١) ويقول ابن عمر كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد : رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم ، مائة مرة (٢) ، وفي رواية : انك انت التواب الغفور •

وكان تارة يقول : استغفر الله الذى لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه مائة مرة في مجلس واحد (٣) ، وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من الصيام فيتابع الصوم احيانا حتى يقول القائل لا يفطر ويترك ذلك احيانا حتى يقول القائل لا يصوم •

وكان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وكان يصوم الاثنين والخميس ويتحرى صيامهما ويقول انهما تعرض فيهما الاعمال فأحب ان يعرض علي وانا صائم •

وكان صلى الله عليه وسلم يعظم يوم مولده الشريف وهو يوم الاثنين فيصومه ويقول ذلك يوم ولدت فيه كما رواه مسلم في صحيحه • وكان يعتنى بصيام اكثر شهر شعبان ، وكان يواصل الصيام احيانا واذا دخل شهر رمضان اجتهد في قيامه أكثر من غيره ثم اجتهد في عشره الاخير أكثر وأكثر بالاعتكاف واحياء كل الليل •

(١) رواه البخارى

(٢) رواه ابو داود وابن حبان وصححه والترمذى

(٣) اخرجه النسائى بسند جيد

كمال خشيته من الله

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس خشية من الله تعالى، وذلك لانه قال الله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » الآية • وهو أعلم العلماء كما جاء في الحديث •

ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه ، وتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ؟ فوالله انى لا علمهم بالله ، وأشدهم له خشية •

وفى هذا الحديث بيان منه صلى الله عليه وسلم واعلان أفضليته على جميع العباد بالعلم بالله تعالى والخشية من الله تعالى وان الله تعالى قد أعطاه أفضل وأكمل مقام فى المعرفة والخشية •

يقول أنس رضى الله عنه قال : وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط ، فقال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا ، ثم قال : عرضت على الجنة والنار فلم أر كاليوم فى الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا •

فما اتى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أشد منه غطوا رؤوسهم ولهم حنين •

وفي هذا دليل على عظيم خوفه من الله تعالى وكثرة بكائه من خشية
الله تعالى ومن كمال خشيته صلى الله عليه وسلم انه كان صلى الله عليه
وسلم دائم الانكسار والتواضع لربه تعالى في سائر مواقفه الكريمة ومشاهده
العظيمة في صلواته وسائر عباداته وسائر شؤونه وقضاياه .
وقد بلغ من خشوعه في صلاته انه سمع لجوفه أزيد كأزيز المرجل ،
ويقول على رضي الله عنه ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا
وما فينا الا نائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يبكي وهو
يصلى حتى أصبح ولما دخل مكة يوم الفتح دخلها خاشعا لربه تعالى وصلى
الله عليه افضل واشرف صلاته وعلى آله وصحبه .

يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم

كمال حكمته السياسية وقيادته الحربية

كمال حكمته في تصريف الامور السياسية

في سيرة نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صور واضحة تدل على كمال حكمته وعظيم سياسته في تصريف الامور بحل المشاكل ومواجهة المواقف وعقد العقود وابرام العهود وحسن التخلص وبعد النظر مما يحقق حصول المصالح الظاهرة والباطنة وجلب المنفعة ودرء المفسدة وسد الذرائع ووضع الامور في نصابها والنجاح الذي لم يؤتة أحد قبله ، ذلك النجاح المقطوع النظير الذي لم يبدل من حاله ناسكا متعبدا وزاهدا متواضعا وبراً رحيماً ، والحق الذي لا مرأى فيه ان في حياته وقيادته للامة وتولى الحكم وادائه الرسالة الدليل الاكبر الذي ارانا بالفعل لا بالقول ماذا يجب ان يكون به الحاكم في كل المناسبات والاحوال •

لقد جاء صلى الله عليه وسلم الى المدينة والايوس والخزرج فيها حديثوا عهد بواقعه بعث والعداوة القديمة بينهما تثير الاحداث الجديدة واليهود يذكون نار الفتنة ويخشون سوء المنقلب واصحابه الذين هاجروا الى المدينة ليس لهم حول ولا قوة الا حول الاجيء المستظل بجوار القوم الذين لا يحبون اهلهم وعشيرتهم •

فكان مركزه بذلك على جانب عظيم من الدقة ولكنه تناول الموقف بحكمته وحسن تدبيره وكمال عقله مما برهن على أنه أهل لكل جليل في الامر

فشرع في الحال ببناء المسجد وفيه كانت الاسس التي وضعها لصلاح الدين
والدنيا وأصبح مكانا للعبادة ومركزا للقيادة ومنه تصدر الدعوة الى الله
وفيه يتربى المؤمنون على أكمل الخلال في أشرف الاحوال وفيه توضع جميع
الخطط والتدابير الادارية والسياسية والعسكرية وفيه تستقبل الوفود
ويلقى العلم •

ومن سياسته صلى الله عليه وسلم الرشيدة في حياته الاولى في المدينة
انه لما رأى عدم تجانس افراد المجتمع لاختلاف عقائدهم شرع في وضع نظام
يضمن حقوق الجميع ويكفل حرية العقيدة وحرمة الدماء والاموال والاعراض
وتجعلهم جميعا مكلفين بالدفاع عن البلاد امام اية اعتداءات عليه متكالفين في
الحرب والسلام ، و سطر ذلك في صحيفة •

جاء فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي
صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب : ومن
تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم انهم امة واحدة من دون الناس •

ثم تقرر ان من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا
متناصر عليهم ، وان يهود بنى عوف امة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين
دينهم مواليهم وانفسهم ، ثم تقرر لبقية اليهود المعاهدين ما ليهود بنى عوف
ثم تذكر الصحيفة ان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم
النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر
دون الاثم ، الى ان تقول ، وان يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة وان

الجار كالنفس غير مضار وآثم وانه لا تجار حرمة الا باذن اهلها ، وان ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يجاف فسادة ، فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بهذه الصحيفة انقادت الى النبي سلطة يثرب الزمنية دون قصد فقد اقتضت العهود ان تنص على الحكم في حالة الخلاف ولم يكن الا هو ليحكم ومنذ تلك الساعة وضع الحجر الاساسي لدولة الاسلام .

فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفوضى والاباحة للقوة ، وجعل مرجع اقامة الحدود الى الله ، أي الى شريعته والى رسوله منفذ هذه الشريعة ، وكانت الى ذلك الحين تتولاها القوة العاشمة وحدها ، قوة العصبية لا تفرق بين المذنب والبريء .

ومن مواقفه السياسية الرائعة الرشيدة انه حصلت فتنة بين رجل من الانصار وأجير لعمر بن الخطاب ، وذلك في غزوة بنى المصطلق ، فاستنصر الانصارى بالانصار ، واستنصر الاجير بالمهاجرين وكادت تقع حروب ضروس اراد ان يشعلها ابن ابي بن سلول رأس المنافقين ، فقام وقد اشتغل الموقف وعنده زيد بن أرقم غلام بالغ يقول او قد فعلوها ؟ قد كاثرونا وناقرونا في بلادنا ما مثلنا معهم الا كما قال الاول « سمن كلبك يأكلك » والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعزمنها الاذل فنقل ابن أرقم مقالة ابن ابي بن سلول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : مر به يا رسول الله من يقتله ، فقال السيد الحكيم « فكيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه » ولكنه اكتفى بان أمر بالرحيل ، فرحل الرسول بالجيش في وقت لم يكن

يرحل فيه وسار بهم يومهم ذلك حتى امسى وليلهم حتى اصبح ، وصار يومهم التالي حتى اذتهم الشمس واعياهم الجهد ونال منهم التعب ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الارض حتى وقعوا نياما •

وكان الغرض النبوي الحكيم من موالة السير ليلا ونهارا ان لا يشغلوا أنفسهم بما وقع من اثاره الفتنة وزعزعت القلوب وبذلك وقاهم الله شرها نتيجة لهذه السياسة الرائعة الحكيمة ، ولما علم عبدالله ابنه وكان من خيار المسلمه بن بما قال أبوه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال انه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلا فسرني وانا آتيك برأسه ، فوالله لقد علمت الخزر ج ما كان بها ابر بوالده منى ، واني أخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل أبي يمشى في الناس فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار ترى ماذا يكون جواب الرسول الحكيم والرؤف الرحيم الخبير بطبائع النفوس ؟ يقول في هدوء ورفق « لا يا عبدالله بل تترفق بأبيك ونحسن صحبته ما دام معنا » •

ولقد كان لهذه السياسة اثرها البعيد في درء الشرور ، فقد كان ابن ابي المنافق كلما احدث حدثا أقبل عليه قومه يعاتبونه ويعنفونه ويأخذونه بما صنع ويذكرونه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ولقد أراد الرسول الكريم في هذا أن يبين لعسر رضي الله عنه عسق سياسته المتتدة المتزنة فقال « كيف ترى يا عسر أما والله لو قتلته يوم قلت لى لا رعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته وقلبهم يفيض بالحب والتقدير لرسول الله : والله لقد علمت لامر رسول الله اعظم بركة من امرى » •

ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم الحسيده التي تدل على سياسته

الرشيدة موقفه يوم الحديبية وموافقته على شروط الصلح التي كان في
ظاهرها ضيم وذلة ولذلك تأثر بعضهم ومنهم سيدنا عمر رضي الله عنه ذلك
لان المسلمين لم يكونوا قد تنبهوا للحكمة الجليلة والسياسة الرشيدة التي
كان ينظر اليها صلى الله عليه وسلم ولكن ما ان مضت فترة من الزمان حتى
أخذ المسلمون يستشفون أهمية هذه الهدنة وعظيم ما انطوت عليه من خير •
ومن أهم تلك الخيرات حفظ المستضعفين في مكة من المسلمين وحقن
دمائهم لاختلاطهم بالكفار •

ومن فوائده ايضا اسلام كثير من كفار قريش باختلاطهم بالمسلمين
ومجيئهم الى المدينة معقل الايمان والاسلام وسماهم من المؤمنين أقواله
عليه الصلاة والسلام ومعجزاته الظاهرة وحسن سيرته واعلام نبوته الباهرة
الى غير ذلك مما جعلهم يدخلون في دين الله أفواجا وعلم المسلمون بعد ذلك
ان صدهم عن البيت ورجوعهم كان في الظاهر هضما وفي الباطن عزا لهم
وقوة فأذل الله المشركين من حيث ارادوا العزة وقهروا من حيث ارادوا
الغلبة •

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » •

كمال شجاعته صلى الله عليه وآله وسلم

الشجاعة : فضيلة من اسى الفضائل ، وان شئت فقل انها حارسه الفضائل والذائدة عنها كل ما يريد ان يسها ، ولقد اختص ربنا سبحانه وتعالى انبياءه عليهم الصلاة والسلام بالحظ الاوفر من هذه الشجاعة كما اختصهم من جميع الاخلاق الفاضلة بأعظم نصيب .

وانما اختصهم بذلك القدر الذى لا يسامى من الشجاعة جريا على عادته الحكيمة انه اذا اراد ان يقيم مخلوقا في عمل هياه وأعدده لهذا العمل وآتاه من القوة ما به يستطيع ان يقوم به وعمل الانبياء الذى اقامهم تعالى فيه هو دعوة الخلق الى الحق وهذه الدعوة لا تكون الا بسواجهة النبي امته بما جاء به وطلبه منهم ان يخضعوا له وينبذوا ما هم عليه نبذا لا رجوع معه اليه أبدا .

ومن أحب ان يعرف مقدار شجاعة الانبياء فليقرأ ما جاء في القرآن الكريم متعلقا بذلك فهذا سيدنا هود صلى الله عليه وسلم - يحكى عنه رب العزة قوله لقومه « انى أشهد الله واشهدوا انى برىء مما تشركون » .
دونه فكيدونى جسيعا ثم لا تنظرون » .

وهذا سيدنا موسى لما قال له قومه « انا لمدركون » يقول في شجاعة « كلا ان معى ربى سيهدين » .

فالانبياء أشجع الناس وهو صلى الله عليه واله وسلم من الانبياء فهو
اذا مثلهم أشجع الناس بل هو أشجع الانبياء لانه أرسل الى الناس كافة ،
وقد كان الانبياء قبله يرسلون الى اقوامهم خاصة •

والحكمة الالهية تأبى ان تسوى في الشجاعة من يقف امام طائفة من
الناس بمن يقف امام كل الناس •

وقد كان عليه الصلاة والسلام من الشجاعة والاقدام والثبات امام
الاهوال في أشدها بالمكانة العليا التي لا يدانيه فيها أحد ولا يعلم مقدار
سوها الا من وهبها جلت كلته ولهذا حضر النبي صلى الله عليه وسلم
- ما حضر من الغزوات في كل حياته الجهادية وما حفظ عنه مرة انه هم
بالتأخر عن مقامه قدما أو أصبعا الامر الذي جعله بين اصحابه ملء العيون
والصدور قائدا مطاعا يتدر الصغير منهم والكبير اشارته لا لانه رسول الله
فقط بل ولما كانوا يرون منه من الشجاعة التي كانوا يرون انفسهم بالنسبة
لها عدما صرفا وفيهم الابطال الذين كانت تضرب بشجاعتهم الامثال وها هو
ذا سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يعترف بهذه الحقيقة في صراحة
تامة اذ يقول : انا كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله
صلى الله عليه واله وسلم - وهو أقربنا الى العدو ، رواه احمد والطبراني
والنسائي •

فسن ذلك ما يحكيه سيدنا جابر رضي الله عنه اذ يقول : كنا مع النبي
صلى الله عليه واله وسلم بذات الرقاع فلما أتينا على شجرة ظليلة تركناها
للنبي صلى الله عليه واله وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف النبي صلى الله

عليه واله وسلم معلق بالشجرة فاخرطه فقال له : تخافني ، فقال له : لا ،
قال : من يمنعك مني ، قال : الله ، رواه البخاري ومسلم •

ومن ذلك ما كان منه صلى الله عليه واله وسلم مع أبي بن خلف في
غزوة أحد اذ شد ذلك اللعين وهو على فرسه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم :
هكذا أي خلوا طريقه ، وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها
انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله
النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأداً منها عن فرسه مرارا
فرجع الى قومه يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما
بى بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال اقتلك ، والله لو بصق علي لقتلني .
رواه عبدالرزاق وابن سعد والبيهقي •

ومن ذلك ما رواه الشيخان عن سيدنا أنس رضي الله عنه انه قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس وأشجع
الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم راجعا على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه
وهو يقول لم تراعوا •

ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم المشهورة الضخمة ، وكل مواقفه
صلى الله عليه وسلم - ضخمة - موقفه يوم حنين ، روى البخاري ومسلم
وحكى القرآن ان اصحابه رضي الله عنهم الا القليل منهم ولوا عنه يومئذ

مدبرين رضي الله عنهم واتفقا (١) على انه صلى الله عليه وسلم كان راكبا بغلة،
ولفظ مسلم من رواية العباس رضي الله عنه ، فلما التقى المسلمون والكفار
ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته
قبل الكفار ، قال العباس وانا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكفها ان لا تسرع .

واتفقا على انه صلى الله عليه وسلم رمى وجوه الكفار بكف من تراب ،
ولفظ مسلم عن سيدنا سلمة بن الاكوع رضي الله عنه انه صلى الله عليه
وسلم نزل عن بغلته وقبض قبضة من تراب فقال شأهت الوجوه ورمى بتلك
القبضة وجوههم فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة
فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل .

وفي رواية اخرى لمسلم عن سيدنا العباس فوالله ما هو الا ان رماهم
بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلًا وامرهم مدبرا ، وفي رواية اخرى لمسلم
انه قال عند رمى تلك الحصيات انهزموا ورب الكعبة انهزموا ورب الكعبة .
واتفقا على انه كان يقول في ذلك الوقت الحرج :

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

واتفقا على ان اعداءهم كانوا رماة واتفقا وحكى القرآن ان العاقبة
كانت للمؤمنين ، واتفقا على ان ذلك كان بعد ان عاد اصحابه اليه صلى الله
عليه وسلم بندا عمه العباس بأمره صلى الله عليه وسلم .

(١) أي البخارى ومسلم .

(١) أي البخارى ومسلم .

كمال قيادته الحربية

والناظر في سيرته صلى الله عليه وسلم في غزواته ومعاملاته لاعدائه يرى مواقف كثيرة تدل على عظيم قيادته وكمال معرفته وخبرته بأساليب الحروب وحسن تعرفه وادارته للجيوش مع انه لم يتعلم الفنون الحربية ولا الهندسة العسكرية في مدرسة أو كلية وتتجلى تلك الصور في المعارك الحربية التي خاضها وفي الخطط الدفاعية التي رسمها والنظم الحربية التي سنها لقد اتصر على قلة جيشه في مواقع كثيرة ودخل مكة مصدر الهجوم ومنبع المؤامرات فاتحا وقضى على اليهود وتبعهم حتى قضى على نفوذهم بعدما غدروا كثيرا بمعاهداته ولم يكفوا عن المؤامرات والمكايد ولم تكن سياسته سياسة اعتداء وقهر وظلم وانما كانت سياسة دفاع ومقاومة وعدل .

وبذلك جمع الله له بين كمال الاخلاق وحسن السياسة وتصريف الامور

ووضعها في مواضعها .

ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم الجليلة التي تدل على براعته العسكرية وقيادته الحربية ورعايته بنفسه تنظيم الصفوف واستعراض الجنود فقد كان يوم بدر يعدل صفوف اصحابه بنفسه وفي يده قدح يعدل به القوم فكان يقول لهذا تقدم ويشير للآخر تأخر وحدث انه كان اثناء ترتيبه وتعديله مر بسواد بن غزيه وهو خارج عن الصف فطعن في بطنه بالقدح وقال استو

يا سواد فقال يا رسول الله اوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني (١)
 قال فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد قال
 فاعتنقه فقبل بطنه فقال ما حملك على هذا يا سواد قال يا رسول الله حضر
 ما ترى فاردت ان يكون آخر العهد بك ان يس جلدى جلدك فدعا له بخير .
 وفي يوم احد استعرض الجيش فقبل اقواما ورد آخرين فقد عرض عليه
 اسامة بن زيد وعبدالله بن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري وغيرهم
 فردهم كلهم .

وفي يوم أحد كان ينظم صفوف اصحابه ويرتب اجنحتهم ويضع الحامية
 اللازمة في مؤخرة المسلمين ويأمر الرماة الا يغادروا مكانهم مهما وجدوا من
 أمر اخوانهم المقاتلين حتى يتلقوا الاوامر منه صلى الله عليه وسلم فكان في
 مقدمة المخططين لفنون القتال وطرائقه آخذا بالاسباب التي تساعد على خذلان
 الاعداء وهزيمتهم بايقاع الفتنة بينهم وتشتيت شملهم وكسر ظهرهم والتضييق
 عليهم ومن ذلك موافقته صلى الله عليه وسلم على ما أشار به الحباب بن
 المنذر وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء بدر نزل عند أقرب ماء
 هنأ فقال الحباب يا رسول الله أرأيت هذا المنزل ، أمزلا انزلكه الله ليس
 لنا ان نتقدمه او تتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال بل هو
 الرأى والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله ، فان هذا ليس بمنزل فانهض
 بالناس حتى تأتي ادنى ماء من القوم فنزله ثم نغوره ما وراءه من القلب ، ثم
 نبني عليه حوضا فتملؤه ماء فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله

(١) أي طلب القود وهو القصاص .

عليه وسلم لقد أشرت بالرأي فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ، ثم امر بالقلب فغورت وبني حوضا على القلب الذي نزل عليه ، فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية •

ومن مواقفه القيادية المشهورة في هذا الميدان إرساله من يخذل بين صفوف أعدائه مخادعة لهم ، كما حصل في يوم الأحزاب حين اتاه نعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله تعالى عنه فقال : انى اسلمت وان قومي لم يعلسوا باسلامي ، فرنى بما شئت ، فقال صلى الله عليه وسلم : انما انت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فاذهب فشتت جموع العدو والى بينهم بدهائك •

فخرج حتى أتى بنى قريظة وهم طائفة من اليهود وكان لهم نديسا فقال : قد عرفتم ودى اياكم ، وخاصة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : ان قريشا وغطفان وقد جاؤوا من مكة ، وتجمعوا على جانب المدينة المنورة ، لمحاربة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وتحالفت معهم بنو قريظة من اليهود المقيمين في المدينة على ذلك ، ليسوا كأنتم - أي مثلكم - البلد بلدكم به اموالكم وابناؤكم ونساءؤكم لا تقدرتون ان تحولوا منه الى غيره بغيره - أي بغير بلدكم فان رأوا نهزة اصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، واخلوا بينكم وبينه - أي محمد واصحابه - ببلدكم ، ولا طاقة لكم به ان خلابكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محسدا

حتى تناجزوه ، فقالوا لنعيم : لقد أشرت بالرأى ، ثم أتى نعيم بن مسعود
 قريشا ، فقال لابی سفيان ومن معه ، قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا ،
 وانه قد بلغنى امر رأيت حقا علي ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه عنى ،
 قالوا : نفعل ، فقال نعيم ان يهود ندموا على ما صنعوا ، وارسلوا الى محمد
 انا قد ندمنا على ما فعلنا ، أيرضيك ان نأخذ من اشراف قريش وغطفان رجالا
 نضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل
 اليهم محمد ، نعم ، قال نعيم ، فان بعث اليكم يهود يلتسون منكم رهنا
 فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا •

ثم ان نعيما اتى غطفان فقال : انكم أهلي وعشيرتى وأحب الناس الي
 ولا اراكم تتهسونى - أي بل أنا مصدق عندكم - فقالوا : صدقت وما أنت
 عندنا بستهم ، قال نعيم ، فاكتموا عنى ، قالوا : نفعل ، فقال لهم مثل ما قال
 لقريش •

وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أبا سفيان ورؤوس
 غطفان أرسلوا الى يهود من بنى قريظة عكرمة في نفر من القبيلتين ، انا لسنا
 بدار مقام ، وقد هلك الخف والحافر - اى الابل والخيول - فاغدوا للقتال ،
 حتى تناجز محمدا وتفرغ مسا بيننا وبينه فأرسلوا - أي يهود بنى قريظة
 اليهم - الى قريش وغطفان : ان اليوم يوم السبت لا نعمل فيه شيئا وكان
 قد أحدث فيه - أي في السبت - بعضنا حدثا ، فاصابه ما لم يخف عليكم -
 أي مسخوا - ولسنا بمقاتلين معكم حتى تعطونا من رجالكم يكونون بأيدينا
 ثقة لنا حتى تناجز محمدا فانا نخشى ان اشتد عليكم القتال ، ان ترجعوا الى

بلادكم - مكة وما حولها وتتركونا والرجل - أي محمداً - ولا طاقة لنا به
فقلت قريش وغطفان : والله ان الذي حدثكم نعيم به لحق ، فأرسلوا الى
بنى قريظة ، انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ، فأبوا عليهم وخذل
الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح في ليل شديدة البرد ، فأكفأت قدورهم
وطرحت أبنيتهم وهزمهم شر هزيمة •

تعميته الامور على أعدائه بالتلبيس عليهم

فقد كان صلى الله عليه وسلم يلبس امور الحرب على أعدائه ويعميتها عنهم كيلا يتفطنوا لها ويستعدوا للدفع او يزيدوا في الجمع ، وفي ذلك حقن للدماء •

يقول كعب بن مالك لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا وري بغيرها حتى كانت تلك الغزوة أي غزوة تبوك : الحديث (١) •
وفي غزوة بدر قام بنفسه يتحسس اخبار قريش فركب هو وابوبكر رضي الله عنه حتى وقفا على شيخ من العرب فسألاه عن قريش وعن محمد واصحابه وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا اخبركما حتى تخبراني ممن اتما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : اذا خبرتنا اخبرناك فقال الشيخ اذاك بذاك ؟ قال نعم ، قال الشيخ : بلغني ان محمدا واصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فان كان صدق الذي اخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغني ان قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذي اخبرني صدق فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به قريش •
فلما فرغ من خبره قال : ممن أتما ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء ثم انصرفا عنه قال الشيخ ما « من ماء » امن العراق ؟

(١) رواه الشيخان •

ومن موافقه صلى الله عليه وسلم السياسية الحكيمة انه لما نقضت
قريش صلح الحديبية أرسلت ابا سفيان الى المدينة يسأل النبي صلى الله
عليه وسلم تجديد العهد وزيادة المدة فقال : يا محمد انى كنت غائبا في صلح
الحديبية فجئت لاجدد العهد فقال صلى الله عليه وسلم : فلذلك جئت ؟ قال :
نعم ، فقال : هل كان من حدث ؟ فقال ابو سفيان معاذ الله نحن على عهدنا
وصلحنا لا نغير ولا نبدل فقال صلى الله عليه وسلم فنحن على ذلك •

فانظر الى هذه السياسة النبوية الرشيدة لم يعاتبه صلى الله عليه وسلم
على نقض العهد ولم يتوعده بالحرب حتى لا تنهيا نفوسهم للتفكير في حرب
ولا يعدون العدة لذلك •

ولذلك فانهم ما أحسو الا والنبي صلى الله عليه وسلم قريبا من مكة

مع جيوشه •

اهتمامه بمعرفة حالة الاعداء وعددهم واستعدادهم واخبارهم قبل لقائهم

ففي غزوة بدر أيضا بعث صلى الله عليه وسلم عليا والزبير وسعد بن ابى وقاص في نفر من اصحابه الى ماء بدر يلتمسون الخبر له فوجدوا سقاة لقريش فأتوا بأثنين منهم فأخذ صلى الله عليه وسلم يسألهما بنفسه فقال لهما : أخبرانى عن قريش قالوا : هم والله وراء هذا الكئيب الذى ترى بالعدوة القصوى ، قال : كم هم ؟ قال : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قالوا : لا ندرى قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا : يوما تسعا ويوما عشرا ، فقال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين تسعمائة والالف ، ثم قال لهما فمن فيهم من أشرف قريش ؟ قالوا : عقبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وابو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد وابو جهل وامية بن خلف والنضر بن الحارث حتى عد جماعة من كبرائهم ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت اليكم افلاذ كبدها .

وفي غزوة حنين وقبل ان تدور المعركة وجه صلى الله عليه وسلم عبدالله بن ابى حرد الاسلمى وأمره ان يدخل معهم ويقيم حتى يعلم خبرهم ويأتيه به فانطلق فدخل عسكرهم فطاف بهم وجاء بخبرهم ومما سمعه من مالك انه يقول لاصحابه : ان محمدا لم يقاتل قوما قط قبل هذه المرة وانما كان يلقي قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم ، فاذا كان السحر فصنفوا

مواشيكم ونسائكم وابناءكم من ورائكم ، ثم صفوا ، ثم تكون الحسلة منكم
واكسروا جفون سيوفكم فتلقونه بعشرين الف سيف مكسورة الحفون
واحملوا حملة رجل واحد ، واعلموا ان الغلبة لمن حمل اولا ، فأقبل عبدالله
حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره الخبر .

وفي يوم الاحزاب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة
ليكتشف خبر الاعداء ، وقد تحدث حذيفة بنفسه عن تلك المهمة الخطيرة التي
قام بها ، فقال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، فقال صلى
الله عليه وسلم من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ؟ يشرط له
رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة اسأل الله تعالى ان يكون رفيقي
في الجنة ؟ فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد
فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من
القيام حين دعاني فقال : يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون
ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا ، قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود
الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء ، فقام ابو سفيان
فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ من جلسه ، قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل
الذي كان الى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان ، ثم قال
ابو سفيان : يا معشر قريش ، انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ولقد هلك
الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة
الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستسك لنا بناء ،
فارتحلوا فاني مرتحل ، ثم قام الى جملة وهو معقول فجلس عليه ، ثم

ضربه فوثب به على ثلاث فوالله ما أطلق عقاله الا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى (١) ان لا تحدث شيئاً حتى تأتيني لقتلته
بسهم •

قال حذيفة : فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم
يصلى فأخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى
بلادهم •

الى رجليه وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجد وانى لفيه ، فلما سلم
اخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم •
وهذه القصة التي ذهب لكشفها سيدنا حذيفة بن اليمان غير قصة
سيدنا الزبير فانها كانت لكشف خبر بنى قريظة هل نقضوا العهد بينهم وبين
المسلمين ووافقوا قريشا على محاربة المسلمين ؟ فروى البخارى وغيره عن
جابر انه عليه الصلاة والسلام قال يوم الاحزاب : من يأتيني بخبر القوم ؟
يعنى بنى قريظة كما بينه الواقدي ، فقال الزبير : انا ثم قال من يأتيني بخبر
القوم ؟ فقال الزبير : انا ، ثم قال : من يأتيني بخبر القوم ؟ فقال الزبير :
انا ، ثم قال : ان لكل نبي حواريا وان حوارى الزبير •

(١) الى بتشديد الياء •

سليم ، قال : ما لى ولسليم ثم تمر به القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟
فأقول : مزينة ، فيقول ما لى ولمزينة حتى تفدت القبائل ما تمر به قبيلة الا
سألنى عنها فاذًا أخبرته بهم قال : ما لى ولبنى فلان حتى مر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم في كتيبه الخضراء فيها المهاجرون والانصار لا يرى
منهم الا الحدق من الحديد وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره
فيها قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال : قلت هذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار ، قال : ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة •
ومن ذلك ما فعله صلى الله عليه وسلم مع بنى النضير لما تحصنوا في
حصونهم فحاصرهم صلى الله عليه وسلم وامر بقطع نخيلهم واتلافها بالاحراق
بالنار والذي أتلفه صلى الله عليه وسلم انما هو البعض وترك الباقي وقد
نزل القرآن مصوبا ما أقدم عليه صلى الله عليه وسلم من ذلك قطعا وابقاء
وذلك في قوله تعالى : « ما قطعتم من لينة او تركتوها قائمة على اصولها
فبازن الله » •

ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك

كمال خلقه في سياسة وتربية الامة
وكريم معاشرته لهم عامة ولاهله وأصحابه خاصة

أكمل حديث في الشمائل

من أكمل ما جاء في وصفه حديث الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إذ تحدث فيه عن جملة من أحواله ، وفيما يتعلق بمعاملة الخلق ومعاشرتهم يقول علي رضي الله عنه في الحديث المشهور في الشمائل :

وكان من سيرته في جزء الأمة إثارة أهل الفضل بأذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين : فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة (١) من مسألتهم عنه وأخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول : ليلغ الشاهد منكم الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها فانه من أبلغ سلطانا حاجة من إبلاغها ، ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من أحد غيره يدخلون رواد (٢) ولا يفترقون الا عن ذواق ويخرجون أدلة - يعني على الخير .

قال الحسين رضي الله عنه : فسألت أبي - عليا رضي الله تعالى عنه مخرجه كيف كان يصنع فيه ؟ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) يتشغل بهم - أي يكون مشغولا بإجابة طلباتهم وأسئلتهم وقضاء حاجاتهم يشغلهم أي يشغلهم فيما يصلحهم وينفعهم .

والمقصود انه ما كان صلى الله عليه وسلم يترك جزءا من الزمن فارغا عما ينفع الأمة ويصلح أمرها ، وما كان يترك أصحابه في فراغ من الوقت وبطالة من العمل بل كان صلى الله عليه وسلم يشغلهم بما يصلحهم وينفعهم ويصلح الأمة وينفعها .

(٢) الرواد : بضم فتشديد جمع رائد وهو الطالب والمراد ان الناس يدخلون عليه صلى الله عليه وسلم طالبين نفعهم في دينهم ودنياهم فلا يخرجون من عنده صلى الله عليه وسلم الا وهم مكرمون ظفرون .

يخزن لسانه الا فيما يعنيه (١) ويؤلفهم ولا ينفرهم (٢) ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم (٣) ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى عن أحد منهم بشره وخلقه (٤) ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس (٥) ويحسن الحسن يقويه ويقبح القبيح ويوهيه معتدل الامر غير مختلف (٦) لا يفعل مخافة ان يغفلوا أو يسيلوا لكل حال عنده عتاد (٧) لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه .

الذين يلونه من الناس خيارهم أفضلهم عنده اعمهم نصيحة وأعظمهم عند منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة (٨) .
 وقال الحسين : فسألته - أي عليا رضي الله عنه - عن مجلسه صلى الله عليه وسلم كيف كان ؟ فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا

- (١) أي فلا يتكلم صلى الله عليه وسلم الا فيما يعنيه .
 (٢) أي يؤلف الناس بكرم معاشرته وحسن مقابلته ولا ينفرهم عنه بفظظة او فظاظه او كلمات مؤذية .
 (٣) أي انه يكرم كريم القوم بما يناسبه من التكريم والحفاوة ويجعله واليا عليهم واميرا مدبرا لامورهم ، وهذا من تمام حسن نظره صلى الله عليه وسلم وحكمة تدبيره وتنظيمه واعطائه المراتب حقها .
 (٤) أي يحذر الناس الذين هم حديثو عهد بالاسلام ولم يخبرهم ولم يجربهم في مهام الامور ويحترس منهم ولكنه لا يطوى عنهم بشره وحسن مقابلته وطلاقة وجهه صلى الله عليه وسلم
 (٥) أي انه صلى الله عليه وسلم كان يتفقد اصحابه خاصة كما وانه يبحث عن احوال الامة عامة فيسأل الناس الذين عندهم معرفة باحوال الناس عما في الناس من الاحوال السارة او المكروهة وعما في الناس من سعة وضيق وشدة ورخاء وفرح وترح فيفرح لفرحهم ويسر لما يسرهم ويحزن لما يحزنهم ويسعى في رفع الكاره والمساوى عنهم .
 (٦) أي أن جميع افعاله صلى الله عليه وسلم واقواله على غاية من الاعتدال .
 (٧) أي لكل حال من الاحوال عنده عدة أعدها لتلك الحالة وهيا لكل امر من الامور ما
 (٨) أي المقربون عنده صلى الله عليه وسلم من الناس خيار الناس وأفضلهم عنده اعمهم نصيحة واكثرهم خيرا ونفعا للامة في دينها ودنياها واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة

يجلس ولا يقوم الا على ذكر الله تعالى ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها .
واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك .

يعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جلسائه ان أحدا اكرم عليه عنه ،
من جالسه او فاضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف (١) .

ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول ، قد وسع الناس
منه بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء . مجلسه مجلس
علم وحياء وصبر وأمانة . لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم (٢) ولا
تثنى فلتاته (٣) متعادلين بل كانوا يتفاضلون فيه بالتقوى متواضعين . يوقرون
فيه الكبير . ويرحمون فيه الصغير . ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب .
وقال الحسين : سألت أبا - عليا رضي الله عنه - عن سيرة النبي

صلى الله عليه وسلم في جلسائه ؟ فقال ؟ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دائم البشر سهل الخلق لين الجانب (٤) ليس بفظ (٥) ولا غليظ (٦) ولا

-
- (١) صابره اي غلب جلسائه ومفاوضه في الصبر على المجالسة مهما طالت المكالة ولا يعاجله
صلى الله عليه وسلم بالقيام عن المجلس او بقطع كلامه ولا يظهر له اللال والسامة .
(٢) الابن : بفتح الهمزة هو العيب . والحرم : جمع حرمة وهي ما يحترم ولا يحل انتهاكه
- والمعنى - ان مجلسه صلى الله عليه وسلم لا تعاب فيه حرم الناس ولا تنتهك بقذف
او غيبة ونحوهما بل مجلسه صلى الله عليه وسلم مصون عن كل قول قبيح وعن كل
فعل سييء .
(٣) الفلتات : جمع فلتة ، وهي ما يبدر من الرجل من سقطة او هفوة ، والمعنى انه لا
فلتات في مجلسه صلى الله عليه وسلم اصلا فلا يصدر من جلسائه صلى الله عليه وسلم
زلات في مجلسه حتى تزداع بل المجلس حصين بالادب والكمال .
(٤) اي كثير اللطف سريع العطف .
(٥) اي ليس هو صلى الله عليه وسلم بسييء الخلق .
(٦) اي ليس بالجافي الطبع الشديد القاسي .

صحاب (١) ولا فحاش (٢) ولا عياب (٣) ولا مشاح (٤) وفي نسخة صحيحة
ولا مداح (٥) ولا مزاح ، يتغافل عما لا يشتهى (٦) ولا يؤيس منه راجيه (٧)
ولا يخيب فيه ، قد ترك نفسه من ثلاث : المرء والاكثر وما لا يعنيه وترك
الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا
فيما رجا ثوابه واذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير فاذا سكت
تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ومن تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ
حديثهم عنده حديث اولهم (٨) يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون
منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقته وسألته حتى ان كان أصحابه
ليستجلبونهم (٩) ويقول : اذا رأيتم طالب حاجة فارفدوه (١٠) ولا يقبل الثناء
الا من مكافئ (١١) ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي او قيام .
ومن كمال ادبه صلى الله عليه وسلم في معاملة الخلق تغافله عن سفه
المبطلين وقبوله ظواهر أقوالهم وان كانت تنم عن قبح نواياهم وسوء
مقاصدهم .

- (١) أي لا يرفع صوته بالصياح .
- (٢) أي لا يتكلم بكلام قبيح .
- (٣) أي لا يعيب انسانا ولا حيوانا ولا طعاما .
- (٤) المشاحة هي التضايقة في الاشياء .
- (٥) أي ليس مبالغا في مدح شيء من مباحات الدنيا .
- (٦) يتغافل أي يظهر الغفلة والاعراض عما لا يستحسنه من الاقوال والافعال التي تصدر من بعض الجلساء تظفا ورفقا بالجلساء .
- (٧) أي من رجاه في أمر لم يقطع رجاؤه ولم يجعله آيسا .
- (٨) أي ان الذي يتقدم في الكلام اولا من أهل المجلس هو اولهم مجينا .
- (٩) أي انه كان الصحابة ليستجلبون الغرباء ويرغبون في حضورهم مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ليستفيدوا بسبب أسئلتهم .
- (١٠) أي فاعينوا صاحب الحاجة على حاجته حتى يصل اليها .
- (١١) أي مقارب في مدحه غير مفرط ولا مفرط .

ومن ذلك ان جماعة من اليهود استأذنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليكم ، فقالت عائشة بل عليكم السام واللعنة ، فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله ، قالت ألم تسمع ما قالوا : قال قد قلت : وعليكم ، رواه مسلم في صحيحه (١) .

فهو صلى الله عليه وسلم يعلم انهم يقصدون معنى آخر غير السلام وهو « السام » أي الموت او السلام بكسر السين وهي الحجارة ولكنه أجرى ذلك على ظاهره منهم مع حفظ كرامة المسلمين بقوله في الجواب « وعليكم » .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٦/١٤ .

كریم عشرته مع الاهل وذوی القربى

كان صلى الله عليه وسلم كريمة العشرة مع زوجاته وسائر أهله يلاطفهن ويمازهن ويعاملهن بالود والاحسان وقد حث على ذلك بقوله خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلى (١) وقوله ان من اكمل المؤمنين ايسانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله (٢) .

وسئلت السيدة عائشة كيف كان صلى الله عليه وسلم اذا خلا في بيته فقالت كان ألين الناس بساما ضحاكا (٣) .

ومن كريمة معاشرته لاهله ما جاء في الصحيح عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت كنت ألعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان صواحبى يلعبن معى فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل ينقسمن منه أى تعيين ودخلن في بيت او من وراء ستر فيسر بهن - أى فيرسلهن واحدة واحدة الي فيلعبن معى قال في المشارق البنات هى اللعب والصور التى يلعب بها الصبيان قلت وهى التى تسمى اليوم بعرائس الاطفال .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح استدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات من اللعب لاجل لعب البنات بهن ، وخص ذلك من عسوم النهى عن اتخاذ الصور وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور وانهم اجازوا بيع اللعب للبنات

(١) (٢) رواهما الترمذى .

(٣) رواه ابن سعد .

لتدريهن في صفرهن على أمر بيوتهن وأولادهن ، وذهب بعضهم الى انه
منسوخ •

وروى احمد عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهي
تلعب بالبنات ومعها جواد فقال ما هذا يا عائشة قالت : هذا خيل سليمان ،
قالت : فجعل يضحك من قولها ، قال الامام احمد غريب •

وفي الصحيح انها كانت في متاع عائشة لما تزوجها صلى الله عليه وسلم
قال ابن حزم كما نقله السفاريني وجائز للصبيان خاصة اللعب بالصور ولا
يجوز لغيرهم والصور محرمة الا هذه والا ما كان رقما في ثوب (١) •

ومن كريم عشرته صلى الله عليه وسلم مع أهله ما جاء عن السائب بن
يزيد ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عائشة
تعرفين هذه ، قالت : لا يا نبي الله ، قال : هذه قينة بنى فلان تحبين ان تغنيك
فغنتها (٢) •

فانظر الى هذه المعاملة النبوية الكريمة فانه صلى الله عليه وسلم
يستدعى من عائشة ان تغنيها ولم تسأله هي ذلك وانما ابتدأها به •
ومن كريم عشرته صلى الله عليه وسلم مع أهله انه كان يسابق زوجته
عائشة وقد سبقها مرة فسبقته هي حتى اذا ما مضت فترة قال لها تعالي
اسابقك تقول السيدة عائشة وكنت بدنت وسمنت فسبقني وجعل يضحك
صلى الله عليه وسلم ويقول هذه بتلك •

(١) انظر شرح منظومة الادب للسفاريني •

(٢) رواه احمد وابو داود •

وكان صلى الله عليه وسلم في مهنة أهله (١) أي يعاونهم في أمورهم

• البيتية •

وكان يستمع الى حديث زوجاته بالملح والفكاهات تأنيسا لهن وملاطفة
فقد جلس يوما يستمع لقصة احدى عشرة امرأة تعاهدن وتعاقدن ان لا يكتسبن
من اخبار أزواجهن شيئا فأخذت كل واحدة تصف احوال زوجها من خير
وشر وكانت التي تحكيها له زوجه السيدة عائشة رضي الله عنها وهو يستمع
باهتمام وعناية (٢) •

ولا يخفى اكرامه صلى الله عليه وسلم لمرضعته حليلة السعدية واخته
بالرضاع الشيماء وبسببهما اكرم بنى سعد كلهم فكانت ابرك امرأة على قومه •

(١) رواه البخارى •
(٢) القصة رواها الشيخان •

كريم عشرته مع الناس في الحديث

كان صلى الله عليه وسلم يصفى كل الاصفاء الى من يحدثه او يسأله
ويقبل عليه ويلطفه •

يقول أنس ما رأيت رجلا اتقم اذن النبي صلى الله عليه وسلم - يعنى
يكلسه سرا - فينحى رأسه عنه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى (١) •
ويقول عمر بن العاص كان صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه
على شر القوم يتألفه بذلك (٢) •
« في المقابلة »

وكان اذا قابل أحدا وصافحه لا ينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى
يرسله (٣) وكان اطلق الناس وجها وأكثرهم تبسما واذا أقبل عليه قادم رحب
به ، وقد قال لعمار لما قدم عليه مرحبا بالطيب المطيب (٤) واذا سلم عليه
مسلم رد التحية بأحسن منها واذا قدم عليه قادم رحب به أجمل ترحيب واذا
جلس اليه أصحابه يسألهم عن احوالهم بقوله كيف انت ؟ كيف اصبحت فاذا
قال بخير احمد الله قال له صلى الله عليه وسلم جعلك الله بخير واذا دخل
عليه كريمة قوم أو عزيز اكرمه وبسط له رداءه وكساءه وقد جاءه

(١) رواه ابو داود .

(٢) رواه الطبرانى واسناده حسن كذا في المجمع .

(٣) رواه البزار والطبرانى كما في المجمع .

(٤) رواه الترمذى .

يوما جرير البجلي وكان المجلس غاصا بأهله من اصحابه فلم يجد مكانا فقعد على الباب ، فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه والقاء اليه فأخذه جرير فألقاه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ورمى به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني ، فنظر صلى

الله عليه وسلم يسينا وشمالا وقال اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه (١) .

• وكان يقدم كبير القوم في الكلام والسؤال ويقول كبر كبر (٢) .

وكان صلى الله عليه وسلم يبسط لجلسائه بساط الانطلاق الشرعى

المباح القال والحال دون أن يقبضهم بحاله او يكتبهم بقاله فاذا تحدثوا بأمر شاركهم ما لم يكن اثما يقول خارجة بن زيد كنا اذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا واذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا (٣) .

ويقول جابر بن سرة وكانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون

ويبتسم صلى الله عليه وسلم (٤) .

وكان صلى الله عليه وسلم يمزح مع اصحابه لادخال السرور عليهم ،

ومن ذلك انه جاءه رجل يستحمله - أي يطلب منه دابة - فقال له صلى الله

عليه وسلم انى حائك على ولد الناقة ، فقال يا رسول الله ما اصنع بولد

الناقة ، فقال صلى الله عليه وسلم وهل يلد الابل الا النوق (٥) .

(١) رواه العسكرى بسند ضعيف كذا في المقاصد .

(٢) رواه البخارى .

(٣) قال شيخنا عبدالله سراج الدين في كتابه عن الشمائل المحمدية رواه الترمذى والطبرانى

بسند حسن .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه الترمذى وابو داود واحمد .

وكان صلى الله عليه وسلم يمزح مع رجل من البادية اسمه زاهر
ويقول ان زاهرا باديتنا ونحن حاضروه (١) •

وروى ابن بكار عن زيد بن أسلم ان امرأة يقال لها أم أيمن الحبشية
جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال من
هو؟ أهو الذي بعينه بياض؟ فقالت ما بعينه بياض، فقال: بلى بعينه
فقلت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا بعينه بياض - أي
البياض المحيط بالحدقة •

ومن ذلك ان عجوز أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
أدع الله ان يدخلني الجنة فقال ليا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز، قال
فذهبت وهي تبكي فقال صلى الله عليه وسلم اخبروها انها لا تدخلها وهي
عجوز ان الله تعالى يقول عربا أترابا (٢) ومعنى قوله اترابا أي متساويات في
سن واحدة •

وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يتبسم في وجوه اصحابه حين يلقاهم
وفي حديثه اليهم تلتفا بهم ومؤانسة لهم •

تقول ام الدرداء كان ابو الدرداء اذا حدث حديثا تبسم فقلت لا يقول
الناس انك أحمق - أي بسبب تبسمك في كلامك فقال ابو الدرداء، ما
رأيت او سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا الا تبسم

(١) رواه الترمذى •

(٢) رواه الترمذى •

فكان ابو الدرداء اذا حدث حديثا تبسم اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

وكان عبدالله الملقب بين الصحابة بحمار كان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم العكة من السمن او العسل ثم يجيء بصاحبها فيقول اعطه الثمن قال شيخنا الكتاني في التراتيب ترجم له في الاصابة وترجم لسوييط بن حرملة العبدري وذكر قضايا من أفعاله فذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم ضحك هو واصحابه منها حولا كاملا .
ومن كريم عشرته لاصحابه ما جاء في الحديث ان الحبشة جاؤوا بجرابهم يلعبون في المسجد فكان المصطفى صلى الله عليه وسلم يريهم لعائشة وهي متكئة على منكبه (١) ، وفي رواية كانت الحبشة يرقصون ويقولون محمد عبد صالح (٢) .

قلت وقد ثبت ان بعض كبار الصحابة حجل بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو ينظر : والحجل : هو رقص على هيئة مخصوصة .
روى ابن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجعفر اشبهت خلقي وخلقى فقام جعفر فحجل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي دار .
وفي رواية انه قال لعلى انت منى وانا منك ، وقال لزيد : انت اخونا ومولانا فقام الثلاثة كلهم فحجلوا حوله وبين يديه (٣) .

(١) التراتيب الادارية ٢٩/١ .

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه أحمد والمسند انظر الفتح .

(٣) انظر تخريج احاديث احياء للعراقي ٢/١٤٩ .

وفي رواية عند ابي داود فقام جعفر فحجل وقام زيد فحجل ، قال
العراقي وسنده حسن ، قال الحافظ السيوطي وذلك من لذة الخطاب ولم
ينكر عليه صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد أخرج البيهقي عن المطلب بن عبدالله ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الهوا والعبوا فاني اكره ان أرى في دينكم غلظة .

واخرج الحاكم عن عائشة رفعتة هل كان معكم من لهوفان الانصار
يحبون الله وفي هذا دليل لطلب ترويح النفس اذا سئمت وجلاها اذا صدأت
باللهو واللعب المباح ت ١٥٧ / ٢ ، وقد كان اكثر ضحكه صلى الله عليه وسلم
هو التبسم .

وكان صلى الله عليه وسلم يلاطف الصبيان ويسلم عليهم ويمسح
رؤوسهم (١) وكان احيانا يصف (٢) عبدالله وعبيدالله وكثير بنى العباس ثم
يقول من سبق الي فلہ كذا وكذا، قال فيسبقون اليه فيقعون على ظهره وصدرة
صلى الله عليه وسلم فليتمهم ويقبلهم (٣) .

وكان اذا رجع من سفر تلقاه الصبيان من أهل بيته فرحا به لما يعلمون
من لطفه وشفقته ، فكان يحمل هذا على يديه وهذا يردفه خلفه صلى الله
عليه وسلم .

(١) قال شيخنا عبدالله سراج الدين رواه ابن حبان في زوالده .

(٢) أي يجعلهم في صف واحد .

(٣) رواه أحمد في المسند باسناد حسن .

وكان صلى الله عليه وسلم اشد الناس وقارا وأعظمهم ادبا وارفعهم
فخامة وكرامة يقول خارجة بن زيد كان صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في
مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه (١) ومعنى انه ما كان يخرج شيئا من
اطرافه - أي من بزاق فمه او مخاط انفه او قطع ظفره .

في المعاملة

كان صلى الله عليه وسلم يكافىء الاكرام بافضل اكرام وقد قام بنفسه
يخدم وفد النجاشي لما جاءوه فقال له اصحابه نحن نكفيك - أي نكفيك القيام
بضيافتهم واكرامهم - فقال صلى الله عليه وسلم انهم كانوا لاصحابنا مكرمين
وانا أحب ان اكافئهم (٢) .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يضيع الاحسان ولا ينكر الجميل والمعروف
لانسان عمل معه معروفا او صنع معه جميلا يذكره له ويقابله بما هو أحسن
وأكرم وأجمل وقد أكرم قبيلة هوازن وعفا عنهم لاكرامهم له بالرضاع واكرم
اخته الشيماء بنت حليمة لما وفدت لانها اكرمتها بحضانتها له .

وكان يكرم اصدقاء واقارب زوجته السيدة خديجة لمعروفها واحسانها
الذي لا ينساه بل كان يشكر على أقل من ذلك فقد رأى ابو أيوب على
لحيته صلى الله عليه وسلم ريشة فابتدر فأخذها فقال له صلى الله عليه
وسلم نزع الله عنك ما تكره (١) ورأى عمرو بن الخطب الانصاري شعرة في

(١) رواه ابو داود في المراسيل .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل .

(١) رواه الطبراني كذا في الجمع وفيه انه كان يطوف بين الصفا والمروة .

القدح - أي قدح الماء - الذي سيشربه صلى الله عليه وسلم فابتدر فأخذها وأزالها من القدح فقال له : اللهم جملة ، قال الراوى فرأيت عمرا وهو ابن تسعين سنة وليس في لحيته شعرة بيضاء (١) .

وفي يوم بدر نهى صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البختري بن هشام ، وهذا في مقابلة اكرامه للمسلمين بمكة ، وذبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم ايذائه له ، بل كان يبعث لبني هاشم لما كانوا في الشعب بالاطعمة الكثيرة ، ولما لامه أبو جهل قال أبو سفيان : دعوه كريم وصل رحمه ، وقد سعى في نقض الصحيفة التي كتبها قريش في منابذته صلى الله عليه وسلم . وكان صلى الله عليه وسلم يتفقد اصحابه وقد مر في وصفه قول هند بن ابى هالة ، وكان صلى الله عليه وسلم يتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس ، والمعنى انه كان يسأل عنهم حال غيبتهم عنه .

ويقول أنس كان صلى الله عليه وسلم اذا فقد الرجل من اخوانه ثلاثة أيام سأل عنه فان كان غائبا دعا له وان كان شاهدا - أي حاضرا في البلد زاره وان كان مريضا عاده (٢) .

وكان صلى الله عليه وسلم يزور اصحابه ليكرمهم وليدخل السرور عليهم وكان يكثر زيارة الانصار (٣) وقد يصلى في بيت من يزوره (٤) لتنالهم بركته فيتبركون بسوضع صلاته .

(١) رواه أحمد والطبراني .

(٢) رواه ابو يعلى كذا في الجمع .

(٣) رواه أحمد ونحوه عند الترمذى وحسنه .

(٤) رواه البخارى في الادب المفرد .

• وكان يزور ضعفاء المسلمين ويعود مرضاهم ويشهد جنازتهم (٥) •
ويبشرهم بما يجبر خاطرهم وينسيهم ما هم فيه من فقر وضيق فيقول
لهم : ابشروا يا صعايك - أي فقراء - المهاجرين بالنور التام يوم القيامة
تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة •
وكان صلى الله عليه وسلم في معاشرته للناس شديد الحياء والتواضع
واسع الصدر حلما كريما عفوا رحيفا صابرا يفوق صبره صبر الصابرين
اعدل خلق الله في حقوق الله وحقوق الخلق يحفظ الود ويحسن العهد ويوفي
بالوعد وان شق ذلك عليه ويتحمل جفوة الاعرابي ويلطفه ويقابل غلظته
بلطيف المقال والحال •

وكان صلى الله عليه وسلم في طريقة معاشرته لاصحابه ومعاملته لهم
يشعرهم بتمام الثقة بأنفسهم والاعتداد بأنفسهم وذلك بشاورتهم •
ويحث على هذا المبدأ السامي بقوله : المستشار مؤتمن (١) وقوله ما
خاب من استخار ولا ندم من استشار (٢) •
ويقول ابو هريرة ما رأيت احدا أكثر مشاورة لاصحابه من النبي صلى
الله عليه وسلم •
وقد شاور صلى الله عليه وسلم اصحابه في عدة امور منها في يوم بدر
للقاء قريش •

(٥) رواه الحاكم وابو يعلى .
(١) رواه الامام أحمد واصله في السنن .
(٢) رواه الطبراني في الاوسط وله شواهد كثيرة تقوى ضعفه .

ومنها انه شاورهم في المكان الذي ينزلون فيه يوم بدر وشاورهم في
أحد هل يخرج او يقعد فأشار أكثرهم بالخروج فخرج، وشاورهم يوم الخندق
في المصالحة وقال في قصة الافك اشيروا علي ، واذا أشاروا برأي حسن أخذه
وعمل بسقتضاه وأعلن ذلك وصوبه وحسنه تكريما لصاحبه وتنشيطا لهفته
وتقديرا لموقفه في مواضع الخبرة •

جبره للخاطر

من كمال أدبه صلى الله عليه وسلم في معاملة الخلق جبره للخاطر

• وتطيبه للنفوس •

ومواقفه صلى الله عليه وسلم في ذلك مشهورة ومن مواقفه في ذلك

قوله صلى الله عليه وسلم : لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ، رواه

البخارى بسنده عن ابى هريرة في كتاب فضائل الصحابة •

والمعنى لا تتسبت الى دارهم المدينة او لتسميت باسمهم واتسبت اليهم

كما كانوا يتناسبون بالحلف لكن خصوصية الهجرة سبقت فمنعت من ذلك

وهي أعلى وأشرف فلا تتبدل بغيرها ، ومعلوم ان مراده بذلك تألفهم

واستطابة نفوسهم والثناء عليهم في دينهم وجبر خواطرهم وليس المراد

الاتتقال عن نسب آباءه لانه يمتنع قطعاً لاسيما ونسبه عليه الصلاة والسلام

• أشرف الانساب •

ومن ذلك موقفه صلى الله عليه وسلم من الانصار لما أعطى

غيرهم وتركهم فقال لهم ما جبر خواطرهم وادخل عليهم سرورا عظيماً لا يقدر

قدره •

قال : او لا ترضون ان يرجع الناس بالغنائم الى بيوتهم وترجعوا

برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيوتكم لو سلكت الانصار واديا او

شعبا لسلكت وادى الانصار او شعبهم ، رواه البخارى في المناقب •

ومن ذلك قوله لرجل من الانصار طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يستعسله فكأنه لم يتحصل على ذلك المطلوب فقال له : انكم ستلقون بعدى أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ، رواه البخارى في المناقب ، ومعنى قوله ستلقون بعدى أثره أي عدم عناية .

ومن ذلك ان النبي صلى الله عليه واله وسلم لما دخل مكة في عمرة القضاء فتبعتهم ابنة حمزة تقول يا عم يا عم فتناولها علي رضي الله عنه فأخذ بيدها فقال لفاطمة رضي الله عنها دونك ابنة عمك أحملها .

قال : فاختصم فيها علي وزيد وجعفر فقال علي : أنا أحق بها وهي ابنة عسى وقال جعفر ابنة عسى وخالتها تحتى ، وقال زيد ابنة اخى فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال : الخالة بمنزلة الام ، وقال لعلى : انت منى وانا منك ، وقال لجعفر : أشبهت خلقى وخلقى ، وقال لزيد : انت اخونا ومولانا ، رواه البخارى في كتاب الصلح ، فحكم لجعفر وأرضى الرجلين .

وجاء في رواية اخرى ما يفيد ان للحديث سببا آخر وهو ما رواه اسامة بن زيد عن أبيه قال : اجتمع علي وجعفر وزيد بن حارثة فقال جعفر أنا أحبكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال علي : أنا أحبكم الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، وقال زيد : أنا أحبكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم نسأله ، قال اسامة فجاءوا يستأذنونه فقال اخرج فانظر من هؤلاء فقلت هذا جعفر وعلي وزيد ما أقول ابى (١) ، فقال ائذن لهم فدخلوا فقالوا :

(١) يقول اسامه انى لم اقل جاء أبى بل قلت (زيد) باسمه .

يا رسول الله من أحب اليك قال فاطمة ، قالوا نسألك عن الرجال فقال اما
انت يا جعفر فأشبهه خلقك خلقى واشبهه خلقى خلقك وانك منى وشجرتى ،
واما انت يا علي فختنى وابو ولدى وانا منك وانت منى ، واما انت يا زيد
فمولاي ومنى والي واحب القوم الى : (اخرجہ احمد كذا في ذخائر العقبي)
فانت تراه صلى الله عليه وسلم قد جبر خواطر الجميع وأدخل عليهم السرور .
ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت وهو حديث
رواه الطبراني والحاكم وسنده ضعيف (كذا في كشف الخفا ١ / ٤٦٠) .

حسن طريقته في العتاب والتأديب

العتاب طريق من طرق التأديب والتهديب ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعمله اذا اقتضت الحاجة ذلك كترية أو تنبيه ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يسلك في العتاب طرقا مختلفة وأساليب متعددة يراعى فيها الاحوال والمقتضيات فتراه يعاتب تارة بالاشارة وحيناً بالعبارة وحيناً آخر بالمخاصمة ، وقد يكون ايضا بالاعراض ، وقد يكون بالهجر والترك ، وقد يكون بما يظهر على وجهه الشريف من آثار الغضب •

ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم رأى يوما عبدا لله بن عمر وقد لبس ثوبين معصفرين ، ولما كان ذلك منها عنه قال له صلى الله عليه وسلم امك امرتك بهذا ، رواه مسلم •

فاكتفى صلى الله عليه وسلم بهذا النوع من العتاب لانه كان كافيا في اصلاح الامر وبيان المعروف ولذلك فانه ثبت ان ابن عمر لما رجع الى بيته ما كان منه الا ان أحرق الثوبين •

وقد يشتد صلى الله عليه وسلم في العتاب لانا لان المعاتب محتاج الى ذلك او انه لا ينتفع الا بأسلوب الشدة ، ولكن لملاحظة معنى آخر من المعاني السامية ، وذلك كما وقع في معاتبه معاذ بن جبل رضي الله عنه فان معاذ صلى يوما في مسجد قومه اماما فأطال الصلاة جدا وكان في المصلين ذو حاجة

فقطع الصلاة وانصرف فلما علم معاذ عنه قال انه منافق - ومعلوم ان مثل هذا الوصف في ذلك العهد كان خطيرا جدا لانه يعنى الكفر فما كان من الرجل الا ان جاء وهو في قلق وانزعاج واضطراب يشكو معاذ في تطويل الصلاة وفي اتهمه له بالنفاق فعاتب صلى الله عليه وسلم معاذ عتابا شديدا بقوله : أفتان (١) انت يا معاذ أفتان أنت يا معاذ أفتان أنت يا معاذ وكان ذلك جبرا لخاطر الرجل واهتماما بشكواه والا فان تطويل الصلاة يكفى فيه مجرد البيان بأن من أم فليخفف خصوصا مع مثل معاذ وهو من اعلم الناس بالحلال والحرام . ومن هذا الباب عتابه صلى الله عليه وسلم بشدة لابي ذر رضي الله عنه فان أبا ذر قال لعبداه يا ابن السوداء فشكاه الى حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فما كان منه صلى الله عليه وسلم الا أن قال له انك امرؤ فيك جاهلية أعيرته بأمه ، وهذا عتاب شديد في حق ابي ذر ، وقد يكون أقل من ذلك كافيا ، ولكنه صلى الله عليه وسلم لاحظ حال ذلك الخادم الذي جاء شاكيا ، وقد أمن في ظل الاسلام الذي لا يفرق بين الالوان والاجناس فاراد صلى الله عليه وسلم ان يجبر خاطره ويرضي نفسه ويشعره باهتمامه بحاله وشكواه .

ومن طريقه صلى الله عليه وسلم في التأديب السجن ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم سجن مخصوص معد مهيبا لذلك وكذلك في عهد ابي بكر رضي الله عنه ، وانما كان معنى السجن تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان في بيت او مسجد .

(١) أفتان أنت ؟ بتشديد التاء من الفتنة .

فقد روى ابو داود بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم حبس رجلا في تهمة ، وفي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم حبس ثمامة بن أثال بربطة في سارية من سوار المسجد .

وفي السيرة الحلبية انه صلى الله عليه وسلم حبس بنى قريظة بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من الانصار ثم قتلهم .

وقد يتولى نفس الخصم او وكيله عليه ملازمة الشخص الذي يستحق الحبس ، فقد روى ابو داود وابن ماجه عن الهرماس بن حبيب عن ابيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بغريم لي فقال لي الزمه ثم قال لي يا اخا بنى تميم ما تريد أن تفعل بأسيرك وهذا كان هو الحبس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر ، ثم اشترى عمر رضي الله عنه دارا بمكة وجعلها سجنا (١) .

ومن طرقه صلى الله عليه وسلم في التأديب الضرب فقد جلد من قتل عبده متعمدا (٢) وجلد مسطح بن أثاثة ومن تكلم في قصة الافك وخبر ذلك مشهور (٣) .

ومن طرقه صلى الله عليه وسلم في التأديب التأديب بالنفي وقد ثبت انه نفى الحكم بن أبى العاص الى الطائف (٤) وأمر بذلك فقال : البكر بالبكر

-
- (١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ترجمة عمر رضي الله عنه .
 (٢) انظر اقصية الرسول صلى الله عليه وسلم لابن الطلاع .
 (٣) انظر ترجمة في الاصابة والاستيعاب .
 (٤) انظر ترجمته في الاستيعاب والاصابة .

جلد مائة وتعريب عام ، وقضى على الاجير الذى زنى بالجلد والتعريب ،
وكذا حكم على المخنث الذى كان يدخل على النساء •

ومن طرقه صلى الله عليه وسلم في التأديب الهجران وثبت ذلك من قصة
كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهم كعب وهلال
ابن امية ومرارة بن الربيع فهجرهم صلى الله عليه وسلم ولم يكلمهم وامر
بهجرهم •

وقد قاسوا من هجر المصطفى واصحابه لهم ما اخبر عنه القرآ بقوله :
« ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ
من الله الا اليه » •

قوله تعالى : بما رحبت - أي مع رحبها - أي سعتها فلا يجدون مكانا
يطمئنون اليه قلقا وجزعا تمثيل لحيرتهم في أمرهم وضاقت عليهم انفسهم
وقلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس •

وفي حديث كعب حتى تنكرت في نفسي الارض فما هي بالتي أعرف
وفي رواية : وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالحيطان التي تعرف وهذا
يجده الحزين والمهموم في كل شيء حتى قد يجده في نفسه وفي رواية حتى
وجلوا أشد الوجل وصاروا مثل الرهبان •

وثبت انه صلى الله عليه وسلم عذب بقطع الايدي والارجل وسمل
الاعين وذلك في قصة العرنيين الشهيرة الصحيحة التي رواها البخارى عن
أنس قال : قدم أناس من عكل عرنية فاجتووا المدينة أي استوخسوها فأمر

لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بلقاح وان يشربوا من أبوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعى النبي صلى الله عليه وسلم وساقوا النعم فجاء الخبر في اول النهار فقمنا في آثارهم فلما ارتفع النهار جيء بهم فأمر بقطع ايديهم وأرجلهم وسملت أعينهم والقو في الحرة « أرض ذات حجارة سود » يستسقون فلا يسقون ، وفي رواية حتى ماتوا ، وعند ابن أبي عوانة من رواية عقيل عن أنس فيه فصلب اثنين وقطع اثنين وسمل اثنين فان كان محفوظا فعقوبتهم كانت موزعة •

وخرج مسلم عن أنس قال : انما سمل النبي صلى الله عليه وسلم أعين العربيين لانهم سملوا أعين الرعاء والى هذه الرواية اشار البخارى في كتاب الجهاد بتبويبه باب اذا أحرق المشرك المسلم هل يحرق ؟ وثبت انه صلى الله عليه وسلم باشر القتل بيده الشريفة فقتل أبى بن خلف وذلك انه عليه السلام تناول الحربة من يد الحرث بن الصمة فأخذها عليه الصلاة والسلام فطعنه طعنة في عنقه وقع بها عن فرسه فكسر ضلعا من أضلاعه فمات •

وذكر الحافظ البابلى في سيرته انه عليه السلام لم يقتل بيده الا هذا نقله الزرقانى على المواهب •

وثبت انه عذب صلى الله عليه وسلم بالاحراق والهدم ، روى ابن هشام عن عبدالله بن حاتم عن أبيه قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودى يثبطون الناس عن تبوك

فبعث صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبدالله في نفر وامره ان يحرق عليهم
بيت سويلم ففعل .

و في غزوة تبوك جاءه عليه السلام خبر مسجد الضرار من السماء
فأرسل جماعة من أصحابه وامرهم ان يهدموه ويحرقوه فدعا مالك بن
الدخشم ومعن بن عدي العجلاني فقال : انطلق الى هذا المسجد الظالم أهله
فأهدمه وأحرقه فخرجا فحرقاه وهدماه .

وقد قطع النبي صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وأحرق قراهم .

كمال تربيته للامة وعنايته صلى الله عليه وسلم

بتعليم القرآن

اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم القرآن عناية عظيمة خصوصا بالنسبة للصبيان الصغار ، ولا شك ان في ذلك فائدة كبرى وهى لاجل ان يتوجه الصغار الى اعتقاد ان الله تعالى هو ربهم ، وان هذا كلامه تعالى ، ولجل ان تسرى روح القرآن في قلوبهم ونوره في افكارهم ومداركهم وحواسهم ، ولجل ان يتلقن عقائد القرآن منذ الصغر ، وان ينشأ ويشب على محبة القرآن والتعلق به والائتمان باوامره والانتها عن مناهيه والتخلق بأخلاقه والسير على مناهجه .

ولذلك اعتنى المربون في هذه الامة بتعليم الصبيان القرآن ، وذلك اصل من اصول الاسلام فينشأون على الفطرة ويسبق الى قلوبهم انوار الحكمة قبل تمكن الاهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال كما قال القائل :

اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا
وكان صلى الله عليه وسلم يشترط على وفود الاعراب بعد اسلامهم
قراءة القرآن بينهم وتعليمهم امر الدين واقامة المؤذنين .
وفي اعتناء الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح بعدهم بتعليم
الصبيان لما كان عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم واستجابة كاملة لامره

ومسارعة صادقة لاكتساب الخيرات والبركات التي ضمنها باذن الله لمن فعل ذلك اذ قال لهم : « من علم ابنه القرآن نظرا غفر له ومن علمه اياه ظاهرا - أي عن ظهر قلب - بعثه الله على صورة القمر ليلة البدر ويقال لابنه : اقرأ ، فكلما قرأ آية رفع الله عز وجل الاب بها درجة الى آخر ما معه من القرآن » •

رواه الطبراني عن أنس ، قال الهيثمي : وفيه من لم اعرفه •• وقال : « ما من رجل يعلم ولده القرآن في الدنيا الا توج ابوه يوم القيامة بتاج في الجنة يعرفه به أهل الجنة بتعليم ولده القرآن في الدنيا » رواه الطبراني عن ابي هريرة • وفي رواية عند الامام احمد : انه يكسي والده حلتين لا تقوم لهما الدنيا - أي لا يقدر بهما الدنيا - فيقولان : بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ، وفي رواية الطبراني : بتعليم ولدكما •

وقال ابن خلدون في المقدمة في فضل تعليم الولدان : اعلم ان تعليم الولدان القرآن شعار من شعائر الدين أخذ به اهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم بما يسبق فيه القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن ، وصار القرآن اصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات ، ثم قال : اختصت العوائد الاسلامية بتقدم دراسة القرآن ايثارا للتبرك وخشية ما يعرض للولد من جنون الصبا من الآفات والقواطع فيفوته القرآن •

والقرآن الكريم هو أوسع دائرة للعارف تناولها البشر . وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وهو الديوان العظيم الذي استخرج اهل الاسلام واستنبطوا منه جميع العلوم كما

قال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وقال : « ونزلنا عليك القرآن تبيانا لكل شيء » وقال صلى الله عليه وسلم : ستكون فتن ، قيل : ما المخرج منها يا رسول الله ، قال : كتاب الله فيه نبأ ما بعدكم وخبر ما قبلكم وحكم ما بينكم - رواه الترمذى •

بل هو اول موسوعة ودائرة معارف عرفها البشر وقد اعترف بذلك •
وأول من قرأ في مدرسة القرآن وتربى بهديه واهتدى بتربيته واتخذه هجيرا الصحابة الكرام الذين اقبلوا على تعلم القرآن وتعليمه مستجيبين لقوله صلى الله عليه وسلم « تعلموا القرآن فاقروه فان مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به - أي في الليل - كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان » وقوله صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخارى ، وفي رواية « ان افضلكم » •

وقد كان صلى الله عليه وسلم يعلمهم مع القرآن اداب حامل القرآن الكريم ليعرف حقه فيعظمه ويحترمه فكان يقول لهم : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير انه لا يوحى اليه لا ينبغي لصاحب القرآن ان يجد مع من وجد ولا يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله » رواه الحاكم وصحح اسناده •

تفسير القرآن

ومما كان يعتنى به في حلقة العلم النبوية تفسير كتاب الله العظيم ، فقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يفسر لهم بنفسه بعض آيات القرآن الكريم وهو الذى يقول لهم : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتعلمون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم في صحيحه •

قال القارى في شرح المشكاة : التدارس قراءة بعضهم على بعض تصحيحا لالفاظه او كشفا لمعانيه •

وقد ذكر السيوطى في الاتقان انه عليه السلام بين لاصحابه جميع تفسير القرآن او غالبه •• ويؤيد هذا ما اخرجه احمد وابن ماجه عن عسر قال : من آخر ما نزل آية الكلاله ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل ان يفسرها فدل فحوى الكلام على انه كان عليه السلام يفسر لهم كل ما نزل ، وانه لم يفسر لهم هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها والا لم يكن لتخصيصها وجه •

واما ما اخرجه البزار عن عائشة قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن الا آيات علمه اياهن جبريل فهو حديث منكر كما قال الحافظ ابن كثير • واوله ابن جرير وغيره على انها اشارات الى آيات مشكلات اشكلن عليه فسأل الله عنهن فانزل اليه على لسان جبريل •

التاريخ والاخبار

ومسا اعتنى به صلى الله عليه وسلم وعلمه اصحابه ذكر الوقائع التاريخية
واخبار الامم السالفة •

وقد اتخذ لذلك وقتا امثالا لامر الله اذ يقول :

« وذكرهم بأيام الله » والمعنى : وذكرهم بوقائع الله التي وقعت للامم السالفة
فتسلكوا مسلك اهل الرشده ، لان التاريخ يبحث عن اصول الامم الخالية مع
ضبط اشخاصهم واخبارهم وعلومهم واثارهم وعوائدهم وسقوطهم ونهضتهم
وهو مما يتنافس فيه العقلاء ويتفاخر به الملوك وتسبوا الى معرفته حتى
السوقة •

وقد اخبرنا الحق سبحانه وتعالى في القرآن عما دار بين الانبياء والامم ،
وارشدنا الى تعاقب ادوار الزمان والتحول والنفارة والذبول والعمار والدمار
اما كل يوم مع يوم مع عدم التكلف ، واما يوما بعد يوم فيكون يوم الترك
لاجل الراحة ليقل على الثانى بنشاط ، واما يوما في الجمعة ، ويختلف باختلاف
الاحوال والاشخاص والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط « كذا فتح
البارى » •

وهذه السنة المحسودة اعظم عامل لتشويق النفوس الى مجالس العلم
والتذكير واقبالهم عليها برغبة وتعلق •

الكتابة

وقد اعتنى بالكتابة في العهد النبوي الشريف اعتناء كبيرا ، فكان عبد الله بن سعيد بن العاص يعلم الناس الكتابة بالمدينة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم « كذا في الاستيعاب » •

وقال عبادة بن الصامت : علمت ناسا من اهل الصفة الكتابة القرآن « كذا في سنن ابي داود » •

قال في المطالع النصرية في الاصول الخطية لابي الوفاء نصر الهوريني المصري : لم تكثر الكتابة العربية الا بعد الهجرة النبوية بأكثر من سنة . وذلك أنه لما اسرت الانصار سبعين رجلا من صناديد قريش وغيرهم في غزوة بدر السنة الثانية من الهجرة جعلوا على كل واحد من الاسرى فداء من المال . ومن عجز عن الافتداء فعليه ان يعلم الكتابة لغيره من صبيان المدينة فلا يطلقونهم الا بعد تعليمهم ، فبذلك كثرت الكتابة وصارت تنتشر في كل ناحية فتحها الاسلام •

وجاء في السيرة ان الواحد من المشركين كان يتعلم منه عشرة من الغلمان الكتابة ويخلى سبيله •

منهجه صلى الله عليه وسلم في التعليم

وقد اتخذ صلى الله عليه وسلم في طريقة تعليمه الناس ودعوتهم الى الخير طريقة القرآن الكريم من قوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بسن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » •

وفي هذه الآية الكريمة صورة متكاملة للدعوة العديدة لكل اصناف الناس ، والمنهج السليم الذي ترسمه الآية الكريمة يتفق وانواع الناس ويختلف باختلاف اوصافهم وانواعهم ، فمنهم : الخواص الطالبون للحقائق •

• ومنهم : العوام •

• ومنهم : المعاندون •

ولكل صنف من هؤلاء اسلوب معين ، وطريقة يدعوها بها ويعلمها على اساسها ، فهو يخاطب الناس على قدر عقولهم ، ومقاله دائما وابدأ يكون مطابقا لمقتضى الحال ، فهو يتمشى مع كل طائفة بالبيان الذي يتناسب معها ويخاطبها بلسانها •

وقد منح الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام عظمة ومهابة ، وجعل لقوله من المحبة والقبول في قلوب الناس ما لا يحتاج مع ذلك الى شيء •

يقول القاضي عياض : القى الله عز وجل على كلامه المحبة وغشاه
بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وهو من استغناؤه عن اعادته وقلة حاجة
السامع الى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بادت له حجة اه .

واذا نظرنا الى هؤلاء ، وجدنا ان الآية اختصت كل صنف منهم بطريقة

• معينة •

فالصنف الاول وهم الخواص تكون دعوتهم وتعليمهم بالحكمة أي
المقالة المحكمة الصحيحة والدليل الموضح للحق المزيل للشبهة لانهم لا يقتنعون
الا بوضوح الدليل الذي يزيل شبههم ويحكم لهم القول فيهدون الى سبيل

• ربهم •

اما الصنف الثاني وهم العوام فدعوتهم وتعليمهم بالموعظة الحسنة أي
الخطاب المقنع والعبرة النافعة على وجه لا يخفى عليهم انه ينصحهم ويقصد
ما ينفعهم ، فهم ليسوا في حاجة الى احكام في القول لانهم عوام وليسوا في
حاجة الى دليل لانهم لا شبهة عندهم •

واما الصنف الثالث وهم المعاندون ، فدعوتهم وتعليمهم بان يجادلهم
بالتى هى أحسن ، بالطريقة الحسنة من الرفق واختيار الوجه الايسر واستعمال
المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهب صدورهم حتى يفيئوا الى
امر الله •

وقد يكون تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين عن طريق
سؤال يتوجه به احدهم اليه فيجيبه ، وذلك كما في حديث البر والاثم ، عن

النواس بن سمرعان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس » • وعلى نفس هذا المنهج كانت النساء يسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجيبهن •

وبهذا نرى ان المنهج النبوي في التعليم وضع ضمن خطته الرشيدة اهتمامه بتعليم المرأة كما اهتم بالرجل ، وفي هذا حرص من الاسلام على تربية المرأة وتهذيبها وصقلها وتثقيفها بالثقافة الدينية التي تساعد على القيام برسالتها •

وقد يكون تعليم النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين عن طريق سؤال يطرحه هو ليجيب عنه لا ليطلب من احد اجابته وانما ليشوق السامع ويحضر في قلبه وذهنه التطلع الى هذا الامر الذي سيلقيه ويهتم به ايضا اهتماما •

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه ، قلت : بلى يا رسول الله ، قال : رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد » •

فهذه الطريقة التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم في تعليمه تتسم بالتشويق في الاسلوب الذي اتخذه مع هذا الصحابي الجليل ، فأشار الى أسس السعادة في الدنيا والآخرة وهي : الاسلام والصلاة والجهاد •

ونحن نرى ان هذه الطريقة في التعليم - اعنى طريقة القاء السؤال هي التي اقتبسها رجال التربية فيلقى الواحد منهم المسألة العلمية على طريقة

سؤال ثم يتولى هو الاجابة عنه ، كما انه صلوات الله وسلامه عليه ايضا
يلقى المسألة لا ليجيب عنها وانما ليختبر بها علم اصحابه وذكائهم •

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المؤمن فحدثوني ما هي ؟ »
فوقع الناس في شجر البوادي •• قال عبدالله : ووقع في نفسي انها نخلة
فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله ، قال : « هي النخلة » •

وكان يخشى اذا استمر في التوجيه والتعليم ان يتسرب الملل الى
اصحابه او يأخذ التعب طريقه اليهم فكان يعطيهم فرصة الراحة والاستجمام
والتشويق لتتمكن معلوماتهم فيها في التثيت والتذكير ، ولهذه الطريقة
الرشيدة تدين مؤسسات التربية اليوم التي استمدت نظمها الناجحة من هذا
المنهج النبوي الحكيم •

عن ابن مسعود قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة
في الايام كراهة السامة علينا •

كما كان من حكمته عليه الصلاة والسلام انه يخاطب الناس على قدر
عقولهم وبما يتواءم مع مداركهم ويتناسب مع فطرهم واساليبهم وليسوق
موعظته الحسنة في سراحة ويسر •

كان صلوات الله وسلامه عليه يخاطب الناس بلهجاتهم ، عن عاصم
الاشعري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس من

امبر امصيام في امسفر « ، يريد ليس من البر الصيام في السفر وهي لغة
الاشعريين ، يدلون اللام ميمًا •

ومن اجل اقرار تلك التعاليم كذلك كان اذا تكلم كرر القول ثلاثا
ليفهم عنه •

كما كان في كل اوامره ، وفي كل نواهيته منتهجا المنهج التربوي الصحيح
كما علمه ربه ، وكما جاء بذلك القرآن ، فهو لا يأمر بكل الاوامر دفعة
ولا ينهى عن كل النواهي دفعة ، وانما يتبع في كل هذا وذاك التدرج حتى لا
يسل الناس ، وحتى لا يستثقلوا تعاليمه •

منها : هو ذا حين بعث معاذ بن جبل الى اليمن زوده بالتوجيه الكافي
وامر ان يسير على سنن التدرج معهم •

ومن كل ما سبق يتضح ان المنهج النبوي في التعليم اتخذ طرقا كثيرة
متنوعة وجه بها الناس الى طريق النور والكمال وارسى على ضوئها اساس
الحياة الطيبة فتضافر المجتمع الاسلامي بكل أشكاله على تلقى الشريعة
مسترشدا باآداب نبيه المعلم وتعاليم رسوله القائد صلوات الله وسلامه عليه
حتى تحقق على ايدي المسلمين آئذ الفتح المبين ، وكانوا بحق خیر امة اخرجت
للناس •

ولنا في رسول الله اسوة حسنة وفي اصحابه قدوة طيبة فعلى منهجه
نسير ، وبهداه نقتدي حتى يفتح الله علينا بركات من السماء والارض •

وبهذا نرى ايضا ان المنهج النبوى فى التعليم لم يترك شيئاً من شئون
الدنيا والدين الا عنى به ، واولاه اهتماما بالغاً ، ووضع القواعد السليمة
التي عليها قامت خير امة ، وتكونت الدولة الاسلامية الكبرى التي نشرت
العلم والحضارة بين ارجاء الدنيا بأسرها من اقصاها الى اقصاها .

كمال طريقته في التعليم والارشاد

من هديه صلى الله عليه وسلم في منهج تعليمه ان ينتقل بالحاضر من صورة واقعية محسوسة الى صورة ذهنية علمية تتعلق بالايمان او الاخلاق او السلوك .

وهذا اكبر سبيل لتثبيت النظرية العلمية وتجسيدها امام الناظر . .
ومثال ذلك انه رأى امرأة من النسبى وقد اندفعت وراء طفلها ناسية حالتها فأخذته ووضعته على ثديها وكأنها ليس بها شيء ، فقال : ارأيتم رحمة الله هذه الام بولدها او فرحها بولدها ، قالوا : نعم ، قال : فالله ارحم بعبده او افرح بتوبة عبده من فرح هذه الام بولدها .

ومن ذلك ايضا ما جاء عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في السوق والناس عن جانبيه فمر بجدى اسك (١) - اى صغير الاذن - ميت فتناولوه فأخذ بأذنه ، ثم قال : ايكم يحب ان يكون له هذا بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب انه لنا بشيء وما نصنع به ، ثم قال : ا تحبون انه لكم - أي بلا شيء - فقالوا : والله لو كان حيا كان عيبا انه أسك فكيف وهو ميت ، فقال صلى الله عليه وسلم : فوالله ان الدنيا اهون على الله من هذا عليكم ، رواه مسلم .

(١) جدى بفتح الجيم وسكون الدال - أسك بفتح الهمزة والسين وتشديد الكاف .

وهكذا جعل صلى الله عليه وسلم من ذلك الجدى الميت المعيب درساً عملياً وموعظة نبوية في بيان قيمة الدنيا وحقيقتها ، وانها لا تستحق هذا التكالب والحرص الشديد والتحاسد والتباغض ، فينتقل من قضية الجدى المحسوسة الى قضية ذهنية علمية .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعمل الوسائل التعليمية الممكنة لتقريب الحقيقة وتصويرها ، وذلك برسم صورتها وابرار شكلها امام المشاهد .

فقد كان يتحدث يوماً عن الامل وطوله وكثرته وان الانسان ينتهى من هذه الحياة وآماله لا تزال ورغباته كالجبال ولكن الموت محيط به من حيث لا يدري فلا يشعر الا وقد نزل به فقطع عليه آماله وافسد احواله .

وقد استعمل صلى الله عليه وسلم في تقريب هذه الحقيقة رسماً على الارض ليصورها للمشاهدين كما جاء في الحديث عن عبدالله بن عمر - رواه البخارى . حدثنا صدقه بن الفضل اخبرنا يحيى عن سفيان قال حدثنى أبى عن منذر عن ربيع بن خثيم عن عبدالله رضى الله عنه قال : خط النبى صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً وخط خطاً في الوسط خارجاً منه وخط خطاً صغيراً الى هذا الذى في الوسط من جانبه الذى في الوسط وقال : هذا الانسان ، وهذا اجله محيط به او قد احاط به وهذا الذى هو خارج امله ، وهذه الخطط الصغار الاعراض فان اخطأ هذا نهشه هذا ، وان اخطأ هذا نهشه هذا .

ومن منهجه صلى الله عليه وسلم في تعليمه وتربيته استعماله الكناية

في التعبير عما يستهجن باختيار الالفاظ المألوفة المقبولة المعروفة التي تؤدي المقصود وتفى بالمراد من غير تصريح مع امكان فهم المطلوب فهما كاملا كما لو صرح به في لفظه الاصلى •

مثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : سبعة يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال انى اخاف الله •

فانظر كيف كنى عن المراد بقوله « دعت امرأة » ومعلوم ان المقصود انها دعت وطلبت الى فعل الفاحشة •

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للمرأة التي طلقها زوجها الثانى لكنه لم يدخل بها دخولا كاملا فجاءت تسأله هل تحل لزوجها الاول ، فقال لها : لا ، حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك - اى يتم الجماع كاملا وكنى عنه بالعسيلة وعن تمام الاتصال بالذواق •

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما يوجب الغسل وان مجرد الاتصال ولو بلا انزال يوجب ذلك : « اذا جلس شعبها الاربع وجهدها فقد وجب الغسل » •

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجله ضمن له الجنة » فانظر كيف كنى عن الفرح بقوله « ما بين رجله » •

ومن أسلوبه صلى الله عليه وسلم في التعليم التدرج في اعطاء المعلومات والانتقال بالمستفيد من مسألة الى مسألة حتى يصل به الى ما يناسب حاله ويحل مشكلته التي وقع فيها ، كل ذلك بصدر رحب وخلق كريم وحلم عظيم دون ملل وسآمة .

يصور هذا المعنى الحديث الآتي :

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يا رسول الله ، قال : وما اهلكك ، قال : وقعت على امرأتى في رمضان ، قال : هل تجد ما تعتق رقبة ، قال : لا ، قال : فهل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين ، قال : لا ، قال : فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا ، قال : لا ، قال : ثم جلس فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تسر ، فقال : تصدق بهذا ، قال : أعلى افقر منا؟؟ فسا بين لابتيها اهل بيت أحوج اليه منا ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت انيابه . ثم قال : اذهب فاطعمه اهلك ، رواه مسلم .

وبهذا لا ينصرف المستفيد الا وقد وقف على حقيقة واضحة لا شك فيها ولا ريب راضيا قرير العين ، وقد وقع في حسه انه عضو في المجتمع وان الامة مسئولة عنه تهتم باحواله وتعيش معه في مشاكله وتشاركه قضاياها ، ولو افاده صلى الله عليه وسلم بالحكم الشرعى جملة واحدة بان قال له : ان عليك ان تعتق رقبة فان لم تجد تصوم شهرين متتابعين ، فان لم تجد فتطعم ستين مسكينا ، لو افاده بهذه الطريقة لما كان في ذلك حرج او نقص لكنه صلى

الله عليه وسلم فرغ نفسه وتوجه بكليته واخذ يسأله : هل عندك رقبة ،
قال : لا ، هل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين ، وهكذا تدرج معه في الحكم
حتى وصل به الى ما يوافقه من الجواب •

ومن اسمى الطرق التربوية النبوية انه صلى الله عليه وسلم كان يولى
السائل عناية ورعاية خاصة وتقديرا واحتراما واكراما واعظاما فيكسبه بذلك
ثقة كبيرة وشعورا بالطمأنينة الكاملة بحيث لا تمنعه هيبه النبي العلية من
القاء السؤال على أي كيفية ولا تصده رتبته صلى الله عليه وسلم عن التعبير
بما في مكنونات الضمير ملقيا بقياده ساعيا في طلب رشاده ، وانظار حضرة
المربي الكامل صلى الله عليه وسلم تحوطه من كل جانب ، وتحميه من كل
منتقد او عائب •

ويصور هذا الحديث الآتي هذا المعنى اكمل صورة ومنه استخرجنا
هذه النظرية ، فعن جابر بن عبدالله قال : جاء اعرابي الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ثيابنا في الجنة نسجها بأيدينا ، فضحك
القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون ، من جاهل
يسأل عالما ، لا يا اعرابي ولكنها تشقق عنها ثمار الجنة - لم يروه عن مجالد
الا ابنه اسماعيل ، ولا يروى عن جابر الا بهذا الاسناد (١) •

فأنت ترى انه صلى الله عليه وسلم عاتبهم لما رأى ضحكهم على سؤاله

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير ص ٤٧ •

وبين لهم ان لا وجه لا تتقاصه وانتقاد سؤاله وان الجاهل ينبغي ان يعطى من الاهتمام والتقدير ما يجذبه الى السؤال والبحث ويشجعه على المراجعة بثقة وثبات دون حياء او خوف ، وكم منع الحياء والخوف من انتقاد الغير من الوصول الى حقائق ومعارف سامية .

ومن ذلك ما جاء في الحديث ان اعرابيا عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سفر فأخذ بخطام ناقته او بزمامها ثم قال : يا رسول الله او يا محمد اخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار ، قال : فكف النبي صلى الله عليه وسلم ثم نظر الى اصحابه ثم قال : لقد وفق او لقد هدى قال : كيف قلت ، قال : فاعاد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : تعبد الله . لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم - دع الناقة رواه مسلم في الصحيح ، انظره في باب « الايمان الذي يدخل الجنة » .

فانت ترى انه صلى الله عليه وسلم اهتم بسؤاله ثم امر اصحابه بملاحظة ذلك ووجه انظارهم الى الاهتمام به ثم امر السائل باعادة السؤال ثم دعا له بالتوفيق والهدى .

ومن منهجه صلى الله عليه وسلم في تعليمه تقريب الحقائق المغيبة في صورة مجسدة ملموسة فيحسها السامع وكأنه ينظر اليها بعينه ، وبذلك تنطبع في النفس وترسخ في الذهن ثم يكون التأثير بها ابلغ واقوى .

فمن ذلك قوله في الحديث : من يسأل الناس تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل او ليستكثر - رواه مسلم .

فهذا الذي يسأل الناس تكثرا في الواقع هو لا يسأل جمرا ولكنه يؤول في الآخرة الى جمر عقابا له على فعله ، ولكنه جسد هذه الحقيقة بهذه الصورة القريبة الى المشاهدة المحسوسة عند السامع ليكون ذلك ابلغ في زجره وتحذيره فيتصور عند سؤاله انه انما يمسك النار .

ومن هذا القبيل قوله وقد رأى خاتما من ذهب في يد احد الصحابة فقال : يعمد احدكم الى جمرة من نار فيضعها في يده .

ومنه قوله في الذي يأكل في اوان الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه

نار جهنم .

ومنه قوله في الذي يسابق الامام ان وجهه وجه حمار والعياذ بالله .

ومن هذا القبيل ما جاء عن ابي هريرة : ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : اوجب احدكم اذا رجع الى اهله ان يجد ثلاث خلفات عظام سمان

قلنا : نعم ، قال : فثلاث آيات يقرأ بها احدكم في صلاته خير له من ثلاث

خلفات عظام سمان - اخرجه مسلم ومعنى - الخلفة - الناقة العشاء .

وما جاء عن عقبه بن عامر رضي الله عنه ، قال : خرج النبي صلى الله

عليه وسلم ونحن في الصفة ، فقال : ايكم يحب ان يغدو كل يوم الى بطحان

او قال : الى العقيق فيأتى بناقتين كوماوين في غير اثم ولا قطيعة رحم ، قلنا :

كلنا يا رسول الله يحب ذلك ، قال : افلا يغدو احدكم الى المسجد فيتعلم

او يقرأ آيتين من كتاب الله تعالى فهو خير له من ناقتين ، وثلاث خير من

ثلاث ، واربع خير من اربع ومن اعدادهن من الابل - اخرجه مسلم وابو داود

ومعنى « الكوماء » الناقة العظيمة السنام .

« تيسير الوصول في فضل القرآن : ١ / ٨٤ » •

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة » متفق عليه ، وفي رواية لمسلم : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحته بأرض فلاة فأنفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحته فينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك اخطأ من شدة الفرح •

يشبه الرسول صلى الله عليه وسلم قبول الله لتوبة العبد التائب ورضاه ورحمته الواسعة بعباده ، وشفقته عليهم برجل في أرض جدباء مهلكة ضاع منه بعيره الذى عزم اجتياز تلك الفلاة به ثم وجدته وقد اشرف على الهلاك ، ويئس من النجاة ، تشجيعاً للناس على التوبة ودفعا لما يصرف عنها وفتحاً لباب الرجاء أمام العباد فالله تعالى مع قدرته العظيمة ، وعزه الكبير رؤوف رحيم يشجع العباد على التوبة ويكرمهم بقبولها ويوجههم الى ما فيه النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة •

وفي الحديث كناية عن احسان الله تعالى الى عبده التائب وتجاوزه عن سيئاته لان العاصي اذا وقع في المعصية صار في قبضة الشيطان وأسرته ، فأشرف على الهلاك ، فاذا وفقه الله للتوبة خرج من شؤم تلك المعصية وتخلص

من قبضة الشيطان ، فأقبل الله عليه بمغفرته ورحمته ، فالتمثيل انما هو
لحال العبد التائب وما يحصل له بسبب التوبة من النجاة والفوز •

ولقد بلغ من روعة التصوير ان اشتملت الصورة على كل مؤثراتها
أخذا بلب السامع ، وتحريكا لخياله وأحاسيسه ، وافكاره لتنتج الاثر المطلوب
والصورة هنا هي صورة رجل في صحراء مقفرة معه زاده من الطعام والماء
ومركبه من الابل ، فضاع كل ذلك بغتة واعياه البحث حتى يئس من استرداد
شيء من ذلك ، لقد أحاطت به كل صور اليأس ، وتمثل في نفسه اليأس من
النجاة ، وبين التعجب والالام واليأس والاستسلام للموت والهلاك ، اذ
براحلته عليها طعامه وشرابه ، فقام كالمأخوذ ممسكا بها حتى لا تهرب منه ،
صائحا من شدة الفرح ، اللهم أنت عبي وأنا ربك ، فأخطأ من شدة الفرح
هذا الرجل بفرحته التي لا تضارع وسروره الذي لا يمكن تحديده ، ليس
أشد حرصا على الحياة ، وقبولا للراحلة وتلقيا للنجاة من قبول الله لتوبة
عبد المؤمن واقباله عليه لان عودة الراحلة فيها حياته الدنيوية ، وعودته فيها
حياته الاخروية وهي التي طلبها الله منه ودعاه الى الحفاظ عليها والاستمسك
بها •

ويؤخذ من الحديث : جواز ضرب المثل بما يصل الى الافهام من الامور
المحسوسة •

وفيه : الارشاد الى دوام المراقبة واستمرار محاسبة الانسان لنفسه
ووجوب المبادرة بالتوبة ورجاء قبولها من الله تعالى •

وفيه ٤: رحمة المولى عز وجل وجهل الانسان وغفلته •

وفيه : ان العسر مع اليسر ، والفرج مع الكرب ، وانه لا يأس من رحمة

الله •

وفيه : ان الحرص على الدين يجب ان يكون أقوى من الحرص على

الدنيا •

وفيه : تقريب الله للمؤمنين ، وابعاده للكافرين •

وفيه : قبول الخطأ والسماح فيما لا يقصد الانسان وقوعه •

أما قوله في الحديث لله أفرح فالفرح في حق العباد : انشراح الصدر

بلذة عاجلة واكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية فلهذا قال تعالى : ولا

تفرحوا بما آتاكم ، وقال عز وجل : « وفرحوا بالحياة الدنيا » •

والفرح في حق الله : مجاز عن الرضا : أي ارضى بالتوبة وأقبل بها •

والمقصود بيان سرعة قبول الله توبة عبده التائب واقباله عليه ، فالمراد لازم

الفرح : وهو الرضا والقبول •

أما قوله في أرض فلاة : الفلاة : الارض الواسعة التي لا ماء فيها ولا

زرع والتي هي مظنة الهلاك •

أما قوله على راحلته ، فالراحلة : البعير الذي يصلح للارتحال •

توجيه الهمم الى العوالم

ومن منهجه صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم توجيه الهمم الى عوالم الامور ومعالم المقاصد ، وتصوير المعاني الجليلة الراقية في اطار المفاهيم الشائعة ، وذلك كقوله صلى الله عليه وسلم : ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ، رواه أحمد والشيخان .

فالمفهوم الشائع عند الناس عن الغنى أنه متاع الدنيا وهو كثرة العرض لكنه صلى الله عليه وسلم ينبهنا الى ما هو أعلى من ذلك في تصور معنى الغنى ، وهو غنى النفس ، يعنى ليس الغنى المحمود ما حصل عن كثرة العرض والمتاع لان كثيرا ممن وسع الله عليه لا ينتفع بما أوتى بل هو متجرد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه فكأنه فقير لشدة حرصه فالحريص فقير دائما ولكن الغنى المحمود المعتبر عند أهل الكمال غنى القلب ، وفي رواية النفس ، أي استغناؤها بما قسم لها وقناعتها ورضاها به بغير الحاح في طلب ولا الحاف في سؤال ومن كفته نفسه عن المطامع قرت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من كان فقير النفس فانه يورطه في رذائل الامور وخسائس الافعال لدناءة همته فيصغر في العيون ويحتقر في النفوس ويصير أذل من كل ذليل ، والحاصل ان من رضى بالمقسوم فكأنه واجدا أبدا ومن اتصف بفقير النفس فكأنه فاقد أبدا يأسف على ما فات ويهتم بما هو آت .

فمن أراد غنى النفس فليحقق في نفسه أنه تعالى المعطي المانع فيرضى
بقضائه ويشكر على نعمائه ويفزع اليه في كشف ضرائه وأنشد بعضهم من
قصيدة :

وعند مليكك فابغ العلو و وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى في قلوب الرجا ل وان التعزز في الاتفس
وكم قد ترى من أخى عسرة عنى وذى ثروة مفلس
ومن قائم شخصه ميت على انه بعد لم ير مس

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ليس الواصل بالمكافىء ولكن

الواصل الذى اذا انقطعت رحمه وصلها ، رواه أحمد والبخارى .

فالمفهوم الشائع ان الواصل لارحامه هو الذى يجازيهم بمثل فعلهم
ان صلة فصلة . وان قطعاً فقطع . ولكن النبى صلى الله عليه وسلم يضع هنا
للوصل مفهوماً أعلى من المفهوم الظاهر عند الناس وهو ان الواصل الذى
ينال ثواب صلة الارحام ويفوز بفضلها العام هو الذى يبادر الى مواصلتهم
دون مراقبة ما يقابل ذلك مما جرت عادة الناس عليه وقد أشار الى هذا المعنى
بقوله : « ولكن الواصل الذى اذا انقطعت رحمه وصلها » وهو بهذا ينبه
على ان من كافأ من أحسن اليه لا يعد واصلاً للرحم وانما الواصل الذى
يقطعه قريبه فيواصل هو ، وهذا إشارة الى الرتبة العلية في ذلك والافلو
لم يقطعه احد من قرابته واستمر هو على مواصلاتهم عد واصلاً .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : أخسر الناس صفقة رجل أخلق

يديه في آماله ، ولم تساعد الايام على أمنيته فخرج من الدنيا بغير زاد وقدم على الله تعالى بغير حجة ، رواه البخارى في تاريخه عن عامى بن ربيعة وهى مسا بيض له الديلى .

فالحسران فى الاصل اتقاص رأس المال ، وقد استعمله صلى الله عليه وسلم فىما هو أعم من ذلك كالايمان والعبادة وهو بهذا يوجه الانظار الى اعتبار الخسارة فىما هو أعلى من المال وأعلى من الجاه .

والمعنى : ان أشد الناس خسارة رجل اتعب نفسه بالكد والجهد فى السعى لبلوغ اماله ولكن الايام لم تساعد على حصول مطلوبه من المال والمناصب والجاه ونحوها بل عاكسته وخذلتة فهو لا يزال يتشبث بالطمع الفارغ والرجاء الكاذب ، ويتمنى على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته ، فخرج من الدنيا بالموت بغير زاد يوصله الى المعاد وينفعه يوم يقوم الاشهاد ويفصل بين العباد لان خير الزاد الى الآخرة اتقاء القبائح ، وهذا قد تلتخ بأقذارها القبيحة الخبيثة الروائح فهو مهلك لنفسه باسترسالة مع الامل . وهجره للعمل . حتى تتابعت على قلبه ظلمات الغفلة . وغلب عليه رين القسوة . ولم يسعفه المقدور بنيل مرامه من ذلك الحطام الفانى فلم يزل مغمورا مقهورا مغموما الى أن فرق ملك الموت بينه وبين آماله وكل جارحة منه متعلقة بالدنيا التى فاتته فهى تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة التى لا يريد لها ، وقدم على الله تعالى بغير حجة أى معذرة يعتذر بها وبرهان يتمسك به على تفريطه بتضييعه عمره النفيس فى طلب شيء خبيث خسيس واعراضه عن عبادة ربه التى انما خلق

لاجلها « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » قال الغزالي ومن كان هذا حاله فهو كالانعام بل هو أضل ، اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص عقلا ، المدبر يقينا ، وقيل في المعنى •

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادريين على التمام
ففى الحديث الزام للحجة ومبالغة في الانذار وتنبية على اثار التلذذ
والتنعيم مما يؤدي الى طول الامل وتعطل العمل وهذا هجيرا اكثر الناس وهي
ليست من أخلاق المؤمنين ومن قيل التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين •
ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : أعجز الناس من عجز عن الدعاء
وابخل الناس من بخل بالسلام ، رواه الطبراني في الاوسط والبيهقي في
شعب الايمان •

فالعاجز هو الضعيف الذى لا يستطيع ان يقوم بشؤونه ولكن نبينا
صلى الله عليه وسلم يرشدنا الى ما هو أعلى من ذلك وارقى ، وهو ان العاجز
هو الذى يعجز عن الطلب من الله تعالى لاسيما عند الشدائد لتركه ما أمره
الله ، وتعرضه لغضبه باهماله ما لا مشقة عليه فيه ، وفي هذا حث على الدعاء
وقال في الحديث : وابخل الناس من بخل بالسلام ، فذكر ان البخيل
هنا هو الذى يبخل بالسلام ، والمعروف ان البخيل ضد الكريم وهو الذى
لا يجود ولا يعطى ، ولكنه هنا يستعمله في الذى يبخل بالسلام على من لقيه
من المؤمنين ممن يعرفهم وممن لا يعرفهم ، فانه خفيف المؤنة عظيم المثوبة

فلا يهمله الا من بخل بالقربات وشح بالمشروبات وتهاون بمراسم الشريعة ،
أطلق عليه البخل لكونه منع ما أمر به الشارع من بذل السلام وجعله أبخل
لكون من بخل بالمال معذور في الجملة لانه محبوب للنفوس عديل للروح
بحسب الطبع والغريزة ، ففي بذله قهر للنفس ، واما السلام فليس فيه بذل
مال ، فمخالف الامر في بذله لمن لقيه قد بخل بمجرد النطق فهو ابخل من كل
بخیل •

تدعيم القول بالدليل

ومن منهجه صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم انه كان يؤيد قوله في التعليم بالدليل والتعليل على صورة القياس والتنظير ، فيزداد قوله وضوحا ويصير حجة بعد حجة ليقف السائل على حقيقة واضحة يطمئن لها قلبه وتشرح بها نفسه وتقر بها عينه ويعظم تمسكه بالحق ويرسخ الدليل في نفسه . وهذه الشواهد الناطقة الدالة على ذلك بأصدق بيان واعظم برهان .

ومن ذلك : قوله صلى الله عليه وسلم : وفي بضع احدكم صدقة قالوا : يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر .

وقوله : (وفي بضع أحدكم) هو بضم الباء ويطلق على الجماع ويطلق على الفرج نفسه وكلاهما تصح ارادته هنا ، وفي هذا دليل على ان المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات ، فالجماع يكون عبادة اذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به أو طلب ولد صالح أو اعفاف نفسه أو اعفاف الزوجة ومنعهما جميعا من النظر الى حرام أو الفكر فيه أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة .

فالصحابة الكرام تعجبوا من هذا الامر وهو ان الانسان يأتي أهله ويقضى شهوته ويتستع ثم يثاب على ذلك، وكان يكفي ان يقول لهم صلى الله

عليه وسلم ، ان الله قد قضى بذلك وحكم وهذا أكبر دليل واعظم حجة لان قول الله تعالى وقول الرسول هو الحجة والدليل ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ليكتفى بذلك بل ذكر لهم نظير هذه المسألة مما هو معلوم لديهم ومسلم عندهم ، وبهذا يترك لهم الفرصة ليفكروا وينظروا ويقيسوا الاشباه بالنظائر وينتقلوا من الغائب الى الحاضر ، فقال لهم : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر •

ومن ذلك ما جاء في الحديث عن النعمان بن بشير قال : انطلق بي أبي يحملني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اشهد أني قد نحت النعمان كذا وكذا من مالي فقال : أكل بنيك قد نحت مثل ما نحت النعمان ، قال : لا ، قال : فأشهد على هذا غيري ثم قال : أيسرك ان يكونوا اليك في البر سواء ؟ قال : بلى ، قال : فلا اذا ، رواه مسلم في كتاب الهبات من صحيحه •

قوله : (أيسرك) أي أيعجبك ويجعلك مسرورا ان يكونوا - أي اولادك جميعا - اليك في البر سواء - أي مستوين في الاحسان اليك وفي ترك العقوق عليك وفي الادب والحرمة والتعظيم لديك ، قال بلى ، قال : فلا اذا - أي اذا كنت تريد ذلك •

فلو قال له صلى الله عليه وسلم : ان هذا لا يجوز لكان كافيا لان قوله صلى الله عليه وسلم حجة • وهو الدليل بلا اشكال ولا ريب ولكنه صلى الله عليه وسلم بين له حقيقة الامر وأظهر له علة الحكم ليوقعه على الدليل بقوله :

أيسرك ان يكونوا اليك في البر سواء ، ومعلوم انه يسره ذلك كما انه ان فعل واعطى واحدا وترك الباقي فانهم لا يجتهدون في بره ولا يسارعون الى مودته هذا ان لم يحصل منهم ما يجرحهم الى العقوق والشحناء فانظر الى كمال تربية هذا النبي الكريم والرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه .

ومن ذلك : ان امرأة من جهينة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ان أمي نذرت ان تحج فلم تحج حتى ماتت أفأجح عنها ؟ قال : نعم حجي عنها أرأيت ان كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ أقضوا الله فالله أحق بالوفاء رواه البخاري .

فأنت ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم دلت على صحة قضائها الحج عن أمها بطريق قياسي ليكون ذلك اوقع في نفسها بالمعلوم وتشبيهه ما اختلف فيه وأشكل بما اتفق عليه ولا شك ان ذكر الدليل يعطى الحكم قوة وهو أطيب لنفس المستفتى وأذعن لاذعانه .

ومن ذلك : ما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل من بني فزارة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ان امرأتى ولدت غلاما أسود فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل لك من أبل ؟ قال : نعم ، قال : فما ألوانها ؟ قال : حمر ، قال : هل فيها من أورق ؟ قال : ان فيها لاورقا ، قال : فأني أتاها ذلك ؟ قال : عسى ان يكون نزع عرق ، قال : وهذا عسى ان يكون نزع عرق .

وفي رواية : قال يا رسول الله ولدت امرأتى غلاما أسود وهو حينئذ

يعرض بأن ينفيه ، وزاد في آخر الحديث : ولم يرخص له في الانتفاء منه
رواه مسلم في آخر كتاب اللعان من صحيحه .

فلو قال له صلى الله عليه وسلم : ان اللون لا دخل له في الحاق الولد
او تفيه ما دام أنه ولد على فراشه وفي مدة يمكن الحاقه به لكان كافيا ولكنه
صلى الله عليه وسلم أراد ان يبين له وجه الحكم ليقف منه على حقيقة
ويستمسك منه ببرهان فأعاده ووجه نظره الى نظيرها مما هو مسلم لديه
ومعلوم عنده ليقيس المجهول بالمعلوم ويرد المشكوك فيه الى المتيقن منه ،
(والاورق) هو الذى فيه سواد ليس بصاف والمراد (بالعرق) هنا الاصل من
النسب تشبيها بعرق الثمرة ومعنى (نزع) أشبهه واجتذبه اليه وأظهرها
لونه عليه .

العناية بذكر القصة

ومن منهجه صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم العناية بذكر القصة والاستعانة بها في شرح الفكرة وبيان المسألة المطلوب بيانها ، فتأتى القصة النبوية جامعة لكثير من الفوائد والمسائل منها ما يتعلق بالتوحيد فيبين بها فضل الايمان بالله ووجوب الصبر على قضائه وتسليم الامر اليه وفضل التوبة والرجوع اليه والصدق في معاملته وفضل التوكل والرضا ، ويبين بها كيف كان السابقون من أهل التوحيد يعذبون في سبيل الله ، ومنها ما يتعلق بالآداب العامة في كيفية معاملة الخلق من بر الوالدين وصلة الارحام والاحسان الى الضعفاء وغير ذلك من المعاني العظيمة والمبادئ الكريمة وتمتاز القصة النبوية بالصدق ، فهي صادقة الوقائع صادقة الشخصيات لان المتحدث بها هو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى .

والقصة النبوية ذات أهداف سامية ومقاصد عالية وهي جامعة لجمل من الفوائد وشاملة للعديد من المحامد تدعو اليها وتحض عليها .

قصة المتكلمين في المهد

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لم يتكلم في المهد (١) الا ثلاثة : عيسى بن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته امه وهو يصلى فقالت يا جريج فقال يا رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت : يا جريج فقال أي رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت يا جريج فقال يا رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فقالت : اللهم لا تمته حتى ينظر الى وجوه المومسات (٢) فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه فتعرضت له فلم يلتفت اليها فأتت راعيا كان يأوى الى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم قالوا زنت بهذه البغى فولدت منك قال أين الصبى ؟ فجاءوا به فقال دعونى حتى أصلى فصلى فلما انصرف اتى الصبى فطعن في بطنه وقال : يا غلام من ابوك قال فلان الراعى

(١) المهد : ما تهيء للصبى ، قال تعالى « كيف تكلم من كان في المهد صبيا » .
(٢) والمومسات بضم الميم الاولى واسكان الواو الثانية وبالسين المهملة وهن الزواني والمومسة : الزانية .

فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب
قال : لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا (١) .

وبينا صبي يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة
فارهة (٢) وشارة (٣) فقالت امه اللهم اجعل ابني مثل هذا
فترك الثدي واقبل اليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على
ثديه فجعل يرضع فكأنى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يحكى ارتضاعه بأصبعه السبابة في فيه فجعل يمصها ثم قال ومروا بجارية
وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت وهى تقول : حسبى الله ونعم الوكيل
فقالت امه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال : اللهم
اجعنى مثلها فهالك تراجعاً (٤) الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت
اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الامة وهم
يضربونها ويقولون زنيت سرقت فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم
اجعنى مثلها قال ان ذلك الرجل جبار فقلت لا تجعلني مثله وان هذه يقولون
زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعنى مثلها .

وفي هذا الحديث يحكى النبى صلى الله عليه وسلم قصة جريج احد
عباد بنى اسرائيل شغلته عبادته عن تلبية نداء امه والوفاء بحقها فدعت عليه

(١) هذا هو الثالث الذى أخبر عنه في اول الحديث .

(٢) دابة فارهة بالفاء اى حاذقة نفيسة .

(٣) والشارة بالشين المعجمة وتخفيف الراء وهى الجمال الظاهر فى الهيئة والملبس .

(٤) تراجعاً الحديث اى حدثت الصبي وحدثها والله اعلم .

فاجاب الله دعاءها وسلط عليه بغيا ادعت عليه الزنا فعذب وهدمت صومعته
وتحقت دعوة امه ثم انجاه الله تعالى ببركة عبادته فنطق الطفل ببراءته
وأعيد الى مكانه ، ويحكى النبي صلى الله عليه وسلم قصة امرأة عادية
بهرها مظهر رجل صحيح الجسم جميل الدابة مهاب المظهر فدعت الله ان
يكون ابنها مثله فأبى الصبي واعترض بانطاق الله له ونفرت من امرأة معذبة
مهانة متهمة بالزنا والسرقة فدعت الله ان لا يجعل ابنها مثلها فاعترض الصبي
ونطق اللهم اجعلنى مثلها ثم بين لها ان الرجل جبار •

وهكذا يبين الرسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه القصة معانى
جليلة ويدعو الى فضائل جميلة •

منها ان نفوس اهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر بخلاف اهل الحقيقة
فوقوفهم مع حسن السريرة وان العبرة بالعمل الصالح وان الحكم بالظاهر
لا يفيد ما في نفس الامر وانما يفيد الظن الراجح وان الله تعالى يتولى السرائر
ينصف المظلومين ويواسي المحرومين والمنهكين المتعبين •

ومنها عظم بر الوالدين وتأكد حق الام وان دعاءها مجاب وانه اذا
تعارضت الامور بدىء بأهمها وان الله تعالى يجعل لاوليائه مخارج عند
ابتلائهم بالشدائد غالبا قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقد
يجرى عليهم الشدائد بعض الاوقات زيادة في أحوالهم وتهذبا لهم فيكون
لطفًا •

ومنها استحباب الوضوء للصلاة عند الدعاء بالمهمات ومنها ان الوضوء
كان معروفا في شرع من قبلنا فقد ثبت في هذا الحديث في كتاب البخارى
فتوضأ وصلى •

ومنها اثبات كرامات الاولياء وفيه ان كرامات الاولياء قد تقع باختيارهم
وطلبهم وفيه ان الكرامات قد تكون بخوارق العادات على جميع انواعها •

تقريب المسائل بضرب الامثال

ومن منهجه صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم انه كان يقرب

المسائل بضرب الامثال •

والمثل من اوضح السبل وأظهرها في تصوير الحقيقة وتوضيحها

وتقريبها الى ذهن السامع •

يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو هريرة رضي الله عنه :

مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما الى

ترأسيهما فأما المنفق فلا ينفق الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفى بناه

وتعفو أثره واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها فهو

يوسعها فلا تتسع ، متفق عليه •

فهذا مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم للبخل والمتصدق فشبههما

برجلين اراد كل واحد منهما لبس درع يستتر به من سلاح عدوه فصبا على

رأسه ليلبسها والدرع أول ما يقع على الرأس الى الثديين الى ان يدخل

الانسان يديه في كسيهما فجعل المنفق كمن لبس درعا سابعة فاسترسلت عليه

حتى سترت جميع بدنه وجعل البخيل كمثل رجل غلت يداه الى عنقه فكلما

اراد لبسها اجتسعت في عنقه فلزمت ترقوته وهو معنى قلصت اي تضامت

واجتسعت والمراد ان الجواد اذا هم بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه

وتوسعت في الاتفاق والبخيل اذا حدثها بها شحت بها فضاق صدره وانقبضت يداه « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » وقال الملهب : المراد ان الله يستر المنفق في الدارين بخلاف البخيل فانه يفضحه ومعنى يعفو أثره يسحو خطاياها وتعقبه عياض بأن الخبر جاء على التمثيل لا على الاخبار عن كائن وقيل هو تمثيل لنماء المال بالصدقة والبخيل بضده •

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله مثل الحي والميت •

ففي هذا الحديث تشبيه البيت بالحي والميت من حيث وجود الذكر وعدمه شبه الذاكر بالحي الذي يزين ظاهره بنور الحياة واشراقها فيه وبالتصرف التام فيما يريد وباطنه منور بالعلم والفهم فكذا الذاكر يزين ظاهره بنور العمل وباطنه بنور العلم والمعرفة فقلبه قار في حظيرة القدس وسره في مخدع الوصل وغير الذاكر ظاهره عاطل وباطنه باطل وقيل المضاف فيه مقدر أي مثل ساكن البيت واعترض بأن ساكن البيت حي فكيف يكون مثل الميت • وأجيب بأن الحي المشبه به من ينتفع بحياته بذكر الله وطاعته فلا يكون نفس المشبه كما شبه المؤمن بالحي والكافر بالميت مع كونها حين في آية « أو من كان ميتا فأحييناه » على ان تشبيهه غير الذاكر من جهة ان ظاهره عاطل وباطنه باطل أنسب من تشبيهه بيته به •

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه •
رواه الطبراني والضياء عن جندب •

ففى هذا الحديث تشبيه العالم الذى يأمر بالخير ولا يَأتمر وينفع الناس ولا يسعى لنفع نفسه بالسراج الذى يضىء ويحرق ، والمعنى ان هذا العالم يحرق نفسه بنار الآخرة ، فصلاح غيره فى هلاكه هذا ان لم يدع الى طلب الدنيا والا فهو كالنار المحرقة التى تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما منقذ نفسه وغيره وهو الراغب الى الله عن الدنيا ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه وغيره وهو الداعى الى الدنيا واما مهلك نفسه منقذ غيره وهو من دعى الى الآخرة ورفض الدنيا ظاهرا ولم يعمل بعلمه باطنا وهذا وعيد لمن كان له ذكر او القى السبع وهو شهيد ، وكان علماء الصحابة فى غاية من الوجل والخوف ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها لفتى اختلف اليها يسألها وتحدثه فجاءها ذات يوم فقالت أى شيء عملت قال مه قالت فما تستكثرون من حجج الله علينا وعليك وقال عيسى عليه الصلاة والسلام للحواريين تعملون للدنيا واتم ترزقون فيها ولا تعملون للآخرة واتم لا ترزقون فيها الا بعمل وقال : يا علماء السوء بلا عمل جعلتم الدنيا على رؤوسكم والآخرة تحت أقدامكم قولكم شفاء وعملكم داء كشجرة الدفلى تعجب من رآها وتقتل من أكلها .

ومن ذلك فى هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم : مثل الذى يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذى يكثر الكنز فلا ينفق منه (طس) عن أبى هريرة (ح) .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى : مثل الذى يعلم

الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيلة تضيء للناس وتحرق نفسها ، رواه
الطبراني عن أبي برزہ (ح) •

وهذا مثل ضربه المصطفى صلى الله عليه وسلم لمن لم يعمل بعلمه وفيه
وعيد شديد قال أبو الدرداء وويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن علم ولم يعمل
ألف مرة ، وقال التستري الناس كلهم سكارى الا العلماء والعلماء كلهم
حيارى الا من عمل بعلمه وقال الدنيا جهل وباطل الا العلم والعلم حجة عليه
الا المعمول به والعمل هباء الا باخلاص والاخلاص على خطر عظيم حتى يختم
به وقال الجنيد متى أردت ان تشرف بالعلم وتكون من أهله وتنتصب له
قبل اعطائه حقه احتجب عنك نوره وكان عليك لا لك •

وقد وفقني الله تعالى لكتابة رسالة خاصة عن أصول التربية في العهد
الاول وكيفية منهجه صلى الله عليه وسلم في التعليم واستخلاص نظريات
تربوية وأسس منهجية من الحديث النبوي الشريف • ذكرنا هنا خلاصتها
والله ولي التوفيق •

اليوم أكملت لكم دينكم

كمال شريعته صلى الله عليه وسلم ووفاءؤها بحاجات البشر
ومسائرتها لروح العصر دون تحريف أو تبديل

الشريعة الاسلامية هي أكمل وأشرف وأشمل رسالة للهداية وهي
الشريعة التي ختم الله بها شرائع السماء وجعلها خالدة ، وكتب لها البقاء الى
أن يرث الله الارض - لذا كانت ثابتة مستمرة قوية البناء محكمة النظام ،
وافية بحاجة الافراد والجماعات •

ومعلوم أن الشريعة الاسلامية تحتوى على الاصلين العظيمين ،
والمصدرين الكريمين :

الاول : كتاب الله العظيم وصراطه المستقيم وحجته البالغة ، وآياته
الدامغة ومنهله العذب الراوى من ضلأ الجهالة •

والثانى : السنة النبوية المنيرة الشاملة لكل خير وسعادة للبشر في دينهم
ودنياهم ، وهي ما أضيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً
أو تقريراً وهي قد رضى الله عنها وأوجب اتباعها والرجوع اليها ، والعمل
بمقتضاها ، وأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم وجعل من تولى عن ذلك من
الكافرين ، وعلق كمال محبة الله بتسام متابعتة لسنته صلى الله عليه وسلم
وجعل طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في متابعة سنته طاعة الله سبحانه
وتعالى كاتباع قرآنه ، وبين أن جميع ذلك من الله وأنه لا ينطق عن الهوى
بل هو وحي يوحى ، فالقرآن من الله والسنة من رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأمر الله ورضاه ، فحينئذ يصح أن نقول : ان الذى وضع الاحكام
وأحل الحلال وحرم الحرام هو الله سبحانه وتعالى •

الشريعة الاسلامية وواقع الحياة

وشريعتنا - بحمد الله - تسير كل عصر وتصلح لكل جيل وتدور مع واقع الحياة وفي أصولها التشريعية القوة الكاملة التي تمدنا بتشريعات حية نامية متطورة تكفل للناس في مختلف بيئاتهم وعصورهم العدالة والاطمئنان والحياة الكريمة الطيبة .

وقد استطاعت الشريعة أن تقدم الدليل على صلاحيتها وقدرتها عندما أتيح لها أن تطبق في دنيا الواقع ، فكانت فترة تطبيقها فترة فاضلة توفرت فيها العدالة الاجتماعية والكرامة الانسانية وارتفعت فيها المثل العليا منارة تضيء لاجيال الانسانية المقبلة سلم الخير والمجد ، لقد نعم الناس بالحياة السعيدة وتفرغوا لحمل رسالة تحرير العالم كله من أغلال الظلم وكابوس الجهل وظلمات الضلالة .

وان واقع الامم الاخرى التي تعمل بأنظمة مغايرة لهذا الدين ليشهد لهذه الشريعة بالسو والكمال ، اذ تضطر هذه الامم أن تتنازل عن بعض ما في تشريعها ونظامها ، وأن تستعير من الاسلام أمورا عديدة .

فالشريعة الاسلامية تتسع لكل ما يجد للناس من أفضية وتقوم بتنظيم شؤونهم والوفاء بحاجاتهم مهما تباعدت ديارهم وتباينت اجناسهم واختلفت عاداتهم وطباعهم ، ولا يجحد ذلك الا من سفه نفسه .

أصول الكمال والسمو في الشريعة الإسلامية

والناظر في الفقه الإسلامي وأصوله وقواعدة لا بد أن يسلم منصفاً برحابة أفق الشريعة وتام اقتدارها وصلاحياتها على تنظيم حياة الناس وتكفلها بمعالجة شؤونهم وانها لم تتجر أحكامها على طريقة واحدة من التفصيل والبيان بل عالجت بعض المسائل على استقلال وأدمجت كثيراً من المسائل تحت قواعد كلية ، وتركت للمستنبطين من أولى العلم تطبيق هذه القواعد الكلية على المسائل الجزئية وما وجد وما يجد .

وعلى هذا تفهم قول الله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وبهذا المعنى ينبغي أن تفهم معنى التطور والتجديد في الشريعة الإسلامية وهي رحمة محضة وعناية ربانية بهذه الأمة .

ولذلك جاءت الشريعة الإسلامية على نظام يحفظ هذا الانتظام وفي نسق يضمن التناسق التام بين الأصول والقواعد الثابتة وبين الحوادث والنوازل العصرية المختلفة ، وهذا الانتظام والتناسق هو العامل الرئيسي الذي أرادته الحق تبارك وتعالى لحفظ هذه الشريعة وبقاء هذا الدين مصوناً عن عبث العابثين وتخريب المخربين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين .

وإذا علمت هذا فاعلم أيضاً أن هذا الانتظام والتناسق يعتمد في جوهره وسره على أصول يتصل بعضها ببعض ويكمل بعضها بعضاً هي تاج التشريع الإسلامي ، تاجه المتلألئ في جلال وكمال ، وهي المحور الذي يرتكز عليه وهي سمات وصفات وأسس التطور والتجديد والكمال .

فتح باب الاجتهاد

الاسلامى يقوم على الاجتهاد وذلك لان الاحكام التى وردت نصوصها في أول تلك الاصول والركائز والسنن فتح باب الاجتهاد ، فالتشريع الاسلامى يقوم على الاجتهاد وذلك لان الاحكام التى وردت نصوصها في الكتاب والسنة معدودة ومحدودة ، فقد ذكر ابن القيم في أعلام الموقعين ان عدد الآيات التى هى أصول الاحكام في القرآن لا تزيد عن ستة آلاف آية ، وعدد الاحاديث التى هى أصول الاحكام خمسمائة حديث منتشرة في الآلاف الاحاديث ، فأصول الاحكام في هذه الشريعة من القرآن والسنة خسون وستسائة نص هى أساس هذا التشريع الاسلامى الضخم الذى بقى الى يومنا هذا يؤتى منفعه لابناء هذه الملة •

ولقد علم القرآن المسلمين ان يجتهدوا وان يستنبطوا وان يسترشدوا بعلمائهم ومفكريهم ، يقول الله سبحانه في محكم آياته : « واذا جاءهم امر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه مهم » •

وهى دعوة صريحة الى الاستنباط والاجتهاد ، ولذلك حدثنا التاريخ عن الصحابة الفقهاء الذين عرفوا بالاجتهاد في الاحكام والاقضية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وحدثنا التاريخ أيضا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف كان يدرّب أصحابه على القضايا والاحكام ويشجعهم على حرية التفكير وحرية الاجتهاد ويسلأ قلوبهم ثقة وطمأنينة عند الخوف من الخطأ مع الاجتهاد •

فللمجتهد المصيب أجران وللمخطيء أجر، والله سبحانه وتعالى يقول: «وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيمًا» وعلى هذه السماحة المشرقة والاجتهاد الكريم الواسع قامت حياة المسلمين منذ فجرهم الاول، فكان الصحابة رضوان الله عليهم يجتهدون ويشجعهم الرسول على هذا الاجتهاد ويباركه وتشرجت نفوسهم الحرة مبادئ الاسلام فكانوا يختلفون في فهمهم للقضايا، وفي فهمهم للاحداث ولكنه اختلاف الاحرار لا يعرفون لجاجة ولا خصومة ولا يتنازرون بالالقباب ولا يتراشقون بالتهم ولا يفكرون في أن يحجروا رأيا أو يقيدوا فكرا .

وأكبر شاهد ناطق موقفه صلى الله عليه وسلم منهم يوم بنى قريظة اذ قال لهم: لا يصلين أحد العصر الا في بنى قريظة فأدركهم وقت العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلى حتى نأتيها، وقال بعضهم بل نصلى ولم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدة من الطائفتين وعلق على ذلك ابن عبدالبر بقوله: «هذه سبيل الاجتهاد على الاصول عند جماعة الفقهاء» كما سن الرسول صلى الله عليه وسلم لولاته في الامصار ان يجتهدوا وكانوا يرون أن أكبر نعم الله على عباده هو أن يؤتيهم فهما في القرآن وفهما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهما في قضاياهم . وبهذا الفهم الكامل لروح الاسلام وبهذا الاجتهاد المتصل في سر وسماحة وطلاقة ساير التشريع الاسلامي تطورات المسلمين من الجزيرة العربية الى سهول الارض وقمم جبالها اينما كانت الحياة، فما أحسن المسلمون يوما بقصور التشريع وما احتاجوا لحظة من زمن - والدنيا في أيديهم - الى فوائن

من غير شريعتهم ولا الى مشرعين (١) من غير فقهاءهم بل كانوا مشرعين لانفسهم
والانسانية كافة حتى ليقول (ويلز) في كتابه « ملامح تاريخ الانسانية » ان
أوربا مدينة للاسلام بالجانب الاكبر من قوانينها الادارية والتجارية .
ومشت الحياة بالمسلمين رخاء طيبة وحياتهم قوية عزيزة متطورة مع
الخطو الانساني السريع بفضل الامدادات المتعاقبة من الدراسات الاجتهادية
الحررة التي كانت سمة العالم الاسلامي وطابعه المميز حتى انحرف الناس
عن المنهج الرباني فانحرفت بهم المركب وغرقت يوما ونجت يوما نجات الغريق
العريان .

الثاني : اعتبار المصلحة في التشريع

ومن ركائز الكمال في الشريعة هو اعتبار المصلحة في التشريع الاسلامي
وقد أشار العلامة عز الدين بن عبدالسلام الى هذا المعنى فقال في كتابه قواعد
الاحكام : « والتكاليف كلها راجعة الى مصالح العبادة في دنياهم وآخرتهم
والله غنى عن عبادة الكل ، لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين ،
وان مصالح الآخرة لا تتم الا بمصالح الدنيا » .

ويقول الامام الشاطبي : « والمعتد أن الشريعة انما وضعت لمصالح
العباد ، علم ذلك بالاستقراء فان الله تعالى يقول في بعثة الرسل وهي الاصل :
« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

(١) بتشديد الراء .

(٢) احد المستشرقين .

يقول ابن القيم في أعلام الموقعين : « ان شريعة الله مبناها في الحكم
مصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها
وحكم كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى
ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من
الشريعة . »

فشريعة الله الخالدة كائن حي تتسع أحكامها للمصالح العامة بشرط
أن لا يكون في ذلك اهدار حكم الهي أو اعتداء على قاعدة اسلامية أو تبديل
لشريعة الاسلام .

الثالث : العناية بالقواعد الكلية الجامعة

من أصول الكمال في الشريعة الاسلامية العناية بالقواعد الكلية الجامعة .
أقامت الشريعة دعائم كلية وقواعد جامعة يبنى على كل دعامة منها
أصول وأحكام يستخرجها العارف بطبيعة النوازل العالم بسقصد الشارع
في أمثالها ، ومن هذه القواعد الجامعة مثلا قاعدة العبادات . وهي أن الله
سبحانه وتعالى لا يعبد الا بما شرع ، ولذلك كانت العبادات كلها توقيفية
لا تعلم الا من جهة الله تعالى لانه هو الذي يعلم ما يرضيه وما لا يرضيه .
وقد بين في كتابه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يتعلق
بذلك ، فعبادة الله تكون بكتاب الله وسنة رسوله واتباع السلف الصالح .

قاعدة المعاملات

وهي ان المعاملات تطلق حتى يعلم المنع . وعليه فمما سكت عنه الشارع
ولم يرد عنه أمر به أو نهى عنه أو تخيير فهو محل نظر . وخلاصة ما قيل في هذا

الباب هو أن ما سكت عنه الشارع من المعاملات ولم يشتمل على ضرر يكون الاصل فيها الصحة ، ودليل هذه الوجة هو أن العقود والمعاملات تنبنى على عادات الناس وعرفهم ، ولذلك فهي تتحرى على ذلك ما لم يأت عنه نهي ولهذا قال الله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم » وهو يقضى ان كل شيء حلال الا ما فصل تحريمه في القرآن والسنة ، فكل شرط او عقد او معاملة سكت عنها فانه لا يجوز القول بتحريمها حتى يرد دليل على منعها او يظهر اشتغالها على ضرر لان سكوتها عنها انما هو رحمة لا نسيان كما روى الترمذى عن سلمان الفارسي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا لكم ، ومثله ما أخرجه الدارقطنى عن أبى ثعلبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها •

وهناك دعائم أخرى مشهورة اعتنى العلماء بجمعها وترتيبها وتصنيفها وشرحها ونظمها وخدمتها خدمة كبرى ، منها : المشقة تجلب التيسير ، ومنها : الضرر يزال ، ومنها : الامور بمقاصدها ، ومنها : اليقين لا يزال بالشك ، ومنها : العادة محكمة •

الرابع : الدعوة الى فتح باب العلم

من أصول الكمال في الشريعة فتح باب العلم بالتأكيد على فضله والتحريض على اكتسابه وبيان شرف أهله ويسكن القول بأن من مفاخر الاسلام أنه أكبر مناصر للعلم وأعظم محرض على اكتسابه وكانت أول فقرة نزلت من القرآن تتصل بالقراءة والعلم •

وقضية العلم في الاسلام أشهر من ان تذكر او تحصر ، وآيات الكتاب وأحاديث سيد المرسلين فيها دلائل واضحات تشير بوضوح الى جملة كبيرة من المسائل التي رفعت شأن العلم والعلماء والمتعلمين والعناية بالقواعد الكلية .

الخامس : عدم وجوب التزام بمذهب معين

من أصول الكمال في الشريعة الاسلامية المرونة وعدم الجمود في التزام رأي معين أو مذهب خاص فيما شأنه الاجتهاد والنظر لان النص الشرعي قد يحمل أكثر من معنى واحد دون أن يكون ثمة ما يقطع بصحة معنى واحد منها دون المعانى الاخرى .

والطريق الذى يترجح به هذا المعنى المستفاد على المعنى الآخر المستفاد من نص واحد هو : الاجتهاد والنظر والبحث .

كما أنه بالبحث والنظر والمراجعة يسكن ترجيح المعنى المرجوح في زمن آخر يقتضي ترجيحه لمصلحة .

ولم يوجب علينا الشرع الزام معنى ظهور رجحاته عند امام أو عالم مهما تغيرت الاحوال واختلفت الازمنة .

بل عذر الخلق اذا ما اختلفوا فيها ورفع عنهم الحرج ومنح المخطئ منهم في اجتهاده اجرا والمصيب اجرين تشجيعا للبحث والتأمل لاستجلاء ما فيه المصلحة الراجحة للجميع .

ولذلك وقع الخلاف في هذه المسائل والاحكام وهو رحمة الله على هذه الامة وان من فضل الله على الناس في هذا الاختلاف تكثير الطرق

الموصله للنجاة كما ان قلة الاصول في الحكم نعمة اخرى قصدها صاحب
الشريعة حتى كان ينهى اصحابه ان يكثروا من سؤاله لتبقى الاشياء على
أصلها وهو الحل والاباحة « ابن عابدين ١٠٩/١ » :

ولم يكن ائمة الدين والفقهاء يلزمون الاخذ بمذاهبهم والتزام العمل بها ،
بل كانوا يرون غضاضة من هذا الخلاف وكان الواحد منهم اذا رأى المصلحة
لا يأتف ان يرجع اليها .

فأبو حنيفة مثلا كان يفضل الصدقة على حج التطوع فلما حج ورأى
مشقته عاد عن قوله هذا الى تفضيل الاخير ، ولمحمد رأى في النجاسات عدل
عنه لما ذهب الى مرو - ورأى بلوى الناس بها .

ومالك أيضا كان يقول بأشياء ثم رجع عنها .

والامام الشافعي امام المذهب الشهير لما انتقل من العراق الى مصر عاد
فأنشأ مذهبا جديدا وترك مذهبه الاول ، الا بضعا وعشرين مسألة منه .
لهذا كان السلف الصالح من العلماء يعذر بعضهم بعضا اذا ما اختلفوا
فيها ولا يعيب أحد منهم رأيا رآه غيره ولا يخفى موقف الامام مالك الذي
لم يرض للخليفة هارون الرشيد ان يجبر جميع المسلمين على العمل بكتابة
الموطأ مع شدة تحري الامام مالك في روايته له وموافقة علماء الدين عليه
وعلى مالك رفضه هذا بقوله ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
تفرقوا في البلاد وقد يكون عند بعضهم من الاحاديث ما لم يبلغنى ولو بلغنى
لغيرت شيئا مما دوتته ولهذا كان الامام المجتهد ينهى من يستفتونه ان يتخذوا

فتواه دينا يقلدونه أو أن يجعلوه سبياً للتفرقة وبناءاً على ذلك كان بعضهم يعمل باجتهاد غيرهم ترخصاً أو موافقة لجماعة المسلمين .

ومن هذا ما روى عن الامام أحمد رحمه الله : كان يرى ان الحجامة او الفصد تنقض الوضوء فسئل عن رأى الامام احتجهم وقام الى الصلاة ولم يتوضأ هل يصلى الامام أحمد خلفه .
فقال : كيف لا أصلى خلف مالك وسعيد بن المسيب .

وكان أبو حنيفة وأصحابه يرون الوضوء من خروج الدم ولكن أبا يوسف « صاحب أبي حنيفة » رأى هارون الرشيد احتجهم . وكان مالك أفتى هارون بأنه لا وضوء عليه اذا هو احتجهم فصلى أبو يوسف خلفه ولم يعد الصلاة .

وروى ان الشافعى رضى الله عنه ترك القنوت في الصبح لما صلى مع جماعة الحنفية في مسجد امامهم بضواحي بغداد فقال : كثير من الناس فعل ذلك أدبا مع الامام .

وأيضاً كان كبار علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من مجتهدى السلف يتحاشون ان يسمو آراءهم الاجتهادية حكم الله أو شرع الله بل كان أعظمهم قدراً وأوسعهم علماً يقول : هذا مبلغ علمى واجتهادى فاذا كان صواباً فمن الله وان كان خطأً فسنى ومن الشيطان .

وكان مما يوصى به النبى صلى الله عليه وسلم أمير الجيش قوله اذا حاصرت قوما فأرادوا ان تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا « رواه أحمد ومسلم » قال ابن القيم في أعلام الموقعين : لا يجوز للمفتى ان يقول هذا

حكيم الله أو أحل كذا أو حرم الله كذا تبعا لشيء وجده في الكتاب الذي تلقاه عن قلده بل يقول هذا قول فلان •

وعلى هذا المنهج الفريد الحميد وبتلك الروح الخالصة المخلصة الصادقة سار أئمة السلف الصالح رضي الله عنهم فكانوا بهذا أقرب في الوصول الى الصواب وأسرع بلوغا اليه اذا لمحوه وأقوى تمسكا به اذا أدركوه وكان شعارهم جميعا في ذلك هو أن الرجوع الى الحق من أمهات الفضائل وكان من أثر ذلك في علاقة بعضهم ببعض نوره روح التسامح فيما بينهم وقوة المحبة والاخوة في الله وفي سبيل الحق والتعاون على كل ما يوصل الى رضا الله والى سعادة الامة •

فبارك الله لهم في أعمالهم وأعمالهم وحفظها من أن تضيع في جدل عقيم سقيم ليس له من باعث سوى العناد للرأى والاتصار للمذهب مهما بعد عن الحق أو ظهر خصوه •

وحفظهم سبحانه كذلك من التخاصم والتحاسد ومن كل ما يفسد القلوب ويحبط الاعمال فنفعهم بأعمالهم ونفع الامة بها وها هي آثارهم لا زالت منارا يهتدى به من أراد سلوك طريقهم ونموذجا لمن وهبه الله ما وهبهم من فقه في الدين وحرص على تحرى الحق وأراد ان ينفع كما نفعوا ويشركوا كما أشركوا •

ولعل من أسباب نجاحهم أنهم يفترون من نهر واسع الجنبات عميق الغور ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله يرتوى منه كل منهم على قدر استعداده ولا يقابل من غيره بعتاب ولا ملام •

وكان بعضهم يفهم في الآية او الحديث فهما ويفهم غيره فهما فهما آخر
 فيناقش كل صاحبه بالتى هي أحسن فان كانت النتيجة اتفاقا حمدا الله تعالى
 وان كانت الاخرى عذر كل صاحبه وانصرفا صديقين متحابين مع ملاحظة ان
 اختلافهم هذا كان مع اعترافهم جميعا بحجية هذه الادلة جملة ووجوب
 الرجوع اليها وأن التعبد بها واعتبار حجيتها انما ثبت بدليل قطعى متواتر
 وان انكار جملة هذه الادلة وان كانت تفيد الظن - كفر صريح - اذ هو
 في الحقيقة انكار للدليل القطعى اليقيني الذى أمر بوجوب اعتبارها . وأحب
 هنا أن أنبه على مسألة مهمة يقع فيها كثير من يظن به الخير وهى عدم التفريق
 في انكار الآحاد بين انكار خبر واحد في مسألة بخصوصها وبين انكار جملة
 أخبار الآحاد قائلين في كلا الامرين عند الحاجة والمباحثة وان منكر الآحاد
 لا يكفر بل يفسق وهذا خطأ أو جهل اذ يدخل في ذلك انكار السنة النبوية
 كلها الا شياً يسيراً - والواجب ان تفرق بين انكار الآحاد جملة واحدة
 لانها آحاد وبين انكار خبر واحد بلا مبرر او عذر ونقول ان منكر الآحاد
 « أي جنس الآحاد » جملة واحدة كافر لانه في الحقيقة منكر للسنة النبوية
 اذ هى أغلبها آحاد وان منكر خبر او نحوه في مسألة بخصوصها فاسق اذا كان
 بلا مبرر أو عذر يقتضى ترك الاخذ به فينبغى ملاحظة هذه النقطة .

معنى التطور في الشريعة

وهذه المرونة والتطور والمسايرة في الشريعة قد يفهمها قوم على غير المراد ويذهب بهم الوهم الى تصور ان الاسلام لا يرد شيئاً مما يجد ويحدث كائناً ما كان مهماً لاح لهم بزعمهم صلاحه وتراءى في عدم تدقيق أيضاً لهذا على قواعد التشريع وركائز الاحكام ودلائله ثم في عدم تدقيق أيضاً لهذا الذى يحدث هل النفع فيه حقيقى وهل صلاحه متأكد؟

والذى يجب في هذا هو تصحيح التصور وتصفية النظر والغوص على الحجج والدلائل الى الاعماق حتى لا تقع في شر من حيث نريد الخير وكم من مرید للحق لن يصيبه ، نعم ان صدر الاسلام رحب ومجاله فسيح ولكنه ليس يلزم من هذا أن يتقبل كل جديد دون تحقيق بالقبول ، حقيق ان الاسلام يقبل أشياء ويرفض أشياء ففيه الحل والحرمة والوجوب والكراهة فعلى المطالعين ان يعقلوا عن الكاتبين الاسلاميين - وفقهم الله - مرمى كلماتهم ومغزى عباراتهم من غير تسرع الى التزام ما ليس مراداً مما قد يسبق الى الاوهام وتسوء به الافهام .

تحديد معنى الاجتهاد

وتحديد معنى الاجتهاد في الاسلام ليس تضييقاً بل هو ضبط لقواعده وحماية له لا بد منها وتنظيم لطرقه وترتيب لاصوله وتسييز لافراده واخراج للمتظلمين الادعاء من الذين يحسبهم الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ولذلك يقرر أئمة الاصول ان الاجتهاد لما كان مرتبة عظمى شرعية ودرجة

كبرى عليه فانه يحتاج الى سعة في العلم وغزارة في المادة ومعرفة تامة بأنواع الأدلة الشرعية ومن هنا كان مدعى الاجتهاد المطلق في هذا العصر الاخيرة ينبغي له أن يراجع نفسه ويتبصر في دعواه فقد يرى بعد التثبت انه جاهل بمقدار الرتبة التي يدعيها أو جاهل بمقدار نفسه وهو في كل ذلك ليس معذورا وقد جاء رجل يملأ شذقيه فخرا بدعوى الاجتهاد ويريد الاستنباط من الكتاب والسنة العربيين وهو لا يعرف قراءة العبارة سالمة من اللحن بل ولا يعرف علم النحو اصلا الذي هو مفتاح العربية فبالله كيف يصبح من أمثال هؤلاء دعوى الاستنباط كاستنباط السلف الصالحين أو أن يكونوا في عداد المجتهدين •

ولسنا ندعى غلق باب الاجتهاد بل هو مفتوح على مصراعيه الى يوم القيامة ولكن لمن كان أهلا لذلك وتحقق بأهلية الاستنباط وعرف ما يجب ان يعرفه من ناسخ ومنسوخ ومجمع عليه فان فضل الله واسع والمواهب منح والله ذو الفضل العظيم ، نعم : قد يهب الله تعالى لبعض عباده فتحا في القرآن وفهما في السنة النبوية يؤهله لمراجعة بعض المسائل او البحث في بعض القضايا أو استظهار فهم جديد او الوصول الى معرفة بعض الحقائق او معرفة حكم بعض النوازل والوقائع وتأصيلها الا أن ذلك لا يسموا به في مجسوعه الى درجة الاجتهاد المطلق ، بل يكون باحثا او صاحب نظر ورأى فدعوى الاجتهاد ممن ليس أهلا له ككسة حق أريد بها باطل وموضوع فتنة عن حلية الحق عاطل، وتدليس للحق وتنفير عن متابعة السنة والجماعة ومخالفة للجمهور •

وكم بلينا معشر المسلمين بجهلاء يحبون تفريق كلسة الدين ويلمزون الائمة المتقدمين ويوقدون نار الفتن ويشوهون سمعة العلماء ويحبون المخالفة

في كل شيء وراء المصالح واطاعة للشيطان وحبا للمادة وطلبا للرياسة وتفريقا للكلمة وتشويشا على العوام فيدخلون عليهم من باب الحث على النظر والبحث وطلب الادلة الى « قضية ان الاجتهاد واجب والتقليد حرام » هكذا يطلقون هذه القضية على ما هي عليه فيبقى العامي متخطبا في متاهات من العلم الموهوم والبحث المزعوم ، فلا هو بقى على ما هو عليه ولا هم علموه ليصنعوا منه مجتهدا ومن ذا الذي يقول بأن الاجتهاد واجب على جميع الناس وفيهم العوام والجهلاء وأرباب الصنائع فان كان ينكر وجودهم في الامة فتلك مكابرة للحس وانكار للمشاهدة وان كان يعترف بوجود العوام المحتاجين الى التقليد فلا شك أن تقليد العوام لاهل القرون الثلاثة السابقين من الأئمة الاكابر اولى وأحق من تقليد غيرهم ، فقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالخيرية فقال : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الدين يلونهم » •

وهي شهادة صادقة فيهم رضى الله عنهم مع كونهم انضبطت مذاهبهم وصفت مشاربهم وتحررت اقوالهم وفتاويهم عن اتباعهم نقلا صحيحا او متواترا خلفا عن سلف فكيف يترك اتباع هؤلاء العلماء الى تقليد من لا يعرف مواقع الاجماع ولا أسرار التشريع • ولا كيفية الاستنباط •

وليس القصد من هذا النيل من شخصية ذاتية او تحقير احد بعينه فان ذلك امر لا يعنى به العاقل ولا يتألم منه الجاهل — ما لجرح بسيت ايلام — انما القصد من ذلك ارشاد المسلمين وتنبيه المتعلمين لتقدير السلف الصالحين والحث على جمع الشمل وتوحيد الكلمة فان ذلك اكمل واهم واحق ما بدلت له الهمة ونحن أحوج الى الوئام من تفرق يذهب القوة والاستعداد فتداعى علينا الامم تداعى الاكلة على القصاص ونحن في غمرة ساهون •

تهمة باطلة وظن فاسد

وقد ظن بعض القاصرين ممن لم يتثقفوا بالثقافة الاسلامية الصحيحة قصور الشريعة الاسلامية عن الوفاء بحاجة البشر في كل زمان ومكان وصوروا هذا التحديد لسلطة التشريع في الاسلام تقييدا فوصفوا الشريعة بالجسود والخمود وادعوا زورا وبهتانا انها لا تصلح لهذا الزمان . ولا يمكن ان تساير روح العصر . وان المسلمين مضطرون ان يلجأوا الى القوانين الوضعية لتنظيم مجتسعهم وسياستهم بجانب علمهم ، بأحكام الفقه الشرعي الذي وصل اليه فقهاء العصور الاولى من الاسلام وذلك انه كلما اتسع العمران وارتقت العلوم والصناعات وتشعبت مذاهب الحياة تجددت حوادث ونبتت مشاكل وعرضت شئون لم يكن للناس عهد بها من قبل ، ولذا زعموا انه لا يمكن الاكتفاء بالشريعة دون غيرها ولا يمكن الاقتصار على ما شرعته . فراحوا يتخبطون في الاستمداد من القوانين الوضعية ويعتبرونها اصلا ومصدرا يساوي الشريعة . وأخذوا يحللون الحرام ويحرمون الحلال بما يناسب في نظرهم وتفكيرهم الحال زمانا ومكانا دون تفريق بين أصل وفرع وظن وقطع . ان صدور مثل هذه الفرية من أعداء الاسلام أمر ليس بغريب ولا مستنكر لان أعداء الاسلام لم تكفهم الحروب السافرة والمؤامرات المدمرة التي تسفك فيها الدماء وتنتهك الاعراض وتسلب الاموال وتضاع الحقوق

بل شنوا حروبا اخرى هي حرب الاكاذيب والمفتريات والتمويه والتضليل
وتشويه الحقائق وقلب الاوضاع وخلق النقائص •

لكن العجيب ان يصدر مثل هذا من ابناء بلدتنا ممن يتكلمون بالسنتنا
وينسبون الى الاسلام ويحسبون عليه في تنكر ظاهر لشريعتهم بعد ان اعترف
بها وسلم بسعة أفقها أعداء الاسلام ، فهذا مؤتمر القانون المقارن المعقود في
لاهاي سنة ١٩٣٧ الذي اجتمع فيه مفكرون وباحثون غربيون من مختلف
بلاد العالم يقرر :

(١) اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام •

(٢) اعتبار الشريعة الاسلامية شريعة حية •

(٣) اعتبارها قائمة بذاتها ليست مأخوذة من غيرها •

ولا نشك ان هؤلاء الذين ينتسبون الى الاسلام من أعظم دسائس
الاستعمار وأخطر مؤامراته ومخططاته التي أراد بها تهديم المجتمع الاسلامي
والايمان عليه من القواعد ، اذ ألقى في أذهانهم - لما رضعوا في دياره ونشأوا
في أحضانه - ان من اكبر أسباب انحطاط المسلمين اليوم وتخلفهم عن ركب
الحضارة انما هو تمسكهم بدينهم وان دين الاسلام هذا لا يتفق مع العلم
وان التمسك به لا يؤدي الى التقدم والتطور بل يقف حجر عثرة في سبيل ذلك
كله « هكذا قال أعداء الاسلام » فتأثر بهذه الفكرة الجهلة من أبناء المسلمين
وأجروا اقلامهم للاستعمار وأذنا به وقد فات هؤلاء الدسائس الفرق الشاسع

بين ديننا ودينهم وان دينهم ورجاله وقفوا قبل فترة من الزمان في وجه النهضة الحضارية الاوربية وعرقلوا تقدمها وقادوا حركة التخلف فوققوا من دينهم موقف العدو والحاقد ، لكن ديننا ورجاله وقادته أقاموا صرح الحضارة الاسلامية الخالدة في التاريخ وهم الذين حركوا العالم من نومه وجهله فقادوا حركة النهضة ، فينبغي أن نقف من ديننا موقف الصديق القائد لا موقف العدو والحاقد .

وهؤلاء كبار رجال القانون والفكر في وأربا يعلنون في الندوة العسية المنعقدة في الرياض في شهر صفر سنة ١٣٩٢ - ليعلنون اعجابهم بأحكام الشريعة الاسلامية وما سمعوه عن الحقائق عنها وحقوق الانسان فيها . وقال رئيسهم « المستر ماك برايد » الاستاذ في جامعة دوبلن ووزير خارجية ايرلندا السابق : من هنا ومن هذا البلد الاسلامي يجب أن تعلن حقوق الانسان لا من غيره من البلدان وقال زميله : ان أحكام القرآن في حقوق الانسان هي لا شك تفوق على ميثاق حقوق الانسان .

الثامن

ان السيرة النبوية وسير الصحابة رضي الله عنهم وتاريخهم هي القدوة الحسنة في مناهج الدعاة ، والمصدر الكبير لقوتهم الايمانية وعاطفتهم الدينية يقتبسون منها شعلة الايمان ، ويشعلون بها مجامر القلوب ، يرون فيها دعوة احتضنها الايمان والصدق فهانت في سبيلها الانفس على أصحابها ، والاموال على أربابها والعشيرة على أهلها واستعذب العذاب لاجلها ، وتتابعت الرحلات لشرها في مشارق الارض ومغاربها وسهولها وحزونها وأغوارها وأنجادها فنسيت في ذلك اللذات وهجرت الراحة وتركت الاوطان وبذلت المهج وحر الاموال حتى أفضى اليقين على القلوب وسيطر على النفوس والعقول ، وأقبلت القلوب على الله وهبت ريح الايمان قوية عاصفة طيبة مباركة ، وقامت دولة التوحيد والايمان والعبادة والتقوى وانتشرت الهداية في العالم ودخل الناس في دين الله أفواجا .

ومن هنا اشتدت عناية المصلحين والمجددين بهذه السيرة المباركة لتكون قدوة حسنة ، ومادة لتجديد البعث الجديد في حياة المسلمين وايقاظ همهم والهيب قلوبهم بجدوة الايمان والحماسة الدينية ، وليس لمجرد الوقوف على الوقائع التاريخية أو سرد القصص والاحداث بل لمشاهدة الحقيقة الاسلامية في مجموعها العملي التطبيقي مجسدة كاملة في مثلها الاعلى محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام .

وان هذه السيرة العطرة في شخصية هذا النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام رضوان الله عليهم ترسم المنهج السوي والطريق المستقيم

والسنن البينة الواضحة لدعاة الصلاح والاصلاح وأساتذة الارشاد والتعليم
وتضمن لهم ان ساروا عليها النجاح والصلاح وتحقيق المرام على أكمل
وجه وأحسنه .

وان هذا الفراغ الفكرى والخلاء الهائل المهيمن على العقول عن هذه
السيرة الكريمة ، وعن هذا التاريخ الاسلامى المجيد الذى خرج أمثال أولئك
الابطال الفر الميامين والغزاة الفاتحين قادة العالم وأساتذة الحضارة الاسلامية
حماة الاسلام الاعزة الاتقياء الذين هدوا العالم ودكوا العروش وفتحوا
البلدان ، وثقفوا بالمعارف الازدهان ، وأسسوا حضارة اسلامية مزدهرة على
تقوى من الله ورضوان ، وبنوا صرح دولة اسلامية عتيدة من الشرق الى
الغرب .

هذا الفراغ عن هذه السيرة أمر له خطره الجسيم . وعاقبته الوخيسة
وتتبعته السيئة في الامة الاسلامية ان لم نرجع الى سيرة مجدنا القديم
ونستمد حضارتنا من أصول تلك الحضارة العريقة ، ونكون على صلة وثيقة
تامة بأبطالنا ورجالنا وتاريخ حياتهم الذين تخرجوا في مدرسة الانسان الكامل
صلى الله عليه وسلم، فهم الذين لا يؤخذ الا عنهم ولا يقتدى الا بهم . ولا يسع
الا لهم ، ولا يصلح لنا حال الا بسا صالح حالهم به .

نسألك اللهم ان تبعث لهذا الدين الراعى الامين والقائم الرشيد الذى
يعيد لنا المجد ، ويبعث فينا منه النهضة يجمع الشتات ويرفع الرايات ويصلح
الامة ويكشف الغمة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، يقيم حكمتك ويسضى
أمرك وينشر عدلك ويغار على محارمك وينصر عبادك المؤمنين آمين .

محمد علوى المالكى

غرة ربيع الأول ١٤٠٠ من الهجرة النبوية

فهرس كتاب الانسان الكامل

صفحة	
٣	المقدمة
١٠	كمال صفاته ومواهبه الذاتية
١١	طهارة نسبة الشريف
١٤	كمال خلقته وصورته
	وجهه الشريف
١٦	خده - عينه
١٧	الراس والجبين
١٩	مزية الجمال النبوى
٢٤	كمال اعتناءه بمظهره الشريف
	اعتناؤه ببدنه . بشعره . بعينه . بأسنانه . بشيابه وهيئته . بنظافة
	بيته ومسجده
	صوته
٢٩	كمال خلق القلب المحمدى
٣٣	حكم وفوائد من شق صدره الشريف صلى الله عليه واله وسلم
٤٠	كمال العقل المحمدى
٤٤	يقظته صلى الله عليه وسلم
٤٥	حسن مدارته
٤٦	حسن اختياره للرسول
٤٩	كمال قوته البدنية صلى الله عليه واله وسلم
٥١	كمال علمه صلى الله عليه واله وسلم
٥٨	كمال فصاحته وبلاغته
	كمال معارفه الدنيوية بالتخطيط والتنظيم لشؤون الاسكان والاسواق
٦٩	وغير ذلك

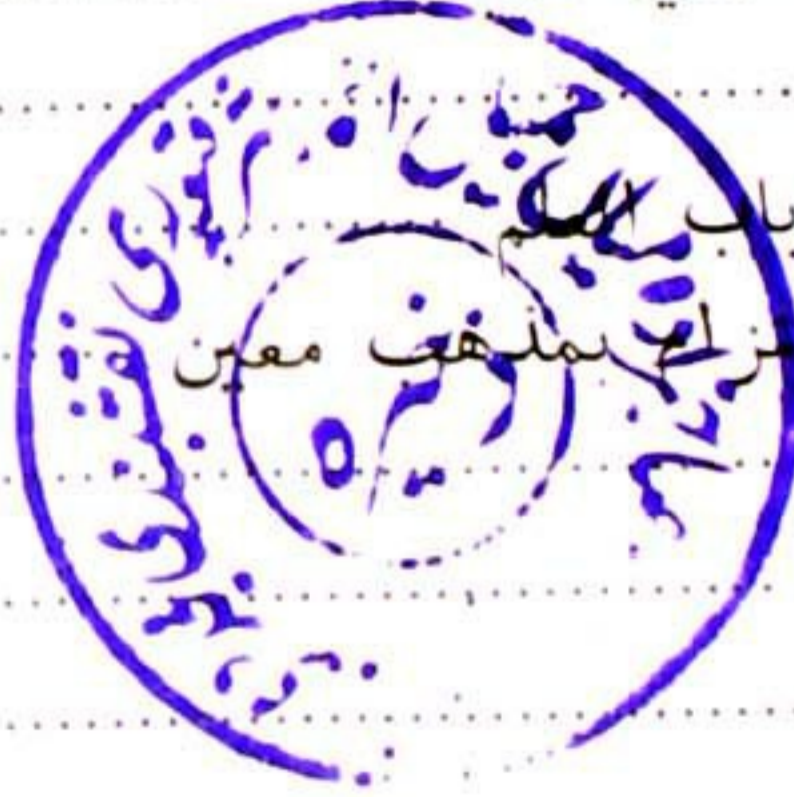
صفحة

٧٥ كمال الادب في الخطب النبوية
٧٧ كمال حكمته في اسلوب الدعوة
٨١ كمال عصمته عن النقائص والشبهات وحفظ الله تعالى له من الاعداء والشياطين والمخالفات
٨٢ كمال حفظ الله تعالى له
٩٠ كمال عصمته صلى الله عليه واله وسلم من الشيطان
٩٨ كمال عصمة الله تعالى له من النقائص والشبهات
١٠٤ حول قصة زيد بن حارثة
١٠٧ ووجدك ضالا فهدى ودفع شبه اخرى
١٠٩ حول نسبة الذنوب الى مقامه الشريف صلى الله عليه واله وسلم
١١٢ ووضعنا عنك وزرك
١١٢ عفا الله عنك
١١٣ عبس وتولى
١١٤ لقد خشيت على نفسي
١١٦ انه ليفان على قلبى
١١٨ سهوه صلى الله عليه واله وسلم وانه لنا في كماله صلى الله عليه واله وسلم
١٢٠ الاحاديث المذكور فيها السهو منه
١٢١ موقفه من اسرى بدر
١٢٦ توضيح اشكاله
١٢٨ موقفه صلى الله عليه واله وسلم في قضية تأبير النخل
١٣٦ سحره صلى الله عليه واله وسلم لا ينافى كماله
١٣٩ هل يلعن صلى الله عليه واله وسلم احدا
١٤٣ الحاصل
١٤٦ كمال اخلاقه العظيمة وشمائله الكريمة
١٤٧ كمال رحمته صلى الله عليه وسلم رحمته صلى الله عليه واله وسلم للعالم
١٥١ رحمته صلى الله عليه وسله بالاهل والعيال

صفحة

١٥٣	رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان واليتيم والارملة والمريض وغيرهم
١٥٦	رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوان
١٥٩	كمال حياته صلى الله عليه وسلم
١٦٣	كمال جوده
١٦٧	كمال وفائه صلى الله عليه وسلم
١٧٣	كمال صبره صلى الله عليه وسلم
١٧٧	كمال زهده
١٨٠	كمال عفوه صلى الله عليه وسلم
١٨٧	كمال عدله صلى الله عليه وسلم
١٩٠	كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم
١٩٧	كمال آدابه العامة وسمته
٢٠٠	آدابه في طعامه
٢٠٤	كمال مناقبه الحميدة وخصائصه الفريدة
٢٠٥	كمال خصائصه الظاهرة وكراماته الباهرة
٢١٨	افضليته على سائر الانبياء
٢٢٥	كمال تفضيله في الآخرة بأوليات ليست لغيره
٢٣٤	كمال فضله الثابت بكتاب الله
٢٤٦	كمال احواله في العبادة
٢٥١	كمال خشيته من الله
٢٥٣	كمال حكمته السياسية وقيادته الحربية
٢٥٤	كمال حكمته في تصريف الامور السياسية
٢٥٩	كمال شجاعته صلى الله عليه واله وسلم
٢٦٣	كمال قيادته الحربية
٢٦٨	تعميته الامور على اعدائه بالتلبس عليهم
٢٧٠	اهتمامه بمعرفة حالة الاعداء وعددهم واستعدادهم واخبارهم قبل لقائهم
٢٧٣	اخذه بالتهديد والتخويف لاعدائه قبل لقائه بهم
٢٧٥	كمال خلقه في سياسة وتربية الامة وكرامته معاشرته لهم عامة ولاهله واصحابه خاصة

٢٧٦ اكمل حديث في الشمائل
٢٨١ كريم عشرته مع الاهل وذوى القربى
٢٨٤ كريم عشرته مع الناس في الحديث
٢٩٣ جبره للخاطر
٢٩٦ حسن طريقته في العتاب والتأديب
٣٠٢ كمال تربيته للامة وعنايته صلى الله عليه واله وسلم بتعليم القرآن
٣٠٥ تفسير القرآن
٣٠٦ التاريخ والاخبار
٣٠٧ الكتابة
٣٠٨ منهجه صلى الله عليه واله وسلم في التعليم
٣١٤ كمال طريقته في التعليم والارشاد
٣٢٤ توجيه الهمم الى العوالى
٣٢٩ تدعيم القول بالدليل
٣٣٣ العناية بذكر القصة
٣٣٤ قصة المتكلمين في المهد
٣٣٨ تقريب المسائل بضرب الامثال
٣٤٢ كمال شريعته صلى الله عليه واله وسلم ووفائها بحاجات البشر ومسايرتها لروح العصر دون تحريف او تبديل
٣٤٤ الشريعة الاسلامية وواقع الحياة
٣٤٥ اصول الكمال والسمو في الشريعة الاسلامية
٣٤٦ الاول : فتح باب الاجتهاد
٣٤٨ الثانى : اعتبار المصلحة في التشريع
٣٤٩ الثالث : العناية بالقواعد الكلية الجامعة
٣٤٩ قاعدة المعاملات
٣٥٠ الرابع : الدعوة الى فتح باب الاجتهاد
٣٥١ الخامس : عدم وجوب النزول بملهف معين
٣٥٧ معنى التطور في الشريعة تحديد معنى الاجتهاد
٣٦١ تهمة باطله وظن فاسد
٣٦٤ الخاتمة



مطابع

سحر

شارع الملك خالد
ص.ب ٢٤٥٩ - جدة
ت ٣٣٢٣٣ - ٢١٢٤٢

N

E

F

مطابع
المنار
جدة



